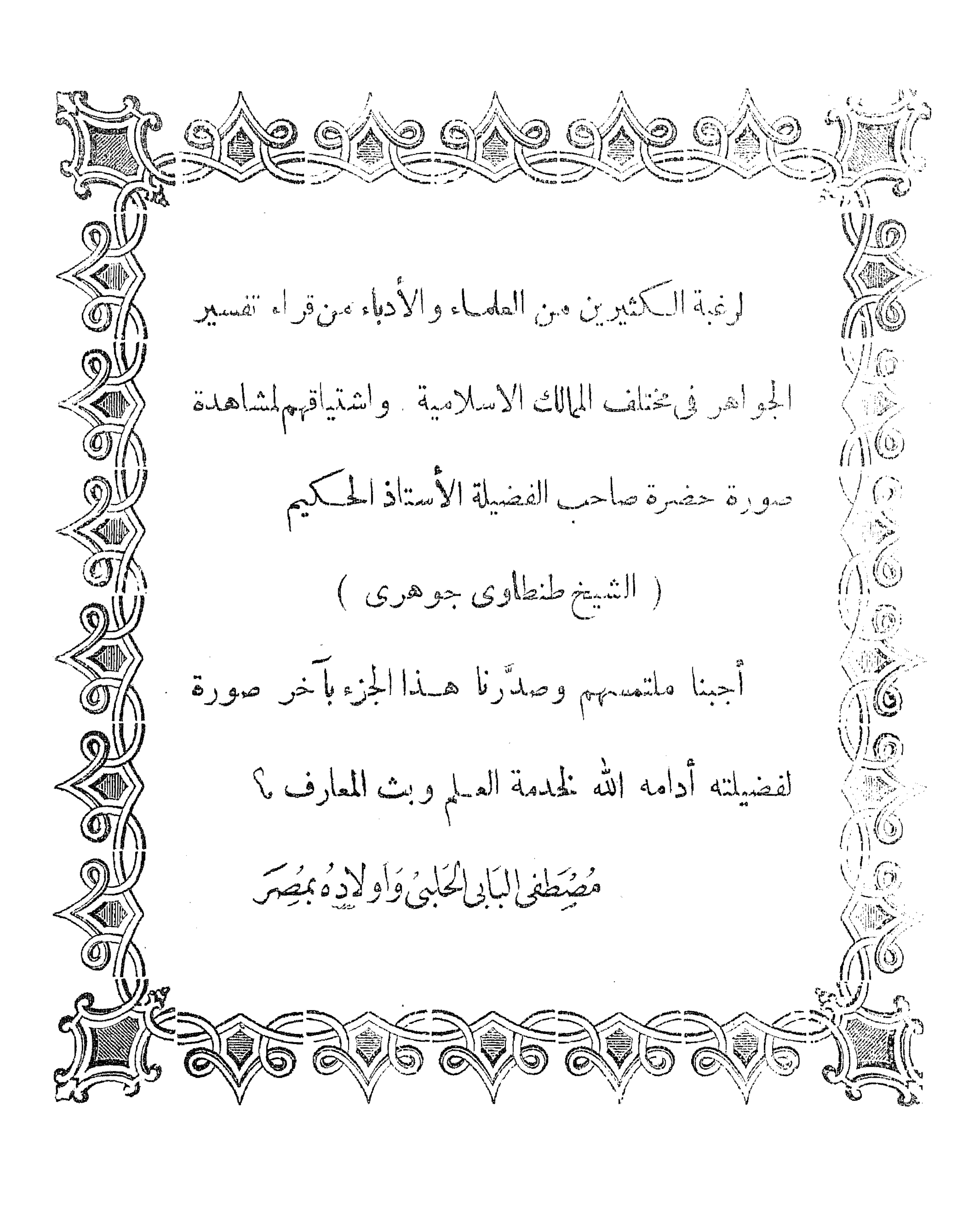


لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير
الجواهر فى مختلف الممالك الاسلامية . واشتياقهم لمشاهدة
صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم

(الشيخ طنطاوى جوهرى)

أجبنا ملتمسهم وصدّرنا هذا الجزء بآخر صورة
لفضيلته أدامه الله لخدمة العلم وبث المعارف ؟

مُصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

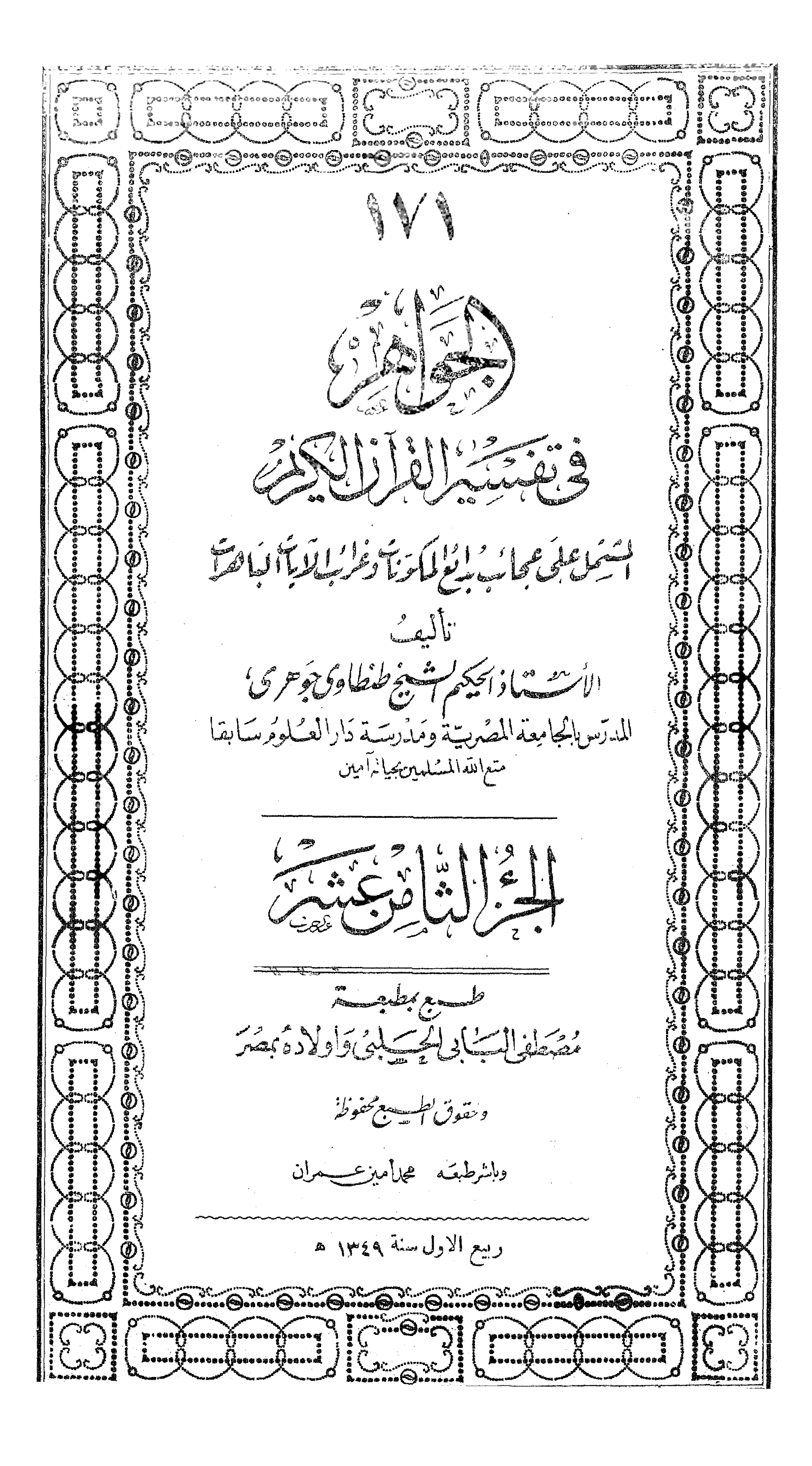


(١) الدين والعلم توءمان

(٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما

(٣) ومن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول

(٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا



١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

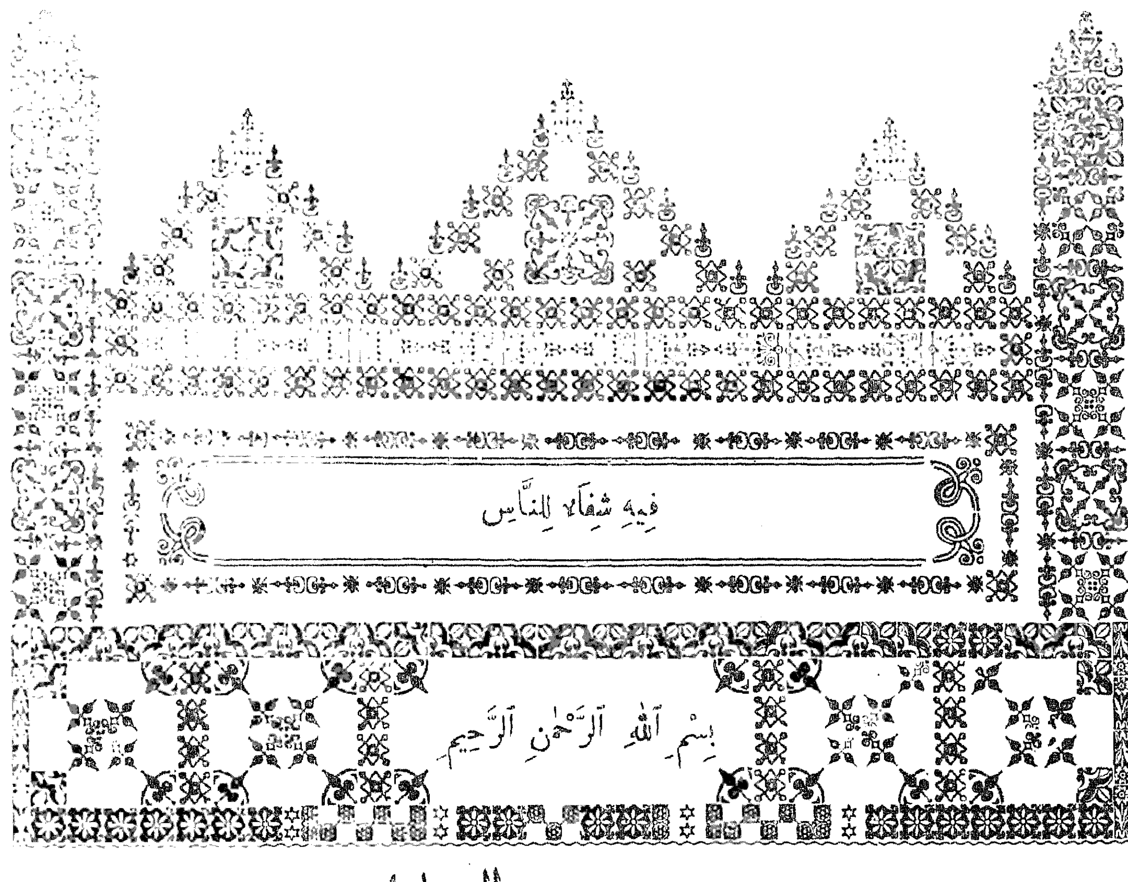
تأليف
الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء الثامن عشر

طبع بمطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

وباشر طبعه محمد أمين عمران

ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ



تفسير سورة الصافات

(هى مكية)

(آياتها ١٨٢ — نزلت بعد الأنعام)

وفيها « أربعة فصول : الفصل الأوّل » فى تفسير البسملة « الفصل الثانى » فى التوحيد ووصف ابداع الله فى السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ماهو أعظم منه شأنا كما جاء فى آخر ﴿ سورة يس ﴾ من قوله — أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم — فأوّل هذه مرتبط بآخر تلك ارتباطا وثيقا ، ثم كيف جهل الانسان فأنكر البعث ومايتبع ذلك من محاورة أهل الجنة وهم يطلعون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة ونعيمهم الخ « الفصل الثالث » فى قصص نوح وابراهيم واسماعيل واسحق وموسى وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع فرية ان الملائكة بنات الله واثبات انهم صافون مسبحون كما جاء فى أوّل السورة لانهم بنات الله وفذلكة السورة بمدح المرسلين والسلام عليهم

﴿ الفصل الأول فى تفسير البسملة ﴾

(مذكرة عن فكرتى قبيل فجر يوم الأحد ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠)

ذكرت فى أمثال هذا المقام انى أنام فى فصل الربيع ومابعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعى المحافظة على الصحة وائتناسا بالنجوم واشراقها وأنوار القمر وبهجة السماء . ففى هذا التاريخ استيقظت حوالى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متلألئات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الحالكات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصفير على الحيطان وفى الشبابيك والأبواب وفى الثقوب اللاتى تلاقيها فى ذلك المكان ، ولقد عجبت لهذه النفس تذكرها النسمات وتهتاجها عواصف الرياح وقواصفها

فكأنما

فكأنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نوافخها أوتار ومثالث بفنون الطرب وطرف الألحان وقعتها يد الرحمن الغزير المواهب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هنالك غادر الخيال حاستى السمع والبصر وأخذ يجرى على سفنه فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبدائع العلم فيما وعاه من صور جميلة مخزونة يستثيرها وحكم غوال يأنس بها ، فأشرقت النفس بأنواره وازدانت بلؤلئه ولألائه ، وأخذ العقل يجول فى ميدانه وهو يقول « الأنوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زاهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طائرة فى عوالم لاحدّ لنهايتها ولا آخر لمداها اللهم إلا ما افترضه المفترضون من كرات المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجرى النور حولها فلا يقطعها فى أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يقطع فى الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أى (٣٠٠) ألف كيلو ولا يزيد جريه حول أرضنا عن جزء من سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية و بين مائة ألف مليون سنة ، ثم ان النور يحيط بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادّة كلها نور قد تراكم فأظلم ولا ينيره فى عقولنا إلا العلم . انظره عند آية ـ الله نور السموات والأرض ـ فى الكلام على « قطرة ماء »

الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهى عروس لبست الحلل وحليت بحلى الماس والياقوت والدرر جميلة هيفاء حوراء عند الحكماء فكأنها السور الذى باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هنالك أخذت أفكر فى الجمال الظاهر فى هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان الذكرى وتلهبان فى القلب نار الشوق والحكمة والعلم

ياسبحان الله : أنحبس فى سجن هذه الأرض فلا نعرف ماوراءه ، أنعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ، ألمثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجمال يحيط بنا والرحمات لاتدعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل الأرض ، النور هو الحياة ، الرحمات لم تذر حشرة ولا بهيمة ولا انسانا ، بالرحمة والرأفة والعطف رأينا للنملة (٤٠٠) عين (اقرأ رسالة عين النملة فى سورة النمل فى هذا التفسير) و ٤٠٠٠ عين للذبابة ولغيرها أعين تعد بعشرات الآلاف كما فى نفس تلك الرسالة ، واذا تعمقنا فى البحار فى الأماكن التى لاتصيبها الأنوار الشمسية وجدنا للسمك أنوارا تشع له من نفسه كما تقدّم فى هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نورا وأينما فكرنا فى العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لنا عقول تفهم الرحمة وتنظر النور ، هنالك تجسمت أنواع الرحمات نصب عينىّ وتلألأت الأنوار فى المخيلة ، إذن هما زينتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزينتان قد تجلتا معا فى « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسملة التى يقرؤها الجهلاء والعلماء وتمرّ على أكثر الناس مرور الرياح فى هذه الليلة والأنوار على الآذان والعيون فلا يأبهون لها وهم بها جاهلون ، فمن عجز عن ادراك الجمال فى هذه الأنوار والظلمات والرياح الهابات فما أعجزه أن يدرك الرحمة فى البسملة ، لاتدرك معانى هذا القرآن إلا بدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن الرحمة التى ذكرت فى البسملة فى أوّل هذه السورة قد سيقت للتذكرة بما فيها من الرحمات والعجائب ، ذكرى يصبو لها قلب الحكيم ، وعلم يهفو له فؤاد الواله المغرم اللبيب

(١) ألم تر كيف أبرزت الزينات الظاهرات فى ذكر السموات والأرض والمشارق والمغارب وزينة السماء الدنيا بالكواكب ، ياللعجب أليس ماشاقنى الليلة وألهب فى قلبى نار الشوق للحكمة والبحث هو نفس هذه الزينة ، ذكرت فى هذه السورة لملاءمتها لصفاء النفوس التى تقل فى نوع هذا الانسان الأرضى اذ أكثره محجوب عنه وهو غافل لايستمع منادى الملأ العلى الأعلى لأنه أقرب الى الحيوان مغمور فى الطين والمادّة

(٢) وكلما سنحت له سانحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى بنى نوعه وأخذ يتبجح بالمجادلات

ويفرح بالغلبة فى مجالس الأقران ، ويسخرمن الحكمة والحكماء ويعرض عن منظر الآلاء ، ويهزأ بالمباحث العقلية والآراء الفلسفية

(٣) فههنا تجلت الرحمات :

(ا) أوّلا فى ظهور الأنوار كما بيناه وفى عمومها

(ب) ثانيا فى حوار القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرصة تقريعا للمقلدين فى هذه الأرض وتذكيرا للمفكرين منهم وتبيانا لنا أن لا نعيش محمولين على أجنحة آراء غيرنا ونحن فى ذلك مسخرون ، ففى الأنوار رحمة الحياة الجسمية لكل حىّ على الأرض ، وفى الاعتبار بتساؤل أهل النار إذ أقبل بعضهم على بعض رحمة أخرى فبها تكون الحياة العلمية ، فههنا رحمتان : رحمة جسمية ، ورحمة عقلية موضوعتان فى السورة وضعا منظما مرتبا

(ج) وثالثا تساؤل أهل الجنة إذ قصّ قائل منهم قصصه مع قرينه وهو فى الدنيا وانه أضل دلائله الجدلية وآراءه اللاتى كاد يغويه بها فتولى عنها معرضا وسلك سبل السعادات فى الجنات وهذه أشبه بنتائج ماقبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فان من اعتبر بالمقلدين الضالين يحفزه ذلك أن يكون هو من المفكرين العاقلين ، وهذه هى قصة هذا الانسان تدب فيه الحياة ومن أهم أسبابها الأنوار ، فاذا استوى وقوى أخذ يتفكر فى شؤن هذه الحياة فتعرض له الشبهات ، وهذه هى المرتبة الثانية ، فاذا صدّ عنها ووصل الى الحقائق فقد كملت حاله فى الدارين . هذه هى قصة هذا الانسان أوّله وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال الأمم السابقة على هذه المقدّمات

(د) فذكر نوحا وانه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، فالفائزون كالقسم الثالث والهالكون كالقسم الثانى فيما تقدّم

(ه) ومثل نوح فى ذلك ابراهيم الذى نظر فى النجوم المذكورة فى أوّل السورة وهى مناط فكر العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من الابتلاء بذبح ولده وكيف رحمه الله تعالى . فههنا تجلت الرحمتان ، رحمة فى دعوته للناس ، ورحمة فى فداء ولده ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وانهم ان صبروا نجوا

(و) ومثل ابراهيم ونوح الياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدّمات الثلاث فسير هؤلاء الأنبياء تقص علينا أنباء الرحمات الواردات على الأنبياء واتباعهم بعد ما قصّ علينا رحمات الأنوار ورحمات النجاة من قرناء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم لخص السورة كلها

لما كانت السورة مبدوءة بالقسم بالملائكة الصافين على أن الله واحد وهم أرواح لها سلطان على عالم المادّة وهم باذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والأمم وتبع ذلك أن الأنبياء فائزون منصورون وأن أعداءهم هالكون ختمها بافاضة الكلام . أوّلا فى الملائكة فأخذ يفند مايفتريه الكافرون عليهم من انهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان الملائكة هم الصافون المسبحون ، كل له عمل يخصه لايشاركه فيه سواه . وثانيا ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم لخصها تلخيصا أكثر اجمالا ، فهو منزّه عما يصفونه به واذن تكون ملائكته القائمون بأمره على حال غير ماوصفوها والمرسلون كتبت لهم السلامة . فلاجرم أن الهلاك لأضدادهم والحمد لله رب العالمين

ومن عجب أن ﴿سورة يس﴾ لخصت فى آخرها كما لخصت الصافات كما تقدّم . هذه هى الرحمات التى تجلت فى هذه السورة تبيانا لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) واعلم أن قوله تعالى — وسلام على المرسلين —

بينه و بين قوله تعالى ـ سلام قولا من رب رحيم ـ صلة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرحمات فى الدنيا والآخرة ، فمن كانت الخواطر النفسية ثائرة عليه مضجرة له منهكة لقواه فلاسلام له والموسوسون لم تبق لهم فى أنفسهم خواطر السوء لأنهم مطلعون على الرحمات الواسعات المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أشبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانسانى الذى حكم عليه بالسجن فى هذه الدار المملوءة جمالا وقد صده عن جمالها الحروب والكروب وماتقدم من فواجع الدهر وقواطع الأخلاق الشائنة ، فلايفقه أكثر الناس ولايعقل بهجة الأنوار ولاجمال النجوم والشمس والقمر ولاعجائب الرياح وغرائبها وانها تحمل السحب الماطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التى أمطرها علينا فنحيا بها . ومن عجب أن الدارسين لهذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضا لأنهم نظروا اليها باعتبار غاياتها ومنافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرحمات العامة فضلت عقولهم وتاهت فى بيداء المادة ولم تجتمع تلك العجائب عندهم فى موجود واحد منه كان صدورها حتى تفرح به قلوبهم و يشعروا بحب عظيم بل حبهم مفرق لا اجتماع له

هذا هو سر البسملة فى أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرحمة المتجلية فيها المبسوطة المنشورة فى كل ذرة وحشرة كما تقدم فانهم لايشعرون بالرحيم ـ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ـ ومن لم يشعر بأن هذا الوجود انما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هى نتائجهما فان حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه فى يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لامدبر لها وانها هكذا تائهة من الأزل الى الأبد فان روحه أبدا معذبة متألمة لايدرى من أين يأتيه البلاء أمن الفقر أم من الذل أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فانه يرى نفسه سعيدا لأنه يشعر بذات رحيمة تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان فى هذه الحياة و بعد الممات

هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » فى سورة الصافات وبهذا تم الكلام على الفصل الأول فى تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثانى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا * فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا * فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ * رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ *

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ
الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا
يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ *
بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ
الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *
فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ *
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا
الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ
مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ
مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ
أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ



بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا * فالزاجرات زجرا * فالتاليات ذكرا) اقسم الله بالملائكة (١) يصون صفوفهم فى مقام العبودية فى مراتبهم (٢) ويزجرون الكواكب المسخرات وهنّ جاريات مدبرين شؤون العالم رادعين الناس عن الشرّ بالالهام والشياطين عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، و بالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفا فى العبادات وزجرا عن الجهالات وتلاوة للآيات ، و بالغزاة الحاذين حذو العلماء صفا فى الجهاد وزجرا للعدق وتلاوة للكتاب ، وهذه المعانى كلها تحتملها الآية ، فكل هذه صافات وكلها زاجرات وتاليات والعطف لاختلاف الصفات لا الذوات ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصف للعبادة كمال والمنع من الجهالة والمعاصى تكميل بالمنع من الشرّ والتعليم بالكتاب إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال فى النفس و بتكميل الناس ونظام العالم و بالعلماء الذين حذوا حذوهم و بالغزاة التابعين لهم ، ولاجرم أن تناسق الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدإ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته فى جواب القسم فقال (إن إلهكم لواحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس وهى (٣٦٥) مشرقا لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرق ، فأمارب المشرقين ورب المغربين فانماهما للصيف والشتاء . وأمارب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (إنا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الأدنى (بزينة الكواكب) بالاضافة وعدمها أى بزينة هى الكواكب من حيث جمالها ولألاؤها وبهجتها وتناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسيما عند الخاصة الدارسين لنظامنا المفكرين فى حسابنا إذ يرون أن السيارات مثلا بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب الذى قبله . ولن يعرف هذا إلا الدارسون المفكرون الناظرون فى ملكوتنا الحاسبون الذين هم يعقلون . فالزينة إذن زينتان : زينة للعامّة والجهلاء وهذه تظهر بالعين فى الليلة الليلاء ، وزينة عند الخاصة وهى لاتظهر إلا للعلماء ، ولذلك أردفه بقوله (وحفظا من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمرد عات سواء أكان منْ شياطين الانس أم من شياطين الجنّ ، ثم بين حالهما فقال (لايسمعون الى الملإ الأعلى) الى كلام الملائكة والكتبة (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعودها (دحورا) أى مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لايسمعون الى عالم الملائكة واستثنى من اختلاس من كلامهم مسارقة فقال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) كوكب يثقب الجوّ بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب ونبيّ وعالم ومجاهد بحيث تلاءمت وتضامّت واتصلت وكانت متناسقات الوضع منظمات وهى زاجرات كزجر الملك للكوكب والمجاهد للعدوّ والعالم للجاهل . ولاجرم أن الملك والنبى والمصلى والعالم والمجاهد تالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها الى بعض وهى أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة فالعالم علويه يفيض على سفليه وسفليه قابل من علويه فترى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولاترى فى خلق الرحمن من تفاوت بل ترى اتحادا وائتلافا نظم وحدتها وجمع مفرقها ، ولاجرم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يونانى وهو أفلاطون « ان وحدة العالم دلالة على وحدة الله عزّوجل » ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض ومابينهما » وأنتم ترونها متصلات منتظمات ،

فالوحدة فيهما ظاهرة والألفة بينهما معروفة مشاهدة »

الدنيا بيت فرشه الأرض وسقفه السماء وسراجه الكواكب فلذلك قال ــ ورب المشارق ــ ألا وإن البيوت الرفيعة العماد كاقتضاء بالأنوار تزين بالنقوش و بأنواع الجمال والبهجة والصور الجميلة ، ولا يكون البيت مسعدا لأهله سارا لسكانه إلا اذا أشرقت جوانبه وازدانت أركانه بأنواع الجمال والصور الحسان التى تهواها النفوس وترضاها الشرائع ، وأى سقف أجل من السماء ؟ وأى فرش أبهج من الأرض ؟ وأى سراج أجمل من الشمس وأى زينة أبهج من النجوم فلذلك قال ــ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ــ . لا تكون القصور المشيدة والبيوت الرفيعة حافلة بالسرور مأمونا على جمالها وزخرفها إلا متى حفظت من اللصوص السارقين ومتسوّرى محاريبها فلذلك حفظ الله السماء أن يتطاول لدرك جمالها واتساق صافاتها و بهجة بنائها ومحاسن نظامها إلا الملائكة الصافون والأنبياء والعلماء المخلصون ، فأما الجهال والشياطين فأولئك عن جمالها غافلون وهم عن آياتها معرضون ، فالسماء منهم فى حصن حصين ولقد يعيش المرء و يموت وهو فى غفلة عن درك هذا الجمال لأن السماء حرست منه ، وهل يعرف الفضل إلا ذووه ، فالعيون مفتحة ولكن أين ابصارها وهل ينال العلم إلا عاشقوه أو يبهر الجمال إلا عارفيه . ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج . ولقد تلوح للمرء لمحة من الجمال وتعن له سانحة وتبدو له بارقة من المحاسن فتخطف بصيرته كالشهاب الثاقب فيحن الى مثلها و يصبو الى أختها و يتعلق قلبه بالجمال . ذلك تأويل قوله ــ إلا من خطف الخطفة ــ ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسترقون السمع فيحترقون بالشهب وقد تخطفهم الشهب فيعودون ليسمعوا كالسارقين من نوع الانسان والقاتلين رجاء أن لا يقعوا فى قبضة الحاكمين وهذا المعنى اذا أريد كما هو المشهور فليكن كناية وهى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلى فلننقل هذا هو المعنى وهو كناية عن المعنى المتقدم فيكون المنع الحسى رمزا للمنع العقلى والكناية من أجل أنواع البلاغة فاصطلح المعنيان وتسابقا فى الميدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتمتع الحكيم والذكى بباطنه . ألا ترى رعاك الله أن كثيرا من الناس حولك محبوسون فى هذه الأرض غائبة أبصارهم لا يسمعون الى الملإ الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا وعجائبها وقد قذفوا من كل جانب مطرودين طردتهم شهواتهم وعداواتهم وكبرياؤهم وحروبهم وطمعهم وشرههم عن تلك المعانى العالية . فهم مغمورون فى جهالتهم تائهون فى سكراتهم تخطفتهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون الى ذلك الجمال ولا يفقهون ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرقت بجمالها للحكماء و بهرت بمناظرها العلماء وزينت السماء للناظرين وهى من جهة أخرى أزجت الحرارة الى الأرض فأينع الزرع ودر الضرع واغتنى الجمع فتلظت الشهوات وكثرت اللذات فأعمت البصائر عن النظر والعقول عن الفكر وأصبح الناس صرعى أوهامهم قتلى أهوائهم مطرودين عن الحكمة ، ثم ان شياطين الجن كشياطين الإنس غاية الأمر أن الأولين ليسوا فى الأجسام البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان فى الجسم أعمى فهو اذا جرد منه أعمى فشياطين الانس وشياطين الجن كلاهما محرومون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن الخواطر الحكمية لا ينالها فى هذه الدنيا إلا أهلها ولكل أناس فى الأجسام البشرية وفى الحال الروحية خواطر خاصة بهم كأنهم صفوف لا يتعدون مراتبهم فمن خطف الخطفة على أحد حالين إما أن تهديه الى الصراط السوى وإما أن تقف فى طريقها الشهوات وتجتثها اللذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلا كما قدمناه . وعلى المعنى الثانى يكون منقطعا على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكم من الناس جاءتهم بارقة لعلم فاستضاؤا بها . وكم أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهالتهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

فتش الناس حولك . انظر تجد هذه المعانى متجلية ــ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ــ لقد قل الذين

بهرهم الجمال وذاقوا حلاوة الحكمة وأكثر الناس لايعلمون لأنهم عنها مصروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارئ ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ فالآية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لابقاء لها فالباقيات الصالحات خير أى أن يكون سعى الانسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبين : مذهب لفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتحسر على الدنيا ولذاتها ويقول الانسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالعاجلة . فهذان القسمان من الناس أولهما خطف الخطفة فاهتدى . وثانيهما خطفها فتبعته الهواجس فقتلت الفكرة فى مهدها وكأنما ذلك شهاب تارة يهدى بضوئه وتارة يهلك بناره . هدى الأول بضيائه وأهلك الثانى وأمات وجدانه بناره

جل العلم وجلت الحكمة وجل الله الذى جعل هذه المعانى فى تلك المبانى وصرف عقول العارفين عن نقائص المعانى الى النظر الى العالم العلوى والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفات من الملأ الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعانى الشريفة تشرق على النفوس لتصاها بعوالم مشرقة فيها هذه المعانى . وما عقولنا إلا كالعين . وماتلك العوالم إلا كالكواكب المضيئة . وما المعرفة إلا انكشاف المعانى بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا ونسبة انكشاف المعانى الى بصائرنا كنسبة انكشاف المرئيات الى أبصارنا . فلولا الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم الملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت فى رأى قدماء الفلاسفة لاتقبل الخرق ولاالالتئام فكيف تكسر الكواكب وينزل شهب منها فى الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحمهم الله يؤولون تارة ويكذبون علوم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فان العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس الكواكب السماوية وهى قطع صغيرة تقدم إيضاحها فى هذا التفسير فى النصف الأول من القرآن فاقرأه فى ﴿ سورة الحجر ﴾ وماقبلها فلااشكال وذلك معجزة للقرآن ، خالف الفلسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن فى علم الأرواح وعلم التصوف ﴾

يقرأ القارئ هذه الآيات ولايخطر بباله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس فى أوروبا بعض الأرواح عن اتصالهم بالناس وحضورهم اذا طلبوهم فأجابوا قائلين مانصه : « إن الأرواح العالية لاتناجى إلا نفوسا صافية لاتريد إلا الخير للناس مع استعدادها للحكمة ومستحيل أن تناجى من شوه قلوبهم الكبرياء وألهتهم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فانها تسر جدا بمحادثة الجهلاء من الناس وتعطيهم أكاذيب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذى اعتادوه فى أول ابريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لامور العاجلة فهو من سقط المتاع لاتهواه إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العامة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقيه الى من هم مستعدون » اه

فتبين من ذلك أن الملأ الأعلى من الملائكة والأرواح لايأنسون إلا بما هو نفع عام ويأنفون من الامور الخاصة كالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوف ﴾

أما علماء التصوف فانهم قد يأمرون تلاميذهم بالجوع والسهر وترك الكلام والعجب وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصلوه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة ككثرة زيد وحياة عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظلماني . فأما ان كان كشفا للامور العالية والحكمة والمعارف فهو كشف نوراني »

أليس ما يقوله الفريقان قديما وحديثا هو عين هذه الآية . أليس هو سرها ؟ فسوقى بمحضر الأرواح إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركتهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون العلمان وبالا على من تعلمهما واذن الجهال أفضل وهم ممن قال الله فيهم ــ وأضله الله على علم ــ فهؤلاء كتجار الخمر وباعة الخنازير وشاربى الخمور والحشيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لايسمعون الى الملأ الأعلى بل الى الملأ الأسفل ويقذفون من كل جانب دحورا لأنهم مطرودون عن التلقى عن الأرواح العالية التى لاتناجى إلا من هم مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . لقد ظهرت معانى القرآن اليوم أى بعضها وظهر سر قوله تعالى ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ــ وسر قوله ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ

ولكم سألنى سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد مراكش لايصلون ولايصومون وينتسبون لولى عظيم واذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم الى قبة المكان الذى هم فيه جالسون واذا جىء لهم بشاة أوعنز خرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنت كثيرا وظن الناس أن هؤلاء عندهم سر عظيم وماهى إلاتوجه نفوسهم الى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحطة قذرة دنيئة لاترقى النفوس البشرية بل هى أمورظلمانية . فاذا عجز المصلى والمزكى والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله . وأن هؤلاء يعلون عليه بل هم قوم حصرت نفوسهم فى أمر جزئى صغير فلاهم فى العير ولافى النفير بل تجب محاربتهم وقتلهم . ان هؤلاء لايسمعون الى الملأ الأعلى . واذا رأيت أمثال هؤلاء يخبرونك بشئ فى نفسك فلاتظن الأمر عظيما . فهذا الكشف حقير لأنهم لايسمعون الى الملأ الأعلى لضعف نفوسهم وانما يسمعون الى الملأ الأدنى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم فى أمور جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وجمالها وعلومها ولم تصلح نفوسهم لعالم الملائكة فينشروا العلم والحكمة بين الناس

﴿ ذكر نظير هذا فى المعروف بين الناس ﴾

إن هذه الأحوال هى التى نشاهدها فى العالم الانسانى ، انظر ألست ترى أن أكابر العلماء والحكماء لايستطيعون أن يذكروا شيأ من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولوذكروها لم ينلهم منهم إلا السخرية والاستهزاء ، ألست ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله ــ لايسمعون الى الملأ الأعلى ــ لأن الملأ الأعلى لايخاطبهم لعدم التلاؤم ، فسبحان من أظهرهذه المعانى حتى صارت من المألوفات ، وأشرقت الأرض بنورربها فى سر الكتاب ، قال تعالى (فاستفتهم) فاستخبر بنى آدم (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض ومابينهما والكواكب والشهب الثواقب فكيف ينكرون البعث وأين هم بالنسبة لهذه العوالم التى خلقناها (إنا خلقناهم من طين لازب) أى لاصق أولازم فأين هم من كواكب السماء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة فهل يعجزنا أن نعيد ماهو مخلوق من طين لايصلح للحياة إلا باشراق الأنوارعليه ووصول الآثاراليه من العوالم الأخرى (بل عجبت) يامحمد من تكذيبهم إياك ومن انكارهم البعث وهم (يسخرون) من أمر البعث (واذا ذكروا لايذكرون) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لايتعظون (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر (يستسخرون) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخرمنها أويبالغون فى السخرية ، فهؤلاء كالذى خطف الخطفة فأتبعه شهاب قتله وأمات

فكرته

فكرته وأضاع رشده وأضلّ عقله فأمثال هذا أحياء وماهم بأحياء كما قال تعالى ـ أموات غير أحياء ـ ✡ وقال الشاعر

ففز بعلم تعش حيا به أبدا ✡ الناس موتى وأهل العلم أحياء

فهؤلاء يسخرون (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) سحر ظاهر ساحريته (أئذا متنا) استفهام انكارى (وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أى أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا الأوّلون) أى أيبعث أيضا آباؤنا مستبعدين ذلك زيادة استبعاد لأن آباءهم أقدم منهم فيكون بعثهم أشدّ غرابة (قل نعم وأنتم داخرون) صاغرون واذا كان كذلك (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) أى فاذا هم أحياء بصراء ينظرون الى سوء أعمالهم أو ينتظرون مايحلّ بهم (وقالوا) اذا قاموا من القبور (ياويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم و بين المؤمنين (الذى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) فتقولون انه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أى اجمعوا كل ظالم بشرك أوغيره (وأزواجهم) وأشباههم وأمثالهم بحيث يكونون فى مباءة واحدة كما يرى فى هذا العالم المادّى إن الموادّ الأرضية مجذوبة الى الأرض والهوائية الى الهواء والمائية الى الماء وأصحاب الحرف المتفقة يتفقون و يتفاهمون وأصحاب الأخلاق الوضيعة يتجاورون وذوو النفوس الشريفة يأتلفون ، فهذا العالم المادّى والروحى على نسق واحد فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف ، فالمحبة فى الدنيا لاتفاق الأشكال وفى الأخرى لاتفاق العلوم والأخلاق ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ

وهل تألف الغربان إلا سربها ، أوالحمام إلا إلفها ، أوالزنابير إلا أخواتها ، أوالنمل إلا طائفتها . فياعجبا . تشاكلت الدنيا والآخرة وما يذكره القرآن عن الآخرة نشاهده فى الدنيا . فالمسألة فى الدارين باتفاق الصفات واختلافها ، لهذا نزلت الديانات وقرئت العلوم ونظمت الدروس وألفت الكتب و بنيت الكليات وأقيمت الجامعات . كل ذلك لتربية العقول وصقلها بصقال واحد . إن ذلك هو النظام العجيب

يقول الله ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ـ (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام زيادة فى تحيرهم (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرّفوهم طريقها ليسلكوها لأنهم على مشرب واحد . وفى الحديث « أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد ـ ومار بك بظلام للعبيد ـ (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف (إنهم مسؤلون) عن العقائد والأعمال (مالكم لاتناصرون) لاينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم (وأقبل بعضهم على بعض) أى الرؤساء والأتباع أوالكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ أو يتخاصمون (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل القهر والقوّة لأن اليمين موصوفة بالقوّة أى انكم تحملوننا على الضلال وتقهروننا عليه ، أومن قبل الدين فتضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما تضلوننا به (قالوا) أى الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه وأنتم مختارون ، وهل لنا سلطان على ضمائركم وهذا قوله (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين الطغيان (فحقّ علينا قول ربنا) فلزمنا جميعا وعيد الله بالسخط والعذاب (إنا لذائقون) العذاب فى النار (فأغويناكم إنا كنا غاوين) أى فدعوناكم الى الغىّ لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكالها تقع والناس مولعون بتكثير سوادهم ومن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الأمم كلها يعلمون الأمم لغاتهم وعلومهم وتاريخهم ليكونوا على شاكلتهم و ينتفعوا بهم (فانهم) فان الأتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (إنا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين و بين سببه فقال (إنهم كانوا اذا قيل لهم لاإله إلا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد وعن الداعين اليها (و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا

لشاعر مجنون) يعنون محمدا ﷺ فرد الله عليهم قائلا : كلا (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) أى ماجاء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسلون (إنكم لذائقوا العذاب الأليم) بالاشراك وتكذيب الرسول (وما تجزون إلا ماكنتم تعملون) أى إلا مثل ماعملتم (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء منقطع

﴿ وصف أهل الجنة ﴾

مآكلهم ، ومجالسهم ، وشرابهم ، ونساؤهم

﴿ مآكلهم ﴾

هى الفواكه للتلذذ مع الاكرام وعدم النصب فى التحصيل وهم فى الحدائق وهو قوله (أولئك لهم رزق معلوم ✡ فواكه وهم مكرمون ✡ فى جنات النعيم)

﴿ مجالسهم ﴾

يجلسون على سرر وهم متقابلون ، وقد جاء فى آية أخرى — ونزعنا مافى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين ✡ لايمسهم فيها نصب — وذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين)

﴿ شرابهم ﴾

يشربون الخمر من نهر ظاهر للعيون أوخارج منها وهى بيضاء لذيذة لشاربها ليس فيها غائلة تفسد عقولهم كما فى خمر الدنيا وتصدعهم وتحدث فيهم البول والقىء والعربدة وأمثالها ، يقال غاله اذا أفسده ولا يسكرون منها وهذا قوله (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر (من معين) من شراب معين أونهر معين (بيضاء لذة للشاربين) صفتان للكأس (لافيها غول ولاهم عنها ينزفون) يقال نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف

﴿ نساؤهم ﴾

قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ فلايحببن غيرهم نجل العيون أى واسعاتهنّ جمع عيناء يشبهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانه أحسن ألوان الأبدان وهذا قوله (وعندهم قاصرات الطرف عين ✡ كأنهنّ بيض مكنون)

﴿ وصف حديث أهل الجنة ﴾

بعد أن ذكر الله مآكلهم ومشاربهم وقلوبهم المؤتلفة ونساءهم أخذ يذكر أحاديثهم فى شؤن مضت وانقضت فى الدنيا قبل البعث كما قال الشاعر :

وما بقيت من اللذات إلا ✡ محادثة الرجال ذوى العقول

وهذه لذة عقلية أشرف من اللذات الحسية السابقة ، فهؤلاء يطاف عليهم بكأس من معين وهم يتحادثون كما يحصل ذلك بعد الانتصار فى الحروب العظيمة فيقول أحدهم : « لقد كان لى جليس فى الدنيا يوبخنى على التصديق بالبعث » ويقول : « أنحن ندان (أى نجزى) اذا أصبحنا ترابا وعظاما ؟ كلا . ثم كلا . انظروا ، انظروا أيها الاخوان هاهوذا فلان الذى كان شأنه ذلك » (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لأريكم ذلك القرين (فاطلع) عليهم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسطه فلما رآه (قال) له (تالله إن كدت لتردين) لتهلكنى باضلالك (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فى جهنم ، ياهذا أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولامعذّبين إلاموتتنا الأولى بخلاف الكفار فهم يموتون الموتة الأولى مثلنا ثم هم فى جهنم يتمنون الموت كل ساعة . قيل لحكيم : ماشر من الموت ؟ قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا القول يقوله المؤمن تحدّثا بنعمة الله عليه بسمع من قرينه ليكون توبيخا له فيزيد تعذيبه ثم قال لقرينه (إنّ هذا) الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) قال الله (لمثل هذا فليعمل العاملون)

(وصف

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى أنعيم الجنة ومافيها خير نزلا أم شجرة الزقوم والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مرّ بتهامة (إنا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا إذ قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) فنبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) أى رؤس الحيات القبيحة المنظر التى يسميها العرب شياطين أونفس الشياطين التى لم يرها الناس ولكن وقع فى وهمهم شناعتها وقبح منظرها كما فى بيت امرئ القيس ✩ ومسنونة زرق كأنياب أغوال ✩ (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أومن طلعها (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع (ثم إن لهم عليها لشوبا) أى لخلطا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) فلخص ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون ثم يسقون ثم يرجع بهم الى محالهم من الجحيم ، ثم بين السبب الذى أوقعهم فى الكفر المسبب لذلك فقال (إنهم ألفوا آباءهم ضالين ✩ فهم على آثارهم يهرعون) الاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أى ضل قبل قريش الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعا (إلا عباد الله المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله فانهم لم يهلكوا . انتهى التفسير اللفظى للفصل الثانى

﴿ لطيفة فى التقليد والنظر ﴾

نبين فى هذا الفصل ماتكون عاقبة التقليد فجاء أولا فى قول القائل فى الجنة لقرينه فى النار انه نجا من اغوائه ولو أنه اتبعه لوقع فى الجحيم ، وثانيا فى قوله — إنهم ألفوا آباءهم ضالين ✩ فهم على آثارهم يهرعون — ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الخالية ماهلكوا إلا بالتقليد ، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوّله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يتبعه ، إن العالم الانسانى لاسعادة له إلا بالنظر والفكر والبحث فى حقائق الأشياء دنيوية وأخروية ، فلينظر العقلاء فى التعاليم الاسلامية الحالية وليفكروا فى نظام الدين الاسلامى وليعلموا أن اتباع الأمم الاسلامية المتأخرة فى تعاليمها قد أضاع الأمم الكثيرة فى الشرق ، فلينظم تعليم الاسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار انها فرض والافليعلموا أنهم لاحقون بالأمم التى أبادها الجهل وأضاعها الجاهلون

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب — الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على الكواكب والكشف الحديث فيها فى أوّل سورة البقرة وفى سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها ، ولابدّ هنا من ذكر أبدع ماجاء فى الكشف حديثا لتبتهج أيها الذكىّ بالعلم والحكمة فهاك ماجاء فى « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

﴿ اكتشاف علمى جديد ﴾

(المجرّة ومركز الكائنات)

(نظرية الدكتور شابلى فى سعة هذا الكون)

نحن نطلق لفظة الكون على مانشاهده ومالا نشاهده من الأجرام العلوية التى تسبح فى الفضاء ، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجرامها) محدودة وأن وراءها ظلمات فوق ظلمات وفراغا لا أوّل له ولا آخر . على أن الدكتور شابلى مدير مرصد جامعة هوفارد الأمريكية ومن أشهر علماء الفلك فى الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهى أنه ليس فى الكون فراغ بالمعنى

العلمى وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالانهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية مقالة فى هذا الموضوع رأينا أن نلخصها فيما يلى

« يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن الفراغ الذى تسبح فيه الأفلاك شفاف وانه ليس منه جزء فارغ كما كان يظنّ حتى عهد قريب بل هو يعج بالأجرام الفلكية فى كل ناحية من أنحائه وليس فيه مجرّة واحدة بل عدّة مجرّات وأن بعضها كبيرة جدا حتى ان المسافة بين طرفيها تزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلى فقد أثبت بعد البحث العلمى الدقيق هذه الحقيقة العلمية الجديدة وهى أن نظامنا الشمسى ونظام المجرّة هما فى الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتى ميل فى الثانية أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلثمائة وسبعة ملايين ومائتى ألف ميل فى السنة ، وانه يكمل كل دورة من دوراته فى ثلثمائة مليون سنة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثلثمائة ألف ألف سنة (لأن اليوم بالاعتبار الفلكى هو دورة الجرم على محوره ودورة النظام الذى نحن بصدده على محوره تستغرق ثلثمائة مليون سنة) وتبلغ المسافة التى يجتازها هذا النظام فى كل دورة من دوراته ألفا وثمانمائة واثنين وتسعين ألفا ومائة وستين ألف ألف ألف ألف ميل . ويعتقد الدكتور شابلى أنه لن ينقضى زمان طويل حتى يتوصل العلماء الى اكتشاف سرّ الحياة فى أحد تلك الأجرام فان معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هى مركز جميع الكائنات وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدّم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هى ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتتقلب الى أن جاءنا الدكتور شابلى بنظريته الجديدة وهى أن مركز الكائنات هى نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامى وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أى نحو ثلثمائة ألف ألف ألف مليون ميل فالنور الذى نراه الآن منبعثا من ذلك المركز هو النور الذى انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أى قبل أن يظهر الانسان على هذه الكرة

ومما يجدر بالذكر أن الاستاذ (ادنجتون) الذى يعتبر أعظم علماء الفلك فى الوقت الحاضر (وهو أستاذ الفلك فى جامعة كمبردج بانجلترا) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هى مركز المجرّة وأن طرف المجرّة يبعد عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وانه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لاحدود له ، أما الآن فقد أثبت (الدكتور شابلى) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، اذا نظرت الى السماء فى ليلة صافية الأديم أمكنك أن ترى بالعين المجرّدة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأحجام والدرجات وهذه النجوم مبعثرة فى قبة الفلك بلا نظام ظاهر ويخترقها فى الوسط طريق المجرة الذى هو أشبه بنهر متعرج ، على أن ما نراه بالعين المجرّدة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التى يتألف منها عالمنا (أى نظامنا الشمسى والمجرّة معا) فان عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم تافه يدور هو والأرض وجميع أجرام النظام الشمسى حول مركز الكائنات الذى سبقت الاشارة اليه

ويقول الدكتور شابلى أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (والنجم هو الشمس بعينه) ومن هذه المجموعة تتألف نواة المجرّة ولكن بقية أجزاء المجرة لاتزال محاطة بحجب الكتمان ، وانما هنالك قرائن تدل على أن ثخانة نظام المجرّة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير

﴿ ترى ما الذى وراء مركز الكائنات ؟ ﴾

يعتقد الدكتور (شابلى) أنه لن يمر وقت طويل حتى تتجلى لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود شمس عظيمة تستمدّ منها جميع الشموس نورها وهى مركز الكائنات فهى خرافة لاطائل تحتها ، ونظرية

النسبية (وهى أحدث النظريات العلمية وأصدقها فى الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودا لا يتعداها ، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خمسة وعشرين مليون شمس كشمسنا فى بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصوّر شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوّة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تصطدم بقوّة إشعاعها وتمزّقها شرّ ممزّق

فمركز الكائنات يشرف على نظامنا الشمسى ونظام المجرّة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام ، وقوّة جاذبيته تفوق قوّة أىّ جرم آخر يفرضه العلم ، وتدل المباحث العلمية الحديثة أيضا على أن مركز المجرّة محوط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة فى الفضاء ، وللدلالة على سعة الفضاء الذى تشغله تلك النجوم نقول : « إن محيطه لا يقل عن ثلثمائة ألف سنة نورية وثخانته لا تقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية ، أما نظامنا الشمسى فواقع خارج محيط المجرّة عند أحد طرفيها ، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع ، وقد قلنا ان اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره ، فاليوم باعتبار كرتنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسابنا أربع وعشرون ساعة ، أما الكائنات التى يتألف منها نظامنا الشمسى ونظام المجرّة معا فهو يعادل ثلثمائة مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثلثمائة مليون سنة ، وعليه فان ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التى نحن بصددها تكفى لنشوء كائنات بأسرها ، أما الذى حمل (الدكتور شابلى) على القول بأن نطاق الأفلاك أوسع كثيرا مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التى تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمتغيرة ، فقد اكتشف منها عدّة آلاف وهو يعتقد أن الكون مملوء بها ، وقد درس حالة هذه النجوم درسا مدققا فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولمعانها ، والمجال لا يتسع لشرح تلك الطريقة وانما نقول إن الدكتور شابلى توصل بواسطتها الى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التى كانت مفروضة للكائنات أى فى الفضاء الذى كان يقال حتى عهد قريب انه فراغ ليس فيه شئ من الأجرام الفلكية ، وقد وجد أن قوّة اشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوّة اشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمّل

و بناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصوّرونها حتى أوائل هذا القرن ، و يظهر الآن أن النجوم المتغيرة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وانها حدود الكائنات التى يتألف منها نظامنا الشمسى ونظام المجرة معا ، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهى انها تشبه قرصا ثخينا مستطيلا يتألف من نظامنا الشمسى ومن المجرة ، وليس نظامنا الشمسى مركزا لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

﴿ ووراء هذه الكائنات كلها ؟ ﴾

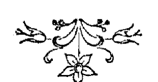
كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغا لا حدود له وأن هذا الفراغ يبتدئ بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا ان الدكتور شابلى قد أثبت اليوم أن مجرّتنا ليست هى المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرّات أخرى ومجموعات نظم شمسية لا اعداد لها وهى تدور حول نواة مركزية ، وقد أطلق عليها الدكتور شابلى اسم جزائر كونية ويمكننا رؤية عدّة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذى سيبلغ قدر عدسته مائتى بوصة فالأرجح اننا سنتمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر ، وتظهر هذه الجزائر لأوّل وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة فى الفضاء ، ومع ان هذه الجزائر ليست من مكتشفات (الدكتور شابلى) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا ان القول بأن كلا منها هى مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد ، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسى نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

ومما يدلك على سعة هذا الكون أنه لو أصيبت مجرّتنا (وفيها نحو عشرة آلاف مليون جرم فلكى) بمصيبة محقتها وأزالتها من الوجود فإن الذين فى أقرب الجزائر الكونية (اذا صح أن فى تلك الجزائر مخلوقات) لايشعرون بتلك المصيبة إلا بعد مئات الالوف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة فى الفضاء ولاتصل الى أقرب جزيرة إلا بعد انقضاء مئات الالوف من السنين » انتهى ماجاء فى المجلة المذكورة

هذه هى المقالة التى أحببت أن أثبتها هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها الذكىّ الى عظمة الله التى لاتتناهى وكواكبه التى لاحد لها ، اللهم إن هذه هى السعادة الحقيقية أن تزيد معارفنا بجمالك وبهائك ونرى أنفسنا فى يد رحيم لانهاية لرحمته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب اذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويتمنى لو يراه ، بل كثير من قرّاء هذا التفسير العاشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعاء ، ويرون أن الموت نعمة من أجلّ النعم ، بل سعادة لاحدّ لها ، لأنهم يودّون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه العجائب مبدع هذا الجمال بعد أن يكونوا قد أتموا ما أعدّهم له فى هذه الأرض

ياسبحان الله : كأنى أشاهد كثيرا من قرّاء هذا التفسير قد امتازوا بأنهم فى الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه » ولاسبيل لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أحمدك يا ألله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما فى العلوم وزهراتها

إن قرّاء هذا التفسير فضلاءهم اذا سمعوا قوله تعالى ــ وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون ــ وسمعوا قوله تعالى ــ تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ــ لاتطيش سهامهم ولايضلّ سعيهم ولايظنون التنافى والتناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أحدنا طفلا صغيرا بل كما يخاطب الدواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وانما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولامقام تحديده بخمسين وانما يراد مدة عظيمة عبر عنها بما نعقله ، ولاجرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا مبنى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسدم وهذه مجرّتنا التى فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر لمجرّة غيرها ، فاذن ألف سنة ليس قيدا وخمسون ألف سنة كذلك وثلثمائة ألف ألف سنة كذلك ولايعلم أيام جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعلمه ، إذن هنا فهمنا قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لامفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلست ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح للعقول أبواب الفكر فيفكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر العددين يفتح باب الدرس حتى يعرف أنه لاحدّ للسنين ولاوقوف لها عند حدّ والله واسع عليم ــ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ــ انتهى نصف الساعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تمّ الكلام على الفصل الثانى والحمد لله رب العالمين



الفصل

الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجملوا في قوله تعالى ــ ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ ــ

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ

لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ *
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنعم المجيبون) أي فوالله لنعم المجيبون نحن (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الغرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب، ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج. هذا هو المشهور على ألسنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء الى يوم القيامة، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أي سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة تبشيرا بالنجاة والذكر الحسن لكل من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه

﴿ قصة ابراهيم ﴾

قال تعالى (وإن من شيعته) ممن شايعه في الايمان وأصول الشريعة (لابراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم) إذ ظرف متعلق بشيعته لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه) عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم ابراهيم (أئفكا آلهة) أي أتريدون آلهة دون الله لأجل الافك أي الكذب (فما ظنكم برب العالمين) أي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر في النجوم راميا ببصره الى السماء ليريهم انه ينظر فيها لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه سقيم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في جميع الأمم فتفرقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وهذا من معاريض الكذب لأنهم فهموا انه سقيم الآن وهو يريد سأسقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به سقيم أو نفس السلامة داء كما في المثل «كفى بالسلامة داء» أو اني سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين) مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) مال اليها (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) من الطعام الذي أمامكم فلم يجبن (مالكم لا تنطقون) لا تجيبون (فراغ عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أي ضاربا بسبب الحلف السابق منه ليبر في يمينه، أو ضاربا بيمينه للدلالة على القوة، فرجعوا الى أصنامهم فوجدوها مكسرة (فأقبلوا اليه يزفون) يسرعون فقالوا نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم (قال أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟ (قالوا ابنوا له) لأجله (بنيانا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في الجحيم) في النار الشديدة

(فارادوا)

(فأرادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الأسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال إنى ذاهب الى ربى) أى الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى مافيه صلاح فى دينى و يعصمنى و يوفقنى (رب هب لى من الصالحين) أى بعض الصالحين أى الولد (فبشرناه بغلام حليم) فالبشارة بثلاث : انه ذكر ، وانه يبلغ أوان الحلم ، وانه حليم . ومن حلمه انه رضى بالذبح كما سيأتى (فلما بلغ معه السعى) أى بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ فقيل مع أبيه ، فاذن معه بيان لايتعلق ببلغ ولا بالسعى (قال يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) إذ قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روّى فى ذلك من الصباح الى الرواح ، أمن الله هـذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فمن ثمة سمى يوم التروية فرأى مثل ذلك فى الليلة الثانية فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمّ بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيجزع أم يصبر (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى ماتؤمر به (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا (وتله للجبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (وناديناه أن ياابراهيم ٭ قد صدّقت الرؤيا) أى حققت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما محذوف أى كان ما كان مما لايحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا (إن هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) كبير الجثة سمين ، يقال ان جبريل أتى له بكبش أملح أقرن من الجنة ، و يقال انه رعى فيها أربعين خريفا ، وقيل انه وعل أهبط عليه من ثبير ولما هرب من عند الجمرة رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة ، و يقول الحنفية : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه فى الآخرين ٭ سلام على ابراهيم) هو كما سبق (كذلك نجزى المحسنين ٭ إنه من عبادنا المؤمنين) وقوله (و بشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحق أى ولما أسلم أمره لله فى ذبح اسماعيل بشره الله باسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أى أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن) فى عمله (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه

﴿ لطيفة ﴾

فى هذه القصة الشجاعة بالفتك بالعادات المزرية بالإنسانية والشجاعة فى اقتحام الأهوال وقد قام بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والاناة وأن يستعدّ الانسان لتسليم نفسه لله كل وقت لايبالى بما يصيبه من فقد أوقتل أونقص ، كل ذلك تعليم لنا وتهيئة للمعالى ، ولقد سبق فى ﴿ سورة البقرة ﴾ انى ذكرت لك هناك « لغز قابس اليونانى » قبل الميلاد بخمسمائة سنة إذ شرح كل الأحوال الانسانية من علم ومال وولد وملك فلم يجعل للانسانية سعادة إلا بالصبر على مايصيب الانسان ، فالصبر أوّل الامور وآخرها ، وأخرج من السعادات العلماء والشعراء والأغنياء والملوك وأهل الجمال والوارثين فقد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل مايقرؤه الناس فى الكتب من الأخلاق أدبا مزوّرا . فأما الأدب الحقيقى فهو الأخلاق وأهمها الصبر على النوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يبتلوا بالمصائب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف يرضى ابراهيم بذبح ولده . وكيف يرضى اسماعيل بالذبح لذلك وردت هـذه القصص فى القرآن . ومن عجب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وانه السعادة القصوى . يقول قابس « لأن النفس مادامت تفرح بالنعمة وتؤلمها النقمة فانها رعناء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يطلعان على الفاجر والصالح . والسعادة التى اصطلح عليها الناس لابقاء لها فهى رعناء تفرح بها النفوس الرعناء » فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئنة لكل مايأتى عليها وهذا قوله تعالى ــ لكيلا تأسوا على مافاتكم

ولاتفرحوا بما آتاكم – وقوله – إن الله لايحب الفرحين – وهذا الخلق يحصل بأحد أمرين : إما بتوالى النوائب على امرئ حتى يصير قادرا على احتمالها . وإما أن يدرس هذا العالم درسا مدققا فيدرك إذ ذاك أن العالم نظام واحد له صرب يربيه مطلع على كل جليل وحقير وحينئذ يرى أن الله معه فى السراء والضراء فيرضى وقتا و يغلبه الطبع وقتا ولكنه أقرب الى الرضا من الجهال

﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوّة وغيرها من النعم الدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون ومن الغرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق (وتركنا عليهما فى الآخرين ✲ سلام على موسى وهرون ✲ إنا كذلك نجزى المحسنين ✲ إنهما من عبادنا المؤمنين)

﴿ قصة الياس ﴾

هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبى عليه السلام (وان إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى أتعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك و يطلق البعل على الرب بلغة اليمن و يصير المعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأوّلين) بدل من أحسن (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه فى الآخرين ✲ سلام على إلياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين (إنا كذلك نجزى المحسنين ✲ إنه من عبادنا المؤمنين)

﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وإن لوطا لمن المرسلين ✲ إذ نجيناه وأهله أجمعين ✲ إلا عجوزا فى الغابرين ✲ ثم دمرنا الآخرين ✲ وانكم) يا أهل مكة (لتمرّون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى أفليس فيكم عقل تعتبرون به

﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس لمن المرسلين ✲ إذ أبق) هرب (الى الفلك) من قومه بغير اذن ربه (المشحون) المملوء (فساهم) فقارع أهل الفلك (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة ✲ روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من اللقمة (وهو مليم) آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدّة عمره أوفى بطن الحوت إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) ميتا (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل وكان لبثه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) هو القرع ، وكل نبت يمتدّ على وجه الأرض كالقرع يقطين ✲ قيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع . قال : أجل هى شجرة أخى يونس (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فلأسمعك ملخص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يونان » أى يونس بن امتاى قائلا قم اذهب الى أهل نينوى المدينة العظيمة فهرب يونان من وجه الرب فنزل الى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فجاءت ريح شديدة وكان ما كان مما هو

معروف

معروف من أمر القرعة ، ولما خرجت القرعة بأن يرمى فى البحر خافوا خوفا شديدا ثم طرحوه فسكن البحر ، وأما الرّب فألهم حوتا فابتلعه

﴿ الاصحاح الثانى ﴾

فصلى يونان الى الرّب إلهه من جوف الحوت الى آخر ما هنالك فنبذه الحوت بعد ثلاثة أيام الى البرّ

﴿ وفى الاصحاح الثالث ﴾

إن الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى رسولا ثانيا فذهب اليهم وقال بعد أربعين تنقلب نينوى فآمن أهل نينوى وصاموا ولبسوا المسوح جميعهم من الملك الى أدنى رجل فعفا الله عنهم ولم يهلكهم

﴿ وفى الاصحاح الرابع ﴾

ان يونان لما رأى ذلك اغتمّ غما شديدا وقال يارب أنا كنت بادرت الى الهرب لأنى أعلم انك ستفعل ذلك وتعفو عنهم ، ثم جلس شرقى المدينة وجعل لنفسه مظلة ليجلس تحتها فأنبت الله له يقطينة فارتفعت على رأسه ليخلصه من غمه ففرح يونان فرحا عظيما ثم أرسل الله لها دودة وقت الفجر فضربت اليقطينة فيبست وعند طلوع الشمس جاءت ريح شرقية حارّة فضربت رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت فقال الله ليونان هل اغتظت من الصواب من أجل اليقطينة ؟ أتشفق على يقطينة لم تتعب فيها بنت ليلة نبتت و بنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة وفيها خلق كثير لايعرفون يمينهم من شمالهم و بهائم كثيرة . انتهى ملخصا من التوراة

ثم قال تعالى (فآمنوا) أى الذين أرسل اليهم يونس (فتمعناهم الى حين) الى انقضاء آجالهم . انتهى التفسير اللفظى للفصل الثالث من السورة

﴿ لطيفة فى قصة يونس وقصة ابراهيم عليهما السلام ﴾

إن يونس تعجل أمر الله فأما ابراهيم واسماعيل الذبيح فانهما صبرا ، إن ابراهيم قانت لله شاكرا لأنعمه صابر ففيه الصبر والشكر ، فأما يونس فانه ذاكر لله ولكنه استعجل ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ ـ فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ـ فاذن القصد من هذه السير ترقية المسلمين أى ان الصبر هو عمدة السعادة فى الدنيا ، فابراهيم صابر شاكر ، وأما يونس فانه قد استعجل مع انه يذكر الله ، فذكر الله نفعه ولكن الصبر درع ، ذلك هو المقصود من هذه القصص ، وقد قدّمت لك أن الصبر عليه مدار السعادة فى الدنيا لأن الامور ليست تحت تصرّف العباد ، فالناس جميعا معرّضون لما لايرضونه كل آن فان لم يكن صبر فلاسعادة ولاشرف فى الدنيا ولا الآخرة . انتهى الكلام على الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ

الجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا الفصل فيه ملخص الفصلين السابقين فان أول السورة ذكر الصافات وهم الملائكة وهنا أخذ يستفتي أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر انهم هم الصافون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر المرسلين وهنا ذكر انهم منصورون . فاذن هذا الفصل ملخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى (فاستفتهم ألربك البنات) الاناث (ولهم البنون) عطف على ماتقدم في أول السورة ـ فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ـ والكلام هنا في انهم نسبوا لله الولادة والله منزه عن المادة فكيف يلد ؟ وفي انهم جعلوا الولد أضعف الزوجين الذكر والأنثى وفي أن الملائكة الذين لايوصفون بمايوصف به الحيوان إناث وهذا قوله تعالى (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) حاضرون (ألا انهم من إفكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) إذ لادليل عليه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد (مالكم كيف تحكمون) بئسما تقضون لأنفسكم ترضون لله مالاترضون لأنفسكم (أفلاتذكرون) انه منزه عن ذلك (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أوكتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله (فائتوا بكتابكم) الذي نزل عليكم (إن كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا) أي الملائكة ويسمون جنا لاجتنانهم (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب والصاحبة . وقوله (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين (فانكم) ياأهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (إلا من هوصال الجحيم) أي لستم تضلون أحدا إلا من استعدوا للفتنة بحسب فطرهم فيكفرون فيصلون جهنم كما هومقدر أزلا كقوله تعالى ـ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ـ يقال فتن على فلان امرأته أي أفسدها عليه . قال جبريل عليه السلام (ومامنا) أحد (إلا له مقام معلوم) في المعرفة والعبادة والانتهاء الى أمر الله في تدبير العالم ✲ وعن ابن عباس «مافي السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح» فهذا وحديث «أطت السماء وحق لها أن تئط»(١) يفيدان كثرة الملائكة (وانا لنحن الصافون) في أداء الطاعة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون عما لايليق به ويصح أن يكون الكلام في النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في أول السورة (وان كانوا) أي كفارمكة قبل مبعث النبي ﷺ ان مخففة من الثقيلة (ليقولون لوأن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة له

(١) الاطيط أصوات الابل

ولم تخالف مثلهم فجاءهم الذكر الذى طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحلّ بهم من الانتقام (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤم * (فتولّ عنهم حتى حين) الى مدّة يسيرة (وأبصرهم) أى أبصر ماينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . أوأعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم (وتولّ عنهم) يامحمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزّة عما يصفون) عما قاله المشركون مما حكى فى السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرّسل عموما بعد سلامه فى الفصل الثالث على المذكورين فى السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفيه تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولايخلوا به * قال علىّ رضى الله عنه : « من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه — سبحان ربك رب العزّة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين — »

واعلم أن المؤمن فى كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عبادالله الصالحين » ولاجرم أن الصالحين يشملون الأنبياء فكأن المؤمن يحيي كل روح شريفة من الأرواح المفارقة للمادة وعند قيام المرء من المجلس يسلم على المرسلين ويحمد الله مربى العالمين وتربية العالمين تشمل الارسال والهداية وتعذيب الكافر والعاصى واثابة الطائع المؤمن . فالمؤمن يحمد الله على تربيته للعالمين ومالخير والشرّ فى التربية إلا أخوان . فالموت والحياة والضرّ والنفع سواء فى التربية . وفى هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنؤن بالسلامة وبالاكرام من الله ويمنحون نعما عظيمة فى الدنيا بالنصر وفى الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جماله اهـ

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

(١) فى قوله تعالى — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب —
(٢) فى قوله تعالى أيضا — إنا زينا السماء الدنيا — الخ
(٣) فى قوله تعالى — احشروا الذين ظلموا — الخ
(٤) فى قوله تعالى — إنى كان لى قرين —

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا — الى — شهاب ثاقب —)

(خواطر فى يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠)

معلوم أن الصافات صفا هم الملائكة المذكورون قبل آخر السورة — وانا لنحن الصافون * وانا لنحن المسبحون — فهؤلاء الصافون هم القائمون بنظام العالم وتدبيره بأمر ربهم وهم الملهمون الناس العلم كما ان الشياطين يوسوسون بالشرّ — فالزاجرات زجرا — اشارة الى الأعمال النظامية — فالتاليات ذكرا — اشارة الى العلوم ولاوظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدأ لعلوم الأمم ولتربية الحكماء والفلاسفة فى الأرض . يخرج الانسان طفلا فمراهقا ففتى فينظر فيرى كواكب وشموسا وهو فى هذه على إحدى ﴿ أربع حالات * الحال الأولى ﴾ أن يرى الكواكب ببصره وهو لايشعر بجمال ولايعجب بها إما لقصور فى نظره واما لاعراض كمرض أوعواطف خاصة أوأمور شاغلة جسمية أوعقلية . فهؤلاء كلهم يرون النجوم والشمس والقمر كما يرون المدر والحجر فلاتعجب ولااحساس بالجمال ﴿ الحال الثانية ﴾ أن يحسّ بالجمال . ولاجرم أن

هذا أرقى من سابقه لأن الأول شارك الدواب والنمل والنحل فى انها نظرت الأنوار بل النبات له احساس بالنور إذن لامزية للأول على غيره من الأحياء ولكن الثانى لما رأى أن فيها جمالا تبدّى بلألائها وبهجتها وصار يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وابتهاجا بها ، فهذا ارتقى من حال الحيوانية الى مبادى الانسانية ﴿الحال الثالثة﴾ تتوقف على السابقتين إذ يقول فى نفسه هذا جمال رهذه بهجة وهذه العوانس الأوانس والخنس الجوارى الكنس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السير والنظام فلابحث عن كيفية دورانها وسنيها وشهورها و بروجها ومنازلها ونظامها وحينئذ يقول : « إن النظام الذى أدركه عقلى بالحساب والعلوم الرياضية لانسبة بين جماله وشرفه و بين جمال وشرف الألوان الظاهرة . فالثانى لفظ والأول معناه . والثانى عرض والأول جوهر . والثانى مبتدأ والأول خبره . والثانى قشر والأول لبه . والثانى زهر والأول ثمره . هنالك تتجلى تلك المعانى البديعة فى نفوس المطلعين فترى البصيرة من بدائع الحركات وفنون النظام وجمال الابداع وحينئذ ينسون الجمال الظاهرى وتسكر عقولهم بلذة الأفراح العامية فى باحات الأفلاك السماوية ﴿الحال الرابعة﴾ تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم مالاعين رأت ولاأذن سمعت و يقولون جمال ظاهر ونظام بحساب لاخطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل المجرات والسدم ولكل كون سيارات وللسيارات أقمار وكلها ذات حركات سريعة لاتصطدم ولاتخطئ . فهنالك تودّ النفس لو يتاح لها مشاهدة المبدع لهذه العجائب وهنالك تكون السعادة التى لاحد لها . فمن أدرك ذلك فى الدنيا وشعر بما أكتبه شعورا مبنيا على علم حقيقى فهومن الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جميلا أحست به نفسه فسعدت سعادة حقيقية وابتهج بادراك صانعه وأحسّ بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من نصب أوألم يرى أن ذلك الصانع حكيم فى فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زينت لهم السماء حقا . فأما الفريق الثانى والثالث فهما أقلّ من هؤلاء . فأما الأوّلون فهم همج الهمج . ذلك أن هذا الفريق قد جعل من بين أيديهم سدّ ومن خلفهم سدّ وذلك السد معنوى فلايرون مايراه غيرهم . فلهم أبصار ولكن لايبصرون وأسماع ولكن لايسمعون إما لنقص الفطرة ونقص القريحة أوللشهوات واللذات أوللآلام أوللعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز ـ وحفظا من كل شيطان مارد ـ . وكيف يسمعون الى الملأ الأعلى وهم لايفرحون إلا بلذات بطونهم وشهوات فروجهم والاستعزاز بالمال والجاه والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع الجمال فهم غارقون فى لهوهم والدنيا حافلة بأنواع الجمال والكمال . ومن هؤلاء فى الدنيا من يسمع حكمة فتبهره فى لحظة فيحس بأمر لم يعهده فى نفسه فتارة يثابر عليه و يستزيد علما وهذا العلم إماأن يكون علما بالجزئيات واما علما بالكليات . فالعلم بالكليات أمثال ماذكرته فيما تقدّم من الابداع فى النظام والحكمة والعلم بالجزئيات مثل أن يفكر فى أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب الديانات فيرى أن بعض المسلمين اليوم قد غلبوا على أمرهم وأن أهل أوروبا هم الغالبون بالسلاح والكراع وأن الفاسق والكافر يسود و يغلب الصالح الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهنالك يحصل الشك والكفر والضلال فالخطفة على قسمين : خطفة تؤدّى الى الهدى فى النظر الى النظام العام العجيب . وخطفة تؤدّى الى الردى وتوقع الانسان فى هوة الهلاك بالنظرات الجزئية وهذا هوالذى يحصل فى هذه الأرض وهوالمرموز له بالخطفة التى يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور فى سورة الحجر إما للهلاك واما للحكمة والعلم . ومن عجب أن الشهاب يهدى و يهلك كالماء به الحياة والممات وهكذا النور . ولا أحد ممن تعلموا من جهال نوع الانسان يخلو من إحداهما . فأهل الأرض إما قوم صالحون آمنوا بأنبيائهم بلا بحث ولاتنقيب . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون فى الجنة الجسمية و يكونون من

أصحاب اليمين . واما قوم قالوا كلا نحن نريد أن نعرف بعقولنا وهؤلاء قسمان : قسم بحث فلم يصل وكسل ومال الى الترف والنعيم ، وهؤلاء هم الدرجة الوسطى من الباحثين وهم أهل الضلال . وقسم وصل وعرف أمثال مافى هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقرّبون ومن قبلهم هم أصحاب المشأمة

ملخص ما تقدم أن للناس جميعهم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون لايعقلون ، وناظرون يعقلون الأنوار المحسوسات ، وناظرون يدركون سرّ الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأوّل منهم من ينظر نظرة فاما أن يلحق بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، واما أن يهلك فيردى ، هذا ملخص ماتقدّم وهو من أسرار هذه الآية

﴿ نظرات الناس فى قراءة القرآن كنظراتهم فى الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين فى الفلك وجماله يكونون أربعة أقسام ، هكذا قرّاء القرآن ، فنهم من يكتفى بلفظه فيقرأ هذه الآيات ويكتفى بالتلاوة فهذا كالفريق الأوّل ، وقسم يعجب بالبلاغة والاعراب وأنواع المجاز والاستعارات والتقديم والتأخير والذكر والحذف وهكذا من فنون علم المعانى والبيان والبديع . فهذه الطبقة الثانية هى التى تقف عند الفرح بمحاسن الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء وجهلوا ماوراءها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرّسون فى المدارس الشرقية والغربية المختصون بفن البلاغة ، وقسم ثالث يقول كلا . لابد من الدراسة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع يخطو وراء ذلك خطوات وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدّم . فههنا اجتمع الفريقان : فريق الناظرين . وفريق السامعين وان كانوا فى مبدأ الأمر مفترقين

﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب معى أيها الذكىّ : انك مهما قلبت طرفك فى آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لاترى غير هذه النظرات . سبحانك اللهم وبحمدك . إنك جعلت (طاليس الملطى) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادّة وقالوا إن الهواء أوالماء أوالنار أوالأرض أوالأجزاء التى لاتتجزأ هى أصل هذا الوجود كله فلاإله ولاملك ولانبىّ ولارسول فالعالم أوّله وآخره لاأصل له إلا ذلك . وهذه الطائفة هنا تشبه الطائفة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدّمة بعض الشبه مع اختلافهم فى تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا فى الأصل واختلفوا فى تعيينه . وجاءت طائفة ثانية فقالت : « والله نحن متحيرون ! هذه الأرض لاعلم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال كلا . ههنا فى الطبيعة حساب وههنا هندسة ونظام . إذن الحساب أصل أويقولون هنا محبة ونفور ودفع وجذب . إذن أصل العالم محبة ونفور أوحساب مثل مايقوله فيثاغورس وانبذقليس . وقسم رابع قال : « لاحساب بلا حاسب . ولامحبة ولانفور بدون فاعل لهما » وهؤلاء هم انكساغورس ثم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرّوا بالله ولكن الأوّل ظنه لاعمل له إلا فى الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لايخرج عن حصرها أحد فى العالم قديما وحديثا ومستقبلا . فاذا سمعت أن طائفة من المتعلمين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بخنر الألمانى المفسر لمذهب (دارون) والدكتور (شبلى شميل) المترجم لهذا الكتاب الى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء فى صف القسم الثانى والأوّل فهم إما متحيرون واما واقفون عند المادة . واذا سمعت قوما منهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادة حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكساغورس الذى تقدم وهكذا

واعلم أن هذه درجات نوع الانسان فى كل عصر وجيل لاتخلوالأرض منهم وذلك على مقتضى جبلاتهم ومنتهى ماوصلت اليه عقولهم ، والسبب فى ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا فى المعرفة كما قيل :

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم ✲ لايستوون كما لايستوى الشجر
هـذا له ثمر حلو مذاقتـه ✲ وذاك ليس له طعم ولا ثمر

﴿ نظرات الخليل عليه السلام ﴾

ومن عجب أن هذه المراتب الأربع هى التى أشارالله لها فى القرآن فى نظرات الخليل ، فان الكواكب والقمر والشمس لم تكفه فى نظراته فتخطاها وقال — وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض — الخ واياك أن تقف عند اللفظ فليس الخليل عليه السلام بالذى يقف عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للمعارف والعلوم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهى الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيدك الله أن نظرات الخليل ذكرت فى القرآن ليتعلم المسلمون كيف يرتقون فى أسباب العلوم وأن هذا لابدّ منه لمن يريد الوصول لله وليس المعنى أننا نكتفى بهـذه الآيات أو بلاغتها أومعناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلن العروج لله بالحكمة والفهم والتعقل

أفلاترى أن هذا من غرائب القرآن وعجائبه ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ماذكرناه هنا وهوماجاء فى « اخوان الصفاء » الذى ألف منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم كانوا لايفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات والطبيعيات حتى يعرف جمال الله فى تشريح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهـم يظنون أن هذه العلوم تنافى الدين فوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية فى ذلك الكتاب فيعتد هذا التأويل كفرا فينفر من الكتاب ، فاذا نقلت لك الآن جملة صالحة منه فانى أقول نحن الآن لسنا مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ونذرماالادليل عليه . هذا ديدننا فى هذا الكتاب وغيره ولايصدّنى عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ فى بعض المسائل فما فيه الخطأ أنا أجتنبه لاانى أترك ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أومحقق فى حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولوكانت هذه القاعدة صادقة لم يخلق الله العالم . إن الماء وان النار وان الهواء وان الشمس كل من هذه فيها هلاك باغراق ناسك واحراق عجوز واحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حمى واحداث ضربة الشمس . فلوكان الضرر القليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفنى هـذا العالم كله ولكان خلقه عبثا — وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين — إذن فلأقصّ عليك ماجاء فى كتاب « اخوان الصفاء » فى الجزء الثالث منه تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ فصل فى جزاء المحسنين ﴾

اعلم ياأخى أن جزاء المحسنين يتفاضل فى الآخرة بحسب درجاتهـم فى المعارف واجتهادهم فى الاعمال الصالحة والناس متفاوتو الدرجات فى أعمالهـم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح وماشاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسنونة فى الشرائع المشغلة لهم عن فضول و بطالة ومالاينبغى لهم كيلايقعوا فى الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكر والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات . وبخاصة مايتعلق بالدين وقدقيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكر قال الله تعالى — قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا — ثم اعلم أن الانسان إذا عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر فى الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان

احداهما

إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه إلى الغي والضلال وذلك ان أمور العالم نوعان كليات وجزئيات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر فى كلياتها و يعتبر أحوالها وتصاريفها و يبحث عن الحكمة فيها بإتقانه وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكلما تقدم فيه ازداد هداية و يقينا ونورا واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يتفكر فى جزئياتها والبحث عنها وعن عللها خفيت وانغلقت مناحيها وكلما ازداد تفكرا ازداد تحيرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك فى عذاب أليم . مثال ذلك انه اذا ابتداء الانسان أولا وتفكر فى نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا فى صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار نطفة فى قرار مكين . ثم كيف صار مضغة . ثم كيف كسا العظام لحما . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهى . ثم كيف أخرج من الرحم الذى هو عالم كونه إلى الدنيا الذى هو عالم آخرته . ثم كيف صار طفلا حساسا . ثم كيف ترى وهو طفل صبى جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا عالما أوجاهلا . ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكيما مدبرا متملكا على ماملك . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع كما كان بديا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة ــ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء ــ فاذا فكر الانسان فى هذه الحالات التى ينقل فيها من أدونها الى أتمها ومن أفضلها الى أكملها فيعلم بالضرورة و يشهد له عقله ان له صانعا حكيما هو الذى اخترعه وأنشأه وأنماه فاذا تحقق عنده ماوصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعلم علما يقينا انه قد فعل بهم مثل مافعل به وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكرا فى هذا الباب ازداد بربه يقينا و بأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى حى عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر فى التشريح أوفى كتاب منافع الأعضاء أوكتاب الحيوان أوكتاب النبات أوكتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أوكتاب تركيب الافلاك وماشاكلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته وعجائب مخترعاته فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما و بأوصافه اللائقة به معرفة واستبصارا و إليه قربة و إلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدى سالكه إلى الله تعالى و إلى نعيم جنانه * وأما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدى الى الشكوك والحيرة والضلالة والعمى وهو أن يبتدئ الانسان قبل النظر فى العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه و يهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشكلة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنباء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير وعمرو العاجز غنى ولم جعفر الغبى أمير وعبدالله الحكيم حقير ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوى صحيح ولم هذه الدودة صغيرة وهذا الجمل كبير ولم الفيل مع كبر جثته له أربع قوائم والبق مع صغر جثته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البق والذباب والقردان والبراغيث وأى فائدة فى خلق الخنازير والوزغ وأى حكمة فى خلق العقارب والحيات وماشاكل ذلك من المسائل التى لايحصى عددها إلا الله ولايعلم سواه عللها فاما الانسان فانه لايعرف الحكمة فى عللها الا بعد النظر فى العلوم الالهية وهو لايعرف الا بعد النظر والتفكر فى الامور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر فى الامور المعقولة وهو لايعرف الا بعد النظر والتفكر فى الامور المحسوسة فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولامتأدبا بها ولاصافى النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدى أولا بطلب الامور المشكلة التى تقدم ذكرها فلايدركها ولايعقلها فيرجع عند ذلك خاسرا متفكرا متحيرا غافلا بنفسه وسواسا فى قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات باتفاق لا بعناية حكيم ولاصنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمر عالمه حتى يجرى فيه مالا يليق بالحكمة أو يظن أنه لا يعلم مايجرى فيه أوأنه لايفكر فى هذه الامور الجزئية ولايهمه أو يظن انه قاس قليل الرحمة والنظر

لضعفاء الخلق أراه جائر فى قضائه وأحكامه متعب لخلقه مفرط فى تقديره غير عـدل ولا حكيم فى كثير من أفعاله لا يرحم الضعيف وحاشا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذى قدناه فى طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولا معرفة بحقائق الاسرار المعروفة وقيل ان حكيم الفرس بزرجمهر لما تفكر فى هذه الامور المشكلة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فان مصائب العباد اذن لعلل لا يعرفها اقرارا على نفسه بالعجز عن معرفة هذه الامور المشكلة و يقال ان نبيا اجتاز مرة بعين من الماء فى سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى الجبل ليصلى فبينما هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركب فمضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعى الغنم ورأى الكيس فاخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها فحط هناك حزمته واستلقى يستريح مما به من شدة الضعف والتعب والربق والانبهار ففكر النبى وقال فى نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى باخذه من ذلك الراعى الشاب الغنى القوى فما كان الا قليلا حتى أن الفارس قد رجع الى مكانه الذى شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندى خبر هذا فضربه وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ماوجه الحكمة فى هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى اليه ان أبا الشيخ قتل فى الزمان الماضى أبا الفارس وكان على أبى الفارس دين لابى الراعى بمقدار مافى الكيس فاخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكى أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز بنهر فيه صبيان يلعبون و بينهم صبى مكفوف وهم يغوصونه فى الماء و يولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبى فى أمره ودعا ربه أن يرد بصره و يساوى بينه و بين الصبيان فلما رد الله بصره فتح عينيه فقرب الى واحد من أولئك الصبيان فتعلق به وغوصه فى الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الباقون فدعا النبى حين ذلك ربه أن يكفيهم شره فاوحى الله تعالى اليه وقال انى قد فعلت ولكن لم ترض بحكمى وتعرضت فى تدبيرى لخلقى فقبين للنبى ان كل مايجرى فى العالم من أمثال هذه الامور فلله تعالى فيه سر وتدبير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى فى القرآن من حديث نبيين وماجرى بينهما من الخطاب فى هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكتمان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبرا وانما ذكرنا هذه الحكايات فى هذا الفصل لان أكثر الآراء والمذاهب تتشعب من هذه الامور المشكلة التى فكر فيها العلماء وطلبوا عللها فاذا لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الامن عصمه الله وهدى قلبه وعرفه كما قال ــ ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء ــ وقال الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ــ وقوله ــ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ــ اهـ

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وها هو ذا أوضح لنا ﴿ ثلاث مسائل ✡ الأولى ﴾ أن النظر فى هذه العوالم يقرّبنا الى الله ويجعلنا مشتاقين الى لقائه . ولن يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا اذا استوثق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة المعجبة . وهذه الخصلة هى نهاية حكمة الحكماء فى الأرض . فاذا اشتقنا الى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزنا وألما إذ به نرى ذلك الذى أرانا شموسا جميلة وكواكب وجعل أضواءها سببا فى نظام النبات وتنوّعه بحيث يسدّ الجوع ويكسو الجسم ويبهج النظر ويؤتى الدواء ويزيل الداء ويبهج حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس بالملموسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذى يبدع هذا الابداع ويجعل شمسه العظيمة مواتية فى نتائجها لحواسنا ورغباتنا . اليه يشتاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه تحسّ نفسه بهذا النعيم العلمى . كلا . ثم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه ألف واحد ولكن

الذى يقدره حق قدره عدد قليل وهم الكاملون فى العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب لضعف الاستعداد — وقليل من عبادى الشكور — ﴿ المسألة الثانية ﴾ إن اشتغال النفس بالامور الجزئية من قوت وحياة وفقر وغنى لاتعطى إلا الشكوك وظن السوء ﴿ المسألة الثالثة ﴾ ان العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظروا فى الكليات صار عندهم يقين بأن صانع العالم ليس يذر ذرة بلاحساب وهو عدل فى الجزئى كما انه ثبت انه عدل فى الكلى . أما العامة فلما عجزوا عن البرهان المذكور فهؤلاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية الصبى الأعمى وحكاية الخضر وموسى عليهما السلام انتهت اللطيفة الاولى والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى أيضا — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون الى الملأ الأعلى — الى قوله — شهاب ثاقب —)

(كتب فى صباح يوم السبت (٢٩) مارس سنة ١٩٣٠)

قبل أن نخوض فى هذا المبحث العجيب أقدّم مقدّمة فأقول : « لقد تقدّم فى هذا التفسير مارآه سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادّة وماتركب منها لايستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العلوم ولامسميين باسم الموجود . المادّة عندهم لاتصلح موضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادّة متحركة غير ثابتة . هى دائمة التغير والتعثر فى أذيال الكون والفساد فكيف يتكئ عليه العلم ؟ وكيف تكون له مهدا ؟ »

هذه هى النظرية التى نسقها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطاليس فأقرّها من جهة وخالفها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادّة لاتصلح مناطا للعلم ، ولكنى لا أوافق أستاذى فى أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لابرهان عليه » ولا أريد أن أطيل فى هذا المقام لأنه معروف فى سابق هذا التفسير وفى لاحقه إن شاء الله فى ﴿ سورة القتال ﴾ عند آية — فاعلم أنه لاإله إلا الله — وانما سقت الكلام فى هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعلوا المادّة لاتصلح مناطا للعلم بل لاتصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لامعنى له إلا اذا كان دائما ، أما الوجود المؤقت فما أقلّ نفعه وما أضلّ سعيه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدّمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

اذا كان العلم لايبنى على مالادوام له وكذلك الوجود فليكن هكذا الفرح ، فاذا فرح الناس بما لا بقاء له ففرحهم غرور وسرورهم غمّ ونعيمهم شقاء وغناهم فقر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بالزينة المنصوبة فى الأرض وفى السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فالزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الغناء وجداول الماء وبهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وبهجة الأحجار الثمينة ، كل ذلك جمال طبيعى لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه فى أوقات فراغهم ينشرحون . أما الزينة الصناعية فهى مايصنعه الناس من زينة فى ثيابهم ومنازلهم ومساجدهم ومعابدهم ومايزينون به نساءهم من الدمالج والأقراط والخواتم والحلى والحلل ومايزدان به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة فى الولائم والمسرات لمولود أوختان أوعقد لزواج أولزفاف أو لنصر على عدوّ أولتتويج ملوكهم وأعيادهم أوحفلات دينية كالأعياد والمواسم التى اعتاد الناس أن يرفعوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتحلوا بما يحلو لهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجمل منظره وندر الحصول عليه من الأحجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التى اعتاد الناس أن يظهروها فى مواسمهم وفى أفراحهم الخاصة وهى تتبع فى نظامها ثروة الذين قاموا باظهارها . فاذا كان القائم بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة ونفوذ وغنى

مدّت سرادقاتها وتلألأت أنوارها وازدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يعلق عليها من أفانين الأنوار من أصفر فاقع وأخضر ناضر وأحمر قان وأبيض يقق ، فترى الزينة تبهر العقول تذكرة لحوادث وطنية وأحوال سياسية أو أعياد دينية

هذه مجامع مايزدان به الناس فى الأرض وبه يهيمون وله يهرعون ويفرحون . هذه كلها زينة الأرض وكلها فانيات . أما زينة السماء فهى تلك النجوم الجميلة التى رصعها الله فى الجو الذى فوقنا ، فهى دائمة باقية فى أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن فى مصر فى هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات فى شهر مارس سنة ١٩٣٠ فنها ماهى لملك البلجيك ، ومنها ماهى لنفس ملك مصر بحيث ازدانت جميع الدواوين بالأنوار المتلألئة وذلك فى يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمرّ الأعياد الدينية تلو الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل وليمة العرس أو الختان أو غيرهما ثم تنتهى تلك الزينات ويرجع الناس الى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ، زينا منازلنا ومدننا أم لم نزينهما فزينة السماء الدنيا باقية ، فاذا أزيلت الزينة من الأرض فزينة السماء باقية ليلا ونهارا وهى زينة بديعة شمسها الوهاجة تجرى ولانظير لنورها فى مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضيئة جميلة بهجة سارّة للناظرين . زينة العرس تتلوها المآتم وكل زينة نصبناها فى الأرض يعقب الفرح بها ردّ فعل وهذا قوله تعالى ــ إنّ الله لايحب الفرحين ــ

تأمّل أيها الذكىّ ماتقدم بقسميه وهما زينة لاتدوم وهى الأرضية وزينة دائمة وهى السماوية ، ولاجرم أن لكل زينة رافعا لها ومنظما ، ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرّجين عليها الفرحين بها . فههنا ثلاثة : منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فنظم زينة الولائم فى الأعراس أناس لهم علم باتقانها والمدعوون للفرح قوم آخرون ، فالسماء وكواكبها هنّ الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن ليس كل ناظر للزينة ينشرح بها صدره ، فالرجل الذى ساورته الهموم ، وأحاطت به الغموم ، وأرهقته الديون اذا مرّ باعظم زينة لايحسّ بها فؤاده ، ولاينشرح بمرآها صدره ، ولايسر بمعهدها قلبه ، بل لامنزلة لها عنده ، هكذا الناظرون الى السماء أكثرهم لايعقلون جمالها إما للجهل أو لانصراف النفس لامور عارضة أو لنقص الفطنة أو الفطرة ، والنفوس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفوس الصغيرة تألف الزينة الفانية ✡ قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ✡ وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعظم فى عين الصغير صغيرها ✡ وتصغر فى عين العظيم العظائم

ترى الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بمايرون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية وهم للصناعية أميل لأن صانعها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهى فى المرتبة الثانية لأن صانعها ليس من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لايفكرون فيها ولاهم منها يتعجبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين بأمر الله ، إن للملائكة علما وعملا والعمل أشير له فى الآية بالزاجرات زجرا ، وزجر السحاب مثلا فعل فى المادة وهؤلاء لهم السلطان على المادة فيتصرّفون فيها بالكون والفساد والانماء والافناء والتصوير والايجاد ، والعلم والعلم أشير له بالتاليات ذكرا ، أقسم الله بالصافات الزاجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى فى آخر السورة فى شأنهم ــ وما منا إلا له مقام معلوم ✡ وانا لنحن الصافون ✡ وانا لنحن المسبحون ــ

وأكبر مظاهر لهؤلاء الملائكة تزيين السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى ــ والصافات صفا ✡ فالزاجرات زجرا ✡ فالتاليات ذكرا ــ الى قوله ــ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ــ

عجب وألف عجب من نظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا ــ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ــ ويتبعه بقوله ــ وحفظا من كل شيطان مارد ✡ لايسمعون الى الملأ الأعلى ــ الخ ولكنه لم يقل نظير ذلك فى

قوله

قوله تعالى — إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها — بل قال — لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا — . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفى الناس شياطين كما فى الجنّ كما قال فى آية أخرى — شياطين الانس والجن — ولاجرم أن العقول المظلمة من بنى آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التى ليست من نوع بنى آدم فى الأرض لا تعقل جمال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى فى سورة أخرى — وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين — فزينة السماء محفوظة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده فى بنى آدم ان أكثرهم لايعقلون جمال هذه النجوم ولايشتاقون لفهمها ولايحرصون على اكتناه كنهها ولا يتذكرون بها عظمة مبدعها ، فهذه الزينة فوق متناول عقولهم . أما زينة ملوكهم وأعيادهم وأعراسهم وماأشبه ذلك فهم بها فرحون ، ولها وامقون ، وعليها يحرصون

ومن هذا القبيل قوله تعالى — زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين — الخ وقوله — حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا — الخ وقوله تعالى — أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا — وقوله — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — وقوله — ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا —

فهذه مجمل أنواع الزينات التى لابقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعدون عن زينة السموات لالبخل فى العطية ولكن لقصر نظرهم وضعف فطرهم ، فمثلهم كمثل الأيتام إذ يمنعون أن يعطوا مالهم حتى يبلغوا الحلم ، أوكمثل السفهاء من نحو النساء والصبيان الذين قال الله فيهم — ولاتؤتوا السفهاء أموالكم — الخ أوكمثل الغلامين اليتيمين فى المدينة وقد خبئ الكنز لهما فأقام الخضر الحائط عليه ليحفظ حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما

فجالس أيها الذكىّ من تشاء من بنى آدم فانك تستخرج مافى نفسه بالمحادثة ، وسرعان ماتدرك أهو من الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة المكرمين ، فان كان نزاعا الى معالى الامور مغرما بالامور العالية كاستكناه عجائب النظام العام والكواكب مغرما مولعا بمبدعه معجبا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار فى سبيله صار أبا من الآباء الذين خلقهم الله فى الناس وفريق منهم كأبنائه فهو ينفعهم ماديا وأدبيا كما أن الملائكة كذلك ولاتحجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

﴿ تبصرة ﴾

إن أنواع الزينة المنصوبة فى الأرض آنا فآنا مذكرات بالزينة السماوية ، فالحكيم يحقرمايفنى ولا يغرم إلا بما يبقى ، وماجمال الوجوه فى الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الدائم والحياة الروحية الخالدة التى يذكرنا بها دوام الكواكب وأنوارها والشموس وأقمارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كالمعدوم » وهذا يذكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن الكائن الذى لابقاء له ليس جديرا بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جديرا أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكبيرة النفوس لاتبالى بالزينة العرضية وتوجه وجهها للزينة الدائمة التى حفظها الله لهم فلايشاركهم فيها الغوغاء . وهذا هوالأمر المدهش . زينة يراها البارّ والفاجر طالعة غاربة ولكنها لايفرح بها إلا الأقلون

هذا مافتح الله به فى تفسيرقوله تعالى — والصافات صفا * فالزاجرات زجرا — الىقوله — فأتبعه شهاب ثاقب — مساء يوم الثلاثاء أوّل ابريل سنة ١٩٣٠ م

﴿ بهجة العلم ﴾

(فى قوله تعالى ـ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملا الأعلى ـ الآية)

(كتب فى صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠)

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ الى قرى الريف فى المزرعة التى اعتدت أن أراقب أحوالها وبت مع الفلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم فى الجوّ الرائق البهج اللطيف ، فماذا رأيت ؟ رأيت بهجة الكواكب وجمالها والنسمات تلعب بالأشجار والحشائش والزروع والفلاحون يتحدّثون ويديرون السواقى لتسقى الجنات المعروشات من البطيخ والسنطاوى وأشباههما فسألنى سائل : ما الذى نشاهده فى السماء كأنه سحاب وليس بسحاب ؟ فقلت هذه اسمها عندنا المجرّة . فقالوا هى عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما فى طرقكم من التبن . فقلت هى عند علماء الدين أبواب السماء وعند الانجليز الطريق اللبنى وأخذت أذكر لهم عدد نجومها ولكنى ألفيت أن القوم لا تتحمل نفوسهم هذه العجائب ، فلما ان انفلق عمود الصباح وقال المؤذن « حىّ على الفلاح » خيل لى أن يد العناية العظمى القدسية امتدّت جهة المشرق صباحا وقد أخذت تسدل على الظلام ستارا ، وعجبى من هذا الستار لم أر له نظيرا فى الأرض ، ستار لا هو من صوف ، ولا من وبر ولا من شعر ، ولا من قطن ، ولا من تيل ، ولا من حرير ، بل هو ستار من نسيج غير النسيج الأرضى مرصع بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق ونيلىّ وبنفسجى ، والمادّة المنسوجة لا تراها العيون ، ولا تتخيلها الظنون ، ولا يعرف كنهها المفكرون ، لم ينسج على منوالها الناسجون ، نسيج هذا الانسان فى مادّة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج ربّ الانسان فى موجود سماه الناس أثيرا ، كيف نسجه وهو لا يرى يا ترى ؟ نسجه بحركات منتظمات ، حركات سريعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات مظاهر ملوّنة بالألوان السالفة ، فهذه هى ألوان ضوء الشمس فى عالم الأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات فى الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها (٤٠٠) مليون مليون للون الحمرة اذا هذا العدد يزداد فى غيرها بالتدريج حتى يصل الى (٧٠٠) مليون مليون فى الثانية فى البنفسجى

أيها المسلمون : ههنا نسيج كالذى نسجه على منوال لا نقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل الانسان والحيوان فى الأرض . سبع نسائج تدخلت وامتزجت وكوّنت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفى كواكبها وعلى الأرض فأبان مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جميلات وأشجار باسقات

تبارك الله : ستار واحد يخفى عالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجمالها . إن الذى وضع هذا الستار بين العالمين العلوى والسفلى لجميل وبديع . يلقى على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستار يخفى النجوم وهو مظهر الجمال . بهذا الستار تجلى معنى القابض الباسط . فها هو ذا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبحنا لا نراهما وهكذا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبحنا نراها

تباركت يا ألله . انك أنت الذى علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السينما) كيف يقلدون ليلك بالظلام ويقلدون نهارك بالضياء . فاذا أرادوا اظهار صور البلاد النائية والأمم القاصية والديار البعيدة فانهم يقبضون النور ويبسطون الشرائط التى رسمت عليها تلك الأشكال ويعرضونها الى نور ضئيل فأخذت العجائب تبرز للناس فى تلك الدور بهيئة عجيبة وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما نراك أنت فعلت مع الناس ليلا إذ تريهم فى دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبهر الحكماء والعلماء بباهر الجمال وبديع الصنع . فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم فى الحكمة والفلسفة . وهل يكون ذلك إلا فى الظلام

ومناظر

ومناظر النجوم. فأما أكثر الناس فانهم يقفلون أعينهم و ينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام. إذن الظلام يعطى النفوس الانسانية فرصة الحرية التى بها يجولون فى عوالم الكواكب السماوية ويسبحون فى بحار لجية من عوالم الأحلام وفى مواكب مختلفة مذكرات بسوالف الأيام وأعاجيب الزمان ، فاذا قلد صنعك مديرو دور التمثيل بعض التقليد فى تقليبك الليل والنهار فلكم قلد حيواناتك بنو آدم فى صناعاتهم كما تقدم فى ﴿سورة طه﴾ فعاشوا فى الكهوف كما عاش الجرذان تحت الأرض وفى الأدواح كما عاشت فيها الظباء والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجندبادستر) يصنع سدودا لمنع قوة السيل . واتخذوا السفن فى البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة فى البحر ويجعل ذنبه مواجها للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدفه) التى تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدب الشمالى يسافر فى البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الثعلبين البرى والبحرى يعيشان على الصيد الى آخر ماتقدم مما ذكر هناك وهى (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأفاد . أما فى تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركات كما تتحرك النجوم فى مداراتها فاذا انتهى الدور أبرزوا النور فتوارت تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتمحى تلك الأحلام فى دياجى الظلمات والعيون هاجعة والحواس خامدة والناس نيام

وانى لا أزال فى حيرة من أمر هذا الستار الذى يلقى على الأرض فيظهر جمالها واذا رفع عنها أظلمت أرجاؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد لمعت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتيا والتى . ذلك أنه كلما كان الصانع ألطف كانت الصنعة التى هى أقرب اليه ألطف . فاذا كان صناع بنى آدم يعملون فى كتان وصوف وحرير والفلاحون فى طين وماء فان الشمس ذات الاشراق صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذى تشرق عليه أرواح علوية . وأعلى من ذلك أن الأنبياء ينسجون العقول بالدين والحكماء بالحكمة فالمصنوع الغليظ نتيجة صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم نارى والمصنوع الذى هو ألطف من ذلك هو النسيج العقلى من العلم والحكمة فهو أرقى صناعة وألطف من صنعة الضياء . وليس الناسج له أجساما حيوانية ولا شموسا نارية . ولقد مر مايقرب من هذه الخواطر فى أول سورة الأنعام عند قوله تعالى ــ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ــ ولكن لم يخطر لى هذا السؤال هنالك فهنا أجبت . ولكن الناسج لذلك أرواح وهى درجات بعضها فوق بعض ــ والله من ورائهم محيط ــ . لطفا من الله بالناس جعل ستارهم الضوئى غاية فى اللطف ونهاية فى البهجة والجمال . لم يرهقهم بستائر جسمية . أشرق عليهم بنوره . أضاء لهم تارة وأظلم ليلهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم منومون أنامتهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لوأن الناس أدركوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا فى غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا ليقضى الله أمرا كان مفعولا

﴿ نظرى فى مزرعة قطن ﴾

فلما أشرقت الغزالة وملأت البطاح وتجلت المزارع أخذت أجول فى تلك الأصقاع فصادفت مزرعة قطن ولا جرم أن القطن أخص مزارع بلادنا وعماد ثروتها . ولكنى نظرت اليه نظرة أخرى وكأننى من عالم غير هذا العالم الأرضى وكأن الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جميلا

الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله ــ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ــ كلما كان الجمال أبهج كان الاعراض عنه أتم وأكثر . هذه مزارع القطن التى نمر عليها غدوا وعشيا وفيها

لباب جميل وأنواع مزارع أخرى نظرت اليها اذا هى محلاة بالزهر المختلف الألوان . وهنالك جوزات القطن ضمت فصوصها ضما لتحفظ فى داخلها شعر القطن و بذره ، وهاهى ذه إحــدى الجوزات قد تفتحت بالحاح حرارة الشمس عليها وكأنهنّ جميعا يخاطبننى قائلات : « انظر الى الزهرات الجميلات ، والى الجوزات الخضراوات ، والى شعر القطن الذى تفتحت عنه الأكمام ، هذه الملابس اليك نهديها من شعرنا لتمنع عنكم الحرّ والقر ، وهذه الزهرات جمال يسرّ الناظرين ، وهذه الجوزات اللاتى تخفى فى داخلها شعر القطن والبذر ليتم نضجهما ويكمل خلقها » كل هذه اليك ناظرة لاسيما الزهرات الباهرات الجميلات وزهرات أخرى فى أنواع الشجرات الأخرى وأن الزهر الأحمر والأزرق والبنفسجى ناظرات اليك مسامات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من الماس وهبها إياها قطر الندى ، فازّينت الأرض بأجمل زينة ، وازدانت بالبهجة والجمال ، وهنالك لم يسعنى إلا أن أصيح قائلا : يا ألله أنت يجب أن نحبك لا أن نخاف منك ، أفمع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ، إن من جهلك أحقّ بالخوف منك ، ومن أظهرت له جمالك أولى بحبك لأنك قربته ، وانما خوفك يكون لهيبته منك أو خوف بعده عنك

فعجبت لنفسى طربت لهذا الجمال مع ان ما ألفته النفس لاجمال له ، كم نظرت هذا فى حقولنا وكنت أنا فى زمن الشباب من زرّاعه ، فما هــذا الذى ألبسه لباس الجمال فى نظرى الآن ؟ العقل الانسانى اذا لم يزحزحه العلم عن مقرّه فى الصــبا ولم يوقظه النظر والفــكر بقى أسير العادات قليل النظر قليل الفــكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش فى بيئة من الجمال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هــذه المزرعة ؟ كانت فى المــكان الذى فيه تخيلت أن البدر يخاطبنى فى وسط النخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم فى ﴿ سورة فاطر ﴾ عنــد آية ــ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء ــ الخ وما أدرى لماذا لم تستيقظ نفسى ليلا سابقا ونهارا لاحقا إلا فى هذا المــكان ، ثم لماذا خطرت هذه الخواطر فى هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلت الحقيقة واضحة ، أنا لم أنم ليلة واحدة فى ذلك الحقل ولــكنى نمت هذه الليلة و لماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك اسرّ ظهر وحكمة بهرت وهى انها جاءت لتفسير قوله تعالى فى هذه السورة التى قد استعدّت المطبعة لطبع تفسيرها فى هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هــذا هو قوله تعالى ــ إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح ــ وهذه المصابيح تدعو العقلاء للتفــكير فى جمالها وفى حكمها وفى حسابها كما تقدّم فى ﴿ سورة يس ﴾ عند قوله تعالى ــ والشمس تجرى لمستقرّ لها ــ وفى سورة يونس عند قوله تعالى ــ هو الذى جعل الشمس ضياء ــ الخ وفى سورة الأنعام وفى سور أخرى كثيرة ، ويقول فى آية أخرى ــ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ــ الخ ويقول فى ﴿ سورة الحجر ﴾ ــ وزيناها للناظرين ــ . إذن الله لم يزين السماء لمن ليسوا أهلا للنظر ، إذن الحــكماء فى هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم إلا شهواتهم ليعيشوا غالبا كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى ــ وجعلناها رجوما للشياطين ــ فشياطين الانس وشياطين الجنّ يعيشون ويموتون ولاهم يعقلون جمال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محجوبون . إن هــذه هى التى أجراها الله على لسان العامّة فى بلادنا المصرية إذ هــم اذا رأوا سحبا منشورة فى السماء مقطعة غــير ملتئمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات تزين له السماء أى تزين لروحه اذا صعدت كما تزين المدن لقدوم الملوك والعظماء ولــكن فى الحقيقة هى مزينة له فى هذه الحياة الدنيا وهو هو الذى يفهم جمالها فاذا مات ازداد بصيرة فى ذلك الجمال ففطرة العامّة قــد ألمت بطرف من معنى الزينــة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجبال والشجر والدواب فهم أبدا فى سعادة وحبور . وليكونن قرّاء هذا التفسير المغرمون بالعلم من أرقى هذه الطبقة فى عالم الانسان . و بهذا انتهى المقال فى تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ فى نفس اللحظة

التى

التى افترقت بلادنا فرقتين : فرقة أوصدت دار النيابة فى وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هى جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان وهؤلاء يمنعونهم وسر ذلك كله تدخل الأجانب فى هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهاأناذا قمت بما يجب على وعلى كل امرئ فى بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما ألهمه الله وأقدره عليه — والى الله ترجع الامور —

﴿ ماحقيقة السموات . وهل للنور وزن ؟ وهل النور خالد ؟

واذا بقى دهرا طويلا أفليست الأرواح أحق بذلك ؟ ﴾

فى يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر صديق العالم الذى اعتاد محادثتى فى هذا التفسير فقال حسن ماقلت فى هذا المقام ولكنى أسألك سؤالا فى نفس موضوع الآية . إن ماذكرته هنا انما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شئ والعلم شئ آخر ، وانك لم تذكر إلا الصبابة والعشق والغرام وماذلك إلا عواطف كعواطف العشق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امرئ بعاشق لأن العشق استعداد ، فهل أنت على استعداد أن تحدثنى فى حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكرك أيها الصديق بما مر فى أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لافراغ فيه فهو مملوء بموجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبت هناك عدم الفراغ ببرهانين برهان القدماء القائل : إن هذا الذى سميناه فراغا لايخلو مانراه فيه من النور والظلمة من أحد أمرين اثنين : إما أن يكونا جوهرين ، واما أن يكونا عرضين أو أحدهما عرض والآخر جوهر فان كانا جوهرين فالسموات إذن موجودة وان كانا عرضين أو أحدهما فالعرض لابد قائم بجوهر إذن ثبت انه لافراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ماقلته أنت إذ ذاك عن القدماء ، وأما المحدثون فانك أثبت قولهم بأنهم استدلوا بأن التلغراف السلكى والذى لاسلك له كلاهما محمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القدماء والمحدثون مجمعون على ذلك ، فالسماء المذكورة فى الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك فى وجود السماء وقد عرفته فيما تقدم فى هذا التفسير وانما سؤالى هل هى مبنية وهل هى شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كالخيال . وهل خيالنا مبنى ؟ وهل خيالنا متين قوى ؟ وهو يفنى حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت انه كالخيال . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبنيتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شعرى كيف يكون ذلك ! فقلت : أيها الصديق . ألست تسلم بأن هناك قوة جاذبية بها تجذب الشمس ماحولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لوانى أنا وأنت وأناس آخرون معنا حاولنا أن نزحزح صخرة من مكانها وربطنا فيها حبلا وأخذنا نجر ذلك الحبل ونحن عصبة أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة وأخذنا ندور بها أدوارا منتظمات حول محور فماذا نقول فى هذا الحبل الذى به جذبنا هذه الصخرة أضعيف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فاذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنسبة هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير الى الشمس والأرض كنسبة الحبل الى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمتن شئ عرفناه فى الوجود . فاذا سمعنا الله يقول — والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون — وسمعناه يقول فى ﴿ سورة النبأ ﴾ — وبنينا فوقكم سبعا شدادا — فانا نقول هذه الحقيقة يار بنا لم يتجل لنا بعض معناها إلا فى هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأوهام فى هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جوابا شافيا إلا الآن . فقلت فلتحمد الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل مانقصنا من العلم فى تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت ألم نقل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهي الحواس الخمس والعقل وقوى عملية وهي اليدان والرجلان وأن الحواس بها عرف الناس ماحولهم ووصلوا الى ماقرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المعظمة التى أسداها العلم لهم زادت علومهم . فقال بلى تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتنص الصور بالحواس فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجاريات على الأرض مساعدات للأرجل وهكذا الطيارات والسفن وهكذا جميع العجلات والآلات المتحركات مساعدات الأيدى فى أعمالها . قال عرفت ذلك . فقلت بقى شئ واحد لم نذكره هناك ولكن هنا محل ظهوره . فقال وماهو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التلغراف السلكى والذى لاسلك له والتلفون . قال هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حقا . إن هذا البرهان وكل ماترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدى سبيلا وأقوم قيلا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هى ألف طن للمليمتر الواحد والطن نحو ٢٢ قنطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قنطار . فقال يا للعجب : هذه كثافة لانظير لها فى كثافة مانعرفه من الحديد والرصاص والحجارة وحقا ان الذى به تجذب الشمس سياراتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظر ماكتبته بعض المجلات العلمية وهو المقتطف فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ تحوّل الآراء فى الأثير ﴾

(من نيوتن الى اينشتين)

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذى يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء فى نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فان له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لايمكننا أن نسميه فضاء فحسب . بل علينا أن نطلق عليه اسما ينم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث فى هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالاثير كان الطبيعى الانكليزى العظيم السر اسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التى نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفى مثل هذه الحال يجب علينا أن نبق متذكرين انها لاتعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن نتكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فبأى حق نفعل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كموادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هى ألف طن للمتر المكعب . ومرونته تساوى حاصل ضرب كثافته فى مربع سرعة النور . وبهذا نعنى أنه لو تحوّل الاثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . بمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول :

(١) الاثير شفاف

(٢) « عديم الاحتكاك بالمواد

(٣) « عظيم الكثافة

(٤) « تام المرونة

(٥) « عديم الحرارة

(٦) « عديم الصوت

(٧) « موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية — المغنطيسية

(٨) « وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

(٩) الأثيروسيط الجاذبية الكيماوية (أو الالفة الكيماوية)
(١٠) « يملأ كل فراغ من المادة » اهـ ماجاء فى مجلة المقتطف
لست الساعة بصدد أن أوضح :
(١) نظرية نيوتن الذى اضطرأن يفرض وجودالأثيرحين عرف ناموس الجاذبية العام وقال « لاأتصور أن قوّة هائلة عظيمة تنتقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (إذن هو حبل يوصل الجاذبية كما قلنا فى الحبل الذى جذبت به عصبتنا الصخرة فيما تقدم)
(٢) ولا بصدد أن أذكر (هو يجنس) الذى يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات فى غاية الصغر سريعة الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور إلا اموجات فيه لا لأنه ذرات كما قال نيوتن »
(٣) ولا أنا فى مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسى الذى جعل الأثير تختلف كثافته باختلاف مواقعه
(٤) ولا فى مقام آراء كوتلتى فيه الذى يؤيد وجوده بسبب مانراه من الظاهرات الكهربائية والمغناطيسية فى الأرض
(٥) ولا أنا الآن أودّ أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوىّ متين عند ما تنظراليه من جهة ايصال الجاذبية والنور » وقد أيد هذا الرأى (السرأوليفرلودج) بالتجربة وهكذا
(٦) نظرية (ماكسول) إذ قال بالمرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوى حاصل ضرب الكثافة فى ربع سرعة النور
(٧) وخالف العالم (أماقين) هؤلاء العلماء فى الكثافة وهكذا
(٨) العالم (مالك كولاغ) فانه قال « انه لايقبل الضغط »
(٩) والعالم (اينشتين) يقول : « انه خيال من الفضاء والوقت يصعب على من يتعمق فى الرياضيات أن يدرك كنهه »

أقول : أنا لست فى مقام شرح هذه الأقوال وانما المهم الاتفاق على الجدول المتقدّم المحترم عند جمهور هؤلاء العلماء وغيرهم . إذن ثبت هنا أن السماء أوّلا موجودة . ثانيا انها أشدّ الأبنية وأمتنها وأقواها . ثالثا ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية فى العلوم الحديثة ، فاذا كانت السموات بناء واذا كانت شديدة فهاهوذا أصبح واضحا جليا . فهل كفاك ماسمعت عن علماء الفن ؟ فقال كفى والحمد لله

أقول : لقد مرّت الاشارة الى هذا الموضوع فى غير هذا المكان والايضاح هنا أتم

﴿ هل للنور وزن ؟ ﴾

ثم قال : ولكنى أريد أن أسأل فى النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات فى الأثير والحركات لا تكون إلا بقوّة دافعة والقوّة الدافعة تحرّك الميزان حتما . إذن النور موزون ، ولكنى ماسمعت أحدا يقول ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هاك ما جاء فى بعض المجلات العلمية وهذا نصه :

﴿ أربعة ملايين طونولاتة من أشعة الشمس فى الثانية ﴾

(هل النور له وزن ؟)

يقول العامة «ضربته الشمس» كأن أشعتها تشتمل على مادّة تضرب بها الاشياء . وما أقرب هذا التعبير الى ما اكتشفه العلم الحديث فى هذا الشأن فهو فى الواقع حقيقة وليس بالمجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن اذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم صحة هذا الاكتشاف

ويقرر العلامة السير جيمس جانز أنه يمكن أن يصوب مقدار كبير من الأشعة نحو شخص قوى قائم على قدميه فيطرحه على الأرض بقوة دفع الأشعة . وتدل أدق الأجهزة الضوئية على أن النور والحرارة يمكن وزنهما وأن يكن ثقلهما ضئيلا للغاية . وذلك أنه اذا وزنت الأشعة الكاشفة التى تنبعث من جهاز قوته خمسين حصانا فى مدة مائة سنة مابلغت أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . فهل يمكن أن يشعر الانسان بوزن أشعة يبلغ ثقلها فى قرن من الزمن نصف عشر الأوقية . ولكنه يبين على أى حال على أن النور مادة ذات جرم ووزن ولنبحث الآن اذا كان من الممكن أن ندرك فى ضوء هذا الاكتشاف مقدار ماتفقده الشمس من مادتها لاضاءة أرجاء العالم . تبلغ قوة كل بوصة مربعة من قرص الشمس مقدار الضوء الكشاف الذى تقدم ذكره وتبلغ قوة جهازه خمسين حصانا . ويقدر العلماء قوة ضوء الشمس بهذا الرقم وهو ـ ٣٢٣ متبوعا بخمسة وعشرين صفرا أو ٣٢٣٠ سبتليون شمعة . فاذا كان ينبعث من كل بوصة مربعة من سطح الشمس من الأشعة مازنته جزء من عشرين من الأوقية فى كل مائة سنة . فان وزن ماينبعث من سطحها جميعه من الأشعة يبلغ ٤٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طونولاته فى الثانية . وهل يمكن أن نتصور مايراد بوزن قدره ٤٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طونولاته من المادة . لو فرض أن هذا المقدار من تراب الأرض لأمكن أن يقام به عمود قاعدته ١٠ ياردات مربعة وارتفاعه ربع ميل واذا كان مايحمله أكبر قطار حديدى لايزيد على ٤٠٠ طونولاته فانه يلزم لحمل المقدار السابق من الشمس ١٠٠٠٠ر١٠٠ قطار فى كل ثانية . لنقل ماتحمله الأشعة من المادة . ويبلغ وزن ماتفقده الشمس فى الدقيقة الواحدة ٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طونولاته من الأشعة والحرارة فهى تنقص على الدوام بمقدار كبير للغاية . ويقدر الفلكيون نقصان وزنها هذه اللحظة بنحو ٣٦٠ر٠٠٠ مليون طونولاته عما كانت عليه فى مثل هذه الآونة من اليوم الماضى . ولكن ألا يفهم مما تقدم أن الشمس آخذة فى النقصان باستمرار وأنه قد يأتى وقت يدب اليها الفناء . ومعنى ذلك القضاء على جميع الكائنات الحية فى أرجاء العالم . فكر علماء الفلك وسواهم فى هذه المسألة طويلا ولكل فريق منهم أغرب الاجابات والحلول لما يتهدد العالم من هذا النقصان الدائم وليس من سلوى يتأسى بها معظمهم وتهدئ روعه إلا أن الشمس قد لبثت على هذه الحال أكثر من آلاف ملايين السنين وعلى ذلك ينتظر أن تخلد فى كبد السماء أطول الآجال والدهور وهى تمد العالم بذرات جسمها النارى لتبعث النور والحرارة فى كل مكان وتنفخ الحياة فى جميع الكائنات الحية اهـ

﴿ هل يمكن استنتاج خلود الأرواح من وجود النور ؟ ﴾

فلما سمع صاحبى ذلك قال حسن والله ولكن بقى شئ خطرلى . فقلت وماهو ؟ فقال إن أقصى ما معناه فى هذا التفسير عن النور أنه قد جاء الى أهل الأرض من مسافة مائة مليون سنة أو أكثر فكيف لاينطفئ النور . وكيف يكون أشبه بالخالد . فقلت نعم هذه مسألة عجيبة جدا . لقد ثبت أن النور الذى يخرج من الشموس البعيدة يصل لنا فى الأرض بعد مرور مئات الملايين من السنين ولايزال الكشف يتوالى بظهور كواكب والضوء متصل ولم نجد دليلا ولاشبه دليل على أن نور كوكب موجود قد وقف فى الطريق بسبب انه فنى . ومعنى هذا أن النور الذى يخرج الآن من شمسنا لايزال يسبح فى الفضاء ولايقف ويمر على قوم آخرين وهناك قوم الآن يصل لهم ضوء شمسنا اليوم فيحسبون فيجدونه قد خرج منها منذ مائة مليون سنة أو مائة ألف مليون سنة كذلك كما نفعل نحن مع الشموس . فاذا كان ذلك حال الضوء وما هو إلا حركات فى الأثير فما بالك بجوهر النفوس انها أولى بالخلود والبقاء . فقال والله انى لم أر انتصارا للعلم كما رأيت اليوم ولا سمعت براهين أقوى وأمتن مما عرفت اليوم . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ ازدياد بهجة العلم ﴾

(فى قوله تعالى أيضا — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب —)

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا فى الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

اللهم إنك أنت الحىّ القيوم ومن حياتك استمدّت العوالم حياتها ، ومن علمك استمدّت علمها ، ومن قدرتك استمدّت قدرها ، ومن جمالك استمدّت جمالها ، أنت الذى نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرفتهما بزخرفك ، وأنرتهما بنورك ، عجبت للنقش وللرقش وللجندرة وللابداع فى تزويق الأرض بنباتها وجبالها ، وفى تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقمارها ، لنا عقول ظهر لى انها كبيرة جدا بدليل انها مستعدّة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولطالما كنت مشوقا أن أنام فى العراء ليلا لأشاهد جمال النجوم قبيل الفجر وهى طالعة فوق الحقول والجبال والصحارى والقفار . كنت أودّ ذلك كثيرا ، نعم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بينى وبين النجوم وجمالها ولكن أين الثريا وأين الثرى وأين منظر النجوم فى القاهرة حيث المنازل والأبخرة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها فى الخلوات ، ولقد هيأ الله لى هذه الفرصة الآن لأصف فى هذا التفسير تلك المناظر الجميلة ايضاحا لقوله تعالى — إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب — فتوجهت الى مزرعتنا بجهة المرج وهى الى الجبل الشرقى أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبت بعض الليالى هناك فى نفس الحقل فى أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فماذا رأيت ؟ رأيت زينة حقيقية ، ياسبحان الله : نحن نشاهد فيما يقيمه الناس من الزينة فى الولائم العامّة وأفراحهم والموالد التى يحتفلون بها مصابيح يوقدونها فيها ويضعونها صفوفا منتظمات ، واذا هبت الرياح أخذت تلك المصابيح تضطرب اضطرابا يكسبها جمالا على جمال ، فهاأناذا فى هذه الليلة اطلعت فنظرت المصابيح السماوية تهتز طربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهدها فى المدن ولا فى القرى ، فلكم رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا فى قريتنا كفر عوض الله حجازى وهكذا فى القاهرة ، ولكن هنا فى الجبل والصحراء والحقل تبدّت لى راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق مابين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهى لا اضطراب فيها وان كانت أكبر حجما فى نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقلّ السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أمامى أجمل ما رأته عينى فى الحياة وخيل لى انى فى جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أيما ابداع ، متقنة أيما اتقان ، قد ازّينت ولكن للناظرين ، وحسنت ولكن للعالِمين (بكسر اللام) وشعرت نفسى كأنها كانت فى هذه الساحات الجميلة وقد أبعدت عنها بسفروانها رجعت الى مستقرّها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن العجيب أن الزراعين قد يبيتون فى الحقول كما بت ، بل بعضهم نام فى الحقل معى . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرّك فيهم ساكنا ولا توقظ فيهم ذاسنة فالجمال ظاهر والمحاسن باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرسون فبينما أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا الدبران ذو النور الأحمر قد تلاها وقد ساق أمامه نجوما بهيئة ضلعى مثلث ووراءهنّ الهقعة ثم الهنعة ونجوم الجبار التى يعبر عنها بالجوزاء فأذكرنى ذلك ما جاء فى «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأحببت ذكره وهاهوذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثانى : نجوم منازل القمر التى ينتقل فيها القمر من أوّل الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفى من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والبطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم علما عليها ، وبه فسر قوله تعالى — والنجم إذا هوى — وهى ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهى فى شكل مثلث متساوى الساقين ، وبين نجومها نجوم صغار جدّا

كالرشاش . ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين ، وأوّل مايطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأنفاذ منها ، وهى عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع . قال ابن يونس : وليست من صورة الثور ، و بعضهم يسميها ألية الحمل لقربها منه

﴿ الدبران ﴾ و يسمى تالى النجم لكونه يطلع تلو الثريا ، وربما سمى حادى النجم لذلك ، و يسمى أيضا المجدح وعين الثور ، وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واحد منها مضئ أحمر عظيم النور ، واسم الدبران واقع عليه فى الأصل ثم غلب عليه وعلى باقى المنزلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هى رأس الثور ، وأوّل مايطلع منه طرف الدال ، و يكون رمها إلى الجنوب وفتحها إلى الشمال ، والكوكب الأحمر المضئ هو آخر مايطلع منها ، والعرب تقول للكوكبين القريبين منه : كلباه ، والباقى غنمه وربما قالوا . قلاصه ، ويقولون فى خرافاتهم . إن الدبران خطب الثريا الى القمر فقالت . ما أصنع بسبروت ؟ فساق اليها الكواكب المسميات بالقلاص مهرا ، فهربت منه فهو يطلبها أبدا ، ولايزال تابعا لها ، ومن ثم قالوا فى أمثالهم : أوفى من الحادى وأغدر من الثريا .

﴿ الهقعة ﴾ سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون فى عنق الفرس . وقد مر القول عليها فى الكلام على أوصاف الخيل ، وهى ثلاثة كواكب سحابية صغار تسمى الأثافى ، وهى على أعلى القدم اليسرى من التوءم المعبر عنه بالجوزاء . اه

أقول : ومن أجمل المناظر ماسماه الهقعة وما عبر عنه بالجوزاء . نظرت فرأيت هذه النجمات تاما نجوم دقيقة ممتدة فى نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جميلا واسعا بهجا كأنه عقد من الماس رصعت به السماء فأبهج وزاد جمالها . ثم نظرت وراءها اذا أنا بنجوم الجوزاء التى يسمونها الجبار وهى أضوأ النجوم فى نظر العين فهناك ثلاث نجوم من القدر الأوّل وأمامها نجوم أخرى تصنع معها مايشبه زاوية حادّة و يسميها العامّة الميزان تشبيها بميزان الباعة فى بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر فى السنة الفائتة فى نفس هذا التفسير فى تفسير البسملة فى بعض السور التى تتلو سورة العنكبوت ولكن وصفها فى هذه المرّة جاء فى الحقل لافى المنزل وتلا ذلك مانقلته من كتاب « صبح الأعشى »

إن فى الحقل لمتسعا للخيال . تبدو المناظر للعين وتسمع الأذن طنين الحشرات فكأنها حفلة جمعت مايسرّ العين و يبهج الأذن . انها جنة عجلت للمفكرين الذين يعقلون قوله تعالى ــ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ــ ألا افليفطن لذلك المدرّسون ولتكن للمسلمين مدارس فى الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأنعام والبهائم والأنهار والجبال نهارا و يدرسوا النجوم ليلا والا فليعلموا انهم عن ربهم معرضون وعن الرقىّ فى الدنيا والآخرة مبعدون . ولن يذهب ماكتبته عن هذه المناظر سدى سيشهد ماشهدته التلاميذ والمدرسون ــ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ــ ولكم يتنافس فى ذلك المتنافسون ــ

وهل هذه المناظر يقف جمالها عند ماذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هى التى كشف العلماء اليوم كما تقدّم فى هذه السورة آنفا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرّة ، ومعلوم أن شمسنا أكبر من أرضنا ألف ألف مرة وثلثمائة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الحباحب بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجمال الظاهرى الذى تمتعت به هذه الليلة ليس شيأ مذكورا بالنسبة للعلوم المدّخرة فى هذه المناظر . إذن الدنيا فيها مفاتيح الجنة ، فأوّل مفاتيحها جمال الظواهر ويليها العلوم التى عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هى السعادة بل هى مفتاح الجنة ، ومن لم يشعر بالسعادة العلمية فى هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مبدع هذا الجمال اه

(امتحان)

﴿ امتحان عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظر الى البدوى فى العراء المذكور فى «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدبران والثريا والقمر وتصوّر فى نفسه أن القمر خاطب والثريا مخطوبة والدبران هو الذى ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتكون مهرا ، فهذا تصوّر لطيف انتزعه الرجل من أحوال الانسان واخترع للسماء نظاما كنظام أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وتارة يقول قائلهم :

أليس الليل يجمعنى وسلمى ✲ وايانا وإياها تدانى

فهنا تخيل الليل خيمة قد جمعته مع سلمى وان تناءت الديار ، وتارة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

ياليل طل ياشوق دم ✲ إنى على الحالين صابر
لى فيك أجر مجاهد ✲ إن صحّ أن الليل كافر
يهنيك بدرك حاضر ✲ ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى ✲ من منهما زاه وزاهر
بدرى أرقّ محاسنا ✲ والفرق مثل الصبح ظاهر

وآونة نسمع آخر يقول :

سل يا أخا البدر نجم الليل عن سهرى ✲ تدرى النجوم ولا تدرى الورى خبرى

ونسمع آخر يقول فى ممدوحه وذلك فى حسن التعليل فى علم البديع :

لولم تكن نية الجوزاء خدمته ✲ لما رأيت عليها عقد منتطق

فالبدوى فى البادية كان خياله أقرب الى الفطرة ، أما المتأخرون فان خيالهم نزل بالمناظر السماوية الى اللذات التى ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغنتهم الغنائم باتساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسان من الأمم فأخذوا يتغزّلون وجاراهم فى ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابداعا قيدوه فجعلوه من العلم ، ولم يكفهم ذلك حتى تخيلوا تلك النجوم قد تنزّلت فصارت من خدام ملوكهم الذين يمدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوائز التى يأخذونها من مال الدولة بلامقابل إلا ذلك المدح ولكن الله كأنه يقول : إنا زينا السماء للناظرين المفكرين فأما أن تكون النجوم لأجل الغزل أولأجل التزلف للملوك فذلك كله خيال الشعراء — والشعراء يتبعهم الغاوون —

إن شعر الأمّة وخيالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسيت أصل الفضائل وأفرطت فى اللذات فرجعت الى باديتها حتى تستقيم أجيالها كرة أخرى ثم يأتى لها من يوقظها كرة أخرى ، وهذا المقام أوضحته فى ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سديو الفرنسى أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء فى الأمم كلها ، ولكن الافراط فى الشعر عند المسلمين فى الأندلس والتفكر والتعقل عند الاسبانيين جعل الآخرين يغلبون الأوّلين ولله فى خلقه شؤن

وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن فى آية الشعراء ، والله زين السماء للناظرين وقال : — إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا — ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة علوم الكائنات الى بهجة الغلمان والفتيات وابتدأ ذلك فى عصر بنى أمية وعظم فى عصر بنى العباس ، وانظر ماجاء فى الجزء الأوّل من كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلى يقول الابيات تغزلا فى حبيبته يعبر بذلك عن حبه أو ماتكنه جوارحه من الغرام

أو الشرف ولا يشبب فى غير حبيبته أو خطيبته وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها باسمى عن أكثر الشعر لئلا يعلم أهلها بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها . لأنهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى ان أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواه بعد موته (١) ويندر فى الجاهلين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته . واذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدّرها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء العشاق فى الجاهلية يعدون على الأصابع فأصبحوا فى العصر الاموى أضعاف ذلك وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله

وذلك طبيعى فى الأمة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوار فى كل معركة ملكا حلالا له . وكانت السبايا فى صدر الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن فى حاجات المنزل ويستبقون الجميلات منهن للتسرى فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشببون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا عن حرمة الادب فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لايسمع بشاعر يشبب بامرأة الا جلده (٣) فلما أفضت الدولة الى بنى أمية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيبة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين فى المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فاكثروا منه ولاسيما فى المدينة لأن أهلها من أسبق المسلمين الى القصف واللهو لتيام بعض أبناء الصحابة بين اظهرهم وقد أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم فكثر اللهو فى المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبابهم

وجاء فى هذا الكتاب أيضا فى موضع آخر مانصه :

كان فى المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فاصطاهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون فى ذلك الاموال وهى تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء اهـ المقصود منه

أفلا ترى أيها الذكى أن فساد الأمم العربية فى القرون المتأخرة انما حصل بكثرة الافراط فى اللذات والانخراط فى سلك الترف والتنعم الذى هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيب و بنو أمية أباحوه والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معى أن الاسراف فى ذلك ناجم من الاسراف فى مال الدولة وفى الانغماس فى اللذات وهذا وذاك أبعد المسلمين عن معرفة جمال هذه الدنيا لأننا بين جمالين : جمال يقصرنا على الشهوة الحيوانية وهو ما رأيت ، وجمال يفرحنا ويشرح صدورنا بجمال العلوم ومعرفتها والعروج الى الله بمعرفتها ، فان غلب الأول انحطت الأمة ، واذا غلب الثانى ارتقت ، وهذا معنى — لنبلوهم أيهم أحسن عملا — فالأرض مزدانة بالجمال وكل يصيب منه ما استعد له . وكتاب الأغانى الذى انتشر فى الخافقين من أسباب كثرة الفجور وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤن المحاضرات المخترعة عن ملوك العباسيين وعشقهم للجوارى ومعاقرة بنت الحان فظنوا ذلك حقا فاعتنقوا تلك المذاهب فهلكوا . كل ذلك داخل فى معنى — إنا زينا السماء الدنيا — الخ ومعنى — إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا —

يا أمة الاسلام : هذبوا الأدب العربى . لاتلقوا بالكتب الموروثة بين أيدى شبانكم . عشقوهم من إبان

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢ (٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

صغرهم

صغرهم فى جمال السماء وجمال الأرض لا فى الغزل والتشبيب . احذروا هذا الأدب فانه أدب ضال . فليرووا الأشعار الفاضلة لا الغزلية كأبيات عمرو ابن كلثوم فى الفخر فى معلقته إذ يقول :

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن نقرّ الذل فينا

وكأبيات زهير بن أبى سلمى إذ يقول :

ومن يك ذافضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وكقول طرفة بن العبد فى معلقته :

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى * لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِٱلْيَدِ

مَتَى مَا يَشَأْ يَوْمًا يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ * وَمَنْ يَكُ فِى أَسْرِ ٱلْمَنِيَّةِ يَنْقَدِ

إن ما يسمعه الفتى أيام حداثته عالق لاشكّ بفؤاده ملازم له بقية حياته ، ونرى الفرنجة فى تعليمهم للأحداث يدرسون لهم فى المدارس كتبا فيها صور جميلة نباتية وحيوانية وسماوية فيعشقون العلم والبحث والنظر فى هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية ـ إنا زينا السماء الدنيا ـ الخ وآية ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ الخ

أفليس المسلمون أولى باقتفاء آثار القرآن . هاأناذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغانى والكتب الأخرى التى تماثله فليس يجوز أن تكون عامّة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب حذف التشبيب منه بتاتا واستبداله بعجائب الدنيا الجميلة والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

هنا سألنى أحد الفضلاء فقال : وهل فى شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمّها وأشعار الفضائل ومدحها ومغانى المدينة وفسوق الأندلسيين وذهاب دولهم وهكذا ؟ هل الآية تحتمل هذا كله ؟ فقلت وأكثر منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعتا جميع العلوم . فاذا صرف الانسان عقله للزينة العامّة فى العوالم كان حكيما . واذا حصر عقله فى الجزئيات فان كانت مؤلمة أورثته الشك كما تقدّم عن اخوان الصفاء وان كانت سارّة كما فى محاسن النساء وسائر الشهوات أورثته العصيان . فالزينة إذن تشمل العلوم كلها وتشمل ماحصر النفس فى الشهوات التى تخفض النفس وتمنعها من الرفعة فى الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر بعضه بعضا . ألم يقل الله فى سورة الكهف (بعد أن ذكر فى أوّلها أن ماعلى الأرض زينة لها) ـ واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ـ

إذن هذه الآية تكملة للآيتين فى الصافات وفى الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة الدنيا وهى مذمومة ، وماهى زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسرها بقوله ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ وكل ما ألهانا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهى مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل فى هذا . إذن هذا كله تفسير للآية . إذن الآيات مرتبات هكذا

(١) ـ إنا زينا السماء الدنيا ـ الآية

(٢) ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ

(٣) ـ ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ـ

(٤) ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ

(٥) ـ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ـ

(٦) ـ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ـ

فالأولى والثانية للزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيجة للشهوات . والرابعة مفصلة بعض التفصيل للثالثة . والخامسة مفصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد تعدت ذلك الى سوء أعمال الناس التى رأوها حسنة فى بادئ الرأى . إذن كل ما ذكرناه هنا لابد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما الزينة المذمومة ؟ وما الزينة الممدوحة ؟ وهل الغزل إلا مايرجع الى النساء المذكورات فى هذه الآيات ؟ وهل بغير أمثال ما كتبناه يكمل انتفاع المسلمين بمجمل آيات القرآن . فقال : ☆ إن من البيان لسحرا ☆

فقلت : اللهم إنى أحمدك على البيان والتبيين وانشراح الصدور واظهار الحقائق لأمم الاسلام . انتهى صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

﴿ نور على نور ﴾

أذكرك بما تقدم فى أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية الجنة وانى نقلت لك هناك عن الامام الغزالى فى الاحياء أن العلم جنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فارجع اليه هناك فأى علم هذا الذى اذا أدركناه يكون جنة ياليت شعرى : أعلوم اللغات من الصرف والنحو والبلاغة التى فتن بالوقوف عندها المذمومون من الأجيال الفائتة الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يجدوا لهم منقذين من الجهل ، وكلما نبغ نابغ لينقذهم كفروه جهالة ونذالة ، أم علم الفقه وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هى العلوم التى بها نعرف نظام هذا العالم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هى العلوم التى قد جمع زهراتها هذا التفسير

الله أكبر : أليس فى تقديم الكلام على تلك العلوم فى هذه السورة شاهد على ذلك . ألم يقدم الله هنا ذكر جمال العوالم وزينة السماء على ذكر قاصرات الطرف الحور العين اللاتى كأنهن البيض المكنون وعلى ذكر كأس المعين البيضاء التى تلذ الشاربين ولاتضر عقولهم ولاتسكرهم بل قدم الله آية جمال العوالم وزينة السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخمرتها فقال ـ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ـ ولاجرم أن هذه لذة العقول ولذات الجنات الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام ولذلك كانت لذة الملوك والقوّاد أشدّ من لذات العمال والصناع ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمعرفة لاحدّ لها ، والله يوم القيامة يجعل الناس فى منازلهم بحيث لايتخطونها فمن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فعرف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه على مقدار علمه فى الدنيا فيزيد هناك انكشافا

﴿ سوانح وخواطر فى هذا المقام ﴾

يظهر لى أن صفتى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض بهما شقاء الحياة والممات ، وللحب مفتاح وهذا المفتاح والحمد لله أصبح فى أيدى الأذكياء قارئى هذا التفسير وهو النظر فى جمال هذه العوالم . فكلما زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها نشاطا فى أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة مغرمين باسعاد الأمم لأن العالم فى نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أمم الاسلام الذين هم أقرب اليهم ولايتلكؤن فى اسعاد الأمم الأخرى . فياليت شعرى كيف يرى الانسان ذلك الجمال العام الذى ضربت لك مثله بما شاهدته فى الحقل هذه السنة فى آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليلا قبيل الفجر فى أول هذا المقال من بدائع الجمال والنور المشرق فى سائر الأرجاء . وذلك الجمال وذلك النور وراءهما ماهو أجل وأبهى وأبهر وهى

نفس

نفس الحقائق العلمية . أقول كيف يرى الانسان ذلك وانه لاحد له فى البهجة والكمال والامتداد ولاتكون حياته كلها علما وجمالا واسعادا للناس قاطبة . ثم كيف يرى ذلك ثم يخاف من الموت وقد علم علما ليس بالظن أن روحه فى يد مبدع هذا الجمال لاسيما انه أحبه وبمقدار المحبة تكون لذة النظر للمحبوب . وهذه الأجسام مانعة منه . فاذن تكون هذه الحياة عائقة عن النظر . إذن هذا الحب تصحبه الشجاعة فاذا لم يخف من الموت فمم يخاف إذن فلامصيبة فى هذه الأرض أقوى عند الانسان من الموت فاذا لم يكن مصيبة أصبحت جميع أحوال الحياة سهلة وضعفت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطحبت الشجاعة مع الحب وبضدها تميز الأشياء . فاذا عاش الانسان جاهلا فلم يعرف هذه العجائب لم يدخل الحب قلبه . واذا عمل عملا صالحا لم يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه فى الدنيا على أيدى الملوك والأمراء والعامة واما أن ينتظرها فى الآخرة بالحور الحسان وكأس المعين والحلى والحلل . وهذا وماقبله آثارهما أضعف من آثار المحبين لربهم أولئك الذين يعملون فى الدنيا ويرون انهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبهم على أعمالهم خيرمشجع لهم وهؤلاء سعادتهم فى الآخرة تكون على هذا المنوال فهم أبدا فى ازدياد العلم ونفس العلم لهم سعادة حقيقية ولوانهم منعوا ذلك النعيم ووقفوا عند حد المطاعم والمشارب والحور لرأوا أنهم معذبون عذابا لايطاق . وفى هذا العالم اليوم من اذا قال له الملك أنا أعطيك أجمل جارية عندى تحظى بها ومن المال ماتشتهى ولكن لاتحضر مجلسى لأنك لاتصلح للوزارة ولا للمشاورة ولا للمنادمة لكان ذلك عليه أشد من الموت لأنه إذ ذاك سقطت كرامته فى نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فاذا كان هذا فى الطبقة الوسطى وهم الملوك والأمراء ومن على شاكلتهم وهم أرباب اللذة الوسطى فمابالك بمن فوقهم من أرباب اللذة العليا العقلية وهم الحكماء ، ولقد قدّمنا كثيرا فى هذا التفسير أن لذة المحسوسات أدنى ولذة الحكم والغلبة أرقى كلذة الأسد بنسبة لذة العنز والغزال . فأما لذة العلم والحكمة فهى أحق من جميع اللذات . ولن يصدّق هذا القول إلا من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجرّبها بنفسه فان من لم يجرّب ولم يذق فستحيل عليه أن يصدّق ذلك أو يتصوّره ولله الخلق والأمر وهو رب العالمين

ثم إن هؤلاء المحبين لربهم بسبب هذه العلوم يرون أن كل من أحبّ غيره فان ذلك المحبوب يشعر بحب من أحبه وهذه تعطيهم تشجيعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا كحب المخلوق لاسيما اذا قرؤا قوله تعالى ـ يحبهم ويحبونه ـ وقوله ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم ـ

واعلم أن الأذكياء من قرّاء هذا التفسير سيكون حبهم لله مفرطا . ذلك أن الانسان كلما ازداد علما ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب انما هو علم العجائب والعجائب فى كتب الحيوان والنبات والمعادن وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها مشتتة فى الكتب بل صعبة الفهم فلذلك لاتجد البارعين فى تلك العلوم عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الالوهية أوصدّقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير متصلة ولاموصلة لمبدعها . أما فى هذا التفسير فانها متصلة مفصلة . إذن هى موصلة لذلك الحب ولم تكن هذه العجائب فى القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اتضحت فى هذا الزمان لاسيما بالصور الفوتوغرافية . وسيزيد يقينك بما كتبته الآن ما أنقله لك عن الامام الغزالى فى الاحياء تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون فى أصل الحب لاشتراكهم فى أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا إذ الأشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التى قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولاتخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث فهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة فى قوله تعالى ـ فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ـ الآية فان كنت لاتفهم الأمور الابالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامى يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لامحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ماعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامى قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لايدرى مافى التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على مافيها من العجائب تضاعف حبه لامحالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامى يعلم ذلك و يعتقده وأما البصير فانه يطالع تصنيف صنع الله تعالى فيه حتى يرى فى البعوض مثلا من عجائب صنعه مايبهر به عقله و يتحير فيه لبه و يزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته فى قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لاساحل له فلاجرم تفاوت أهل المعرفة فى الحب لاحصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التى ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته فلانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لايتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس فى المحبة والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لاتفهمه الابمثال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لانعرفه وصفاته الظاهرة لانعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لاتحس بشئ من الحواس الخمس ثم لايمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته الابخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل مافى العالم سواه لم تعرف به صفته فما عليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل مانشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها . يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة . فانا نعلم انها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان ✲ أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله ✲ والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيأ إلا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن أنه لا هيئة للاجسام الا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الأبيض الا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام . والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله

ولا محبا الاله وكان هو الموحد الحق الذى لايرى الا الله بل لاينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا يقال فيه انه فنى فى التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لايعنيهم فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله انما يدركها الانسان فى الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا وأعضاؤه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لايحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد ☆ الا على أكمه لايعرف القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ☆ فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

﴿ زبرجدة ﴾

(فى قوله تعالى ــ فأتبعه شهاب ثاقب ــ وظهور أسرار القرآن فى عصرنا الحاضر)

اعلم أيها الذكى أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة اذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لاتخلو من أحد أمرين : إما أن تكون أمرا خياليا وضع للوعظ والتعليم ، واما انه مجاز ، فاما أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهبا تقابلهم فى طريقهم فتمنعهم ، فهذا مما لاسبيل اليه بحسب مانشر من العلوم

هذا هو الذى يظنه أكثر أهل العلم فى زماننا وفى كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيحكم بما علم على مالم يعلم ، وهاأنا ذا باسط لك أيها الذكى آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر فى هذه المسألة لتقف أولا على حقيقة الشهب بحسب العلوم المدونة فى زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية ليزول الحرج من صدرك وتعلم من العلم مالم ينله كثير من الفضلاء وليثلج صدرك ولتكون من الموقنين الفرحين بالعلم الذى هو جنة معجلة للعارفين فى هذه الحياة الدنيا فأقول ولله الفضل والمنة وهو رب العالمين

قد تقدم بعض هذا المقام فى سورة الحجر ولكن هنا لابد من استيفائه فأقول ناقلا عن كتابى « بهجة العلوم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

﴿ حوادث كرة الأثير من الشهب الساقطة وانقضاض الكواكب ذوات الأذناب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى فى السماء صورة أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلى كرة النار ومخروطها مما يلى وجه الارض وما هى الا دخان يابس لطيف صعد من الأرض كما قدمناه والجبال والبرارى فاذا بلغت الأبخرة الكرة الزمهريرية تلاقى فى أعلاها بكرة الأثير وهى الكرة النارية التى حدثت فوق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التى ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة وتقل حرارتها كلما اقتربت من كرة

الزمهرير الفاصلة بينها و بين كرة النسيم فاذا بلغ الدخان كرة الأثير المذكورة اشتعل نارا كما نرى الدخان الطائر من السراج المنطفى يشتعل بملاقاته لسراج متقد وكأنراها تشتعل فى النفط الابيض ثم تفنيه بسرعة فينطفى وانما اعتبروها دخانا محترقا لانهم يقولون انها تظهر فى أيام الجدب أكثر والجدب يقل معه المياه فى الارض فيقل البخار ويكثر الدخان و يستدلون على انه دخان أيضا بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظيمة فلاتزال تقل حتى تختفى فيخيل للناظرين انها نار نازلة من السماء . وتارة ترى كأنها كرة صغيرة متدحرجة على سطح كرة كبيرة فهى تبتدئ فى حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ومن الجنوب الى الشمال و بالعكس وتارة تنكسب فكأنها فى نظر العين كرة من قطن اشتعلت فيها النار ثم رميت فى الهواء وكلما احترقت بالنار تناثر شررها وصغرت حتى تفنى . ومثالها الكرة التى يلعب بها أصحاب الخيالات يعجنونها من سندروس وأجزاء عقاقير و يشعلون فيها النار و يأخذونها فى أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواههم ومناخرهم وهكذا حتى تفنى . و يقولون فى ذوات الاذناب انها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا فى كرة الأثير وهى تدور مع فلك القمر على توالى البروج كسير الكواكب السيارة وتارة تتأخر راجعة ومادتها هى المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه ألطف فتنعقد وتكون شفافة كالبلور واذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلايزال المذنب يشرق و يغرب حتى يمحى من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعتلى فى الجو واشتعلت فيه النار ككرة القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المعجون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشف مادة وأبقى مدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأى . أنهم كانوا يرون تبعا للقدماء ان الكواكب لاتتناثر ولا تنكسر ولايكون فيها شظايا لأنها باقية الى الأبد وقد علمت بطلانه

﴿ أراء علماء العصر الحاضر فى المذنبات والشهب والنيازك ﴾

المذنب نجم ذوذنب فله رأس وله ذنب وهوأنواع منه مالاذنب له وهى كثيرة التقلب وقد تكون رءوس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذناب فهى أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقتها ولطافة الاذناب مستنتجة من خفتها ولقد نعلم أن السيارات تسير فى مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها فى سيرها وأما كثرتها فهى كسمك البحر عدا . وذنبها يكون أكثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذنب منها . فأما الذنب فانما يكون اندفاعه الى الجهة الاخرى ومذنب (دوناتى) أول ماظهر فى شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى عن الأعين بعد قليل ونور المذنب ليس مستعارا كنور القمر وكرة هذه النجمة يسمى نواة أو لبا ورؤية ذوات الذنب لاتمكن الا فى جزء من مدارها أى حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة فى المقدار والضوء فمنها ماتعسر رؤيته ولو بآلة . ومنها مايشغل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٦٠ درجة الى ٩٠ فالنجمة التى ظهرت سنة ١٨١١ افرنكية كانت لا تكاد ترى فكلما قربت من الشمس صارت بخارا وأضحى جرمها شفافا وهى لاترجع الابعد ٣٠ قرنا ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب مما رصدوها الا اثنين وهما

(١) نجمة هليه التى تقطع فلكها فى ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة الدور وهى تقطع فلكها فى ثلاث سنين ونصف وقدظهرت سنة ١٨٢٩ وفيما بعدها ومن النجوم ذوات الذنب مالا تقطع فلكها الا فى عدة قرون . ومنها مايذهب جهة النجوم الثوابت فيختفى عنا ولايرجع أبدا

اذا رؤيت ذوات الذنب لايحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة بعضها يعد بالالوف أو بمئات الالوف من السنين حتى ترجع ومن ذا يضمن رجوعها

الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو مايرى كأنه كوكب انقض والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرمح القصير ويطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يثقب الظلام بضوئه :

(الشهب)

الشهاب مايرى فى الليالى قد انقض من السماء وليس كوكبا وانما هى أجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الأجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديات وهى تتم دورتها حول الشمس فى شكل اهليلجى فى ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تخترق فى سيرها هذه الاسديات الا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفى كل مرة تضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أوالنيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور الذى يظهر من تلك الشهب فانما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يقدح الزناد وهى أكثر سقوطا فى ليال معلومة فهى تزيد فى ١٠ اغسطس و ١٣ نوفمبر وتقل فى ٢٠ ابريل و ٢٧ نوفمبر و ١٨ و ٢٠ اكتوبر و ٦ و ٩ و ١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التى نراها بالعين المجردة والمقارب المتوسطة مما يخترق جوّنا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

(الكرات النارية)

هى أيضا أجسام مضيئة تظهر وتختفى بسرعة كالشهب ولكنها أبطأ منها وتمزق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقعة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوّية ويدخل فى تركيبها الحديد والسليس والمنيزيا والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من ٨ كيلو مترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلو مترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الارض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فتسقط نحو الارض وتشتعل فى الجوّ على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوّية اهـ . فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين ان الاولين يزعمون أن تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضى قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقرّبها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كلا وانما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والقطا فى الجوّ فتى مرت الأرض به فى أيام معلومة اختطفت منها آلافا مؤلفة فطبختها بالحرارة فى جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزناد ثم التهمتها فأكلتها وكأن هذه الاسديات المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والغزلان تأكل منها الأرض اذا مرت بها وقد جاءت وقد تأكل فى أوقات معلومات فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة فى تلك المدة وتلك المدة بنفسها هى التى تمر فيها فى الأسديات فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر فى تلك الاسديات لتأخذ زادها للسفر ثلاث مرات فكم فى الكون من عجب. وقبل ماتبلعه تصلحه بالنار فى جوّها كما نفعل نحن فى طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الأحجار التى حفظت فى المتاحف المصرية والله أعلم

(توضيح الفرق بين المحدثين والقدماء فوق ماتقدم)

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقدماء لما اعتبروا الارض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات الذنب والسهام والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون قالوا كلا انما هى أجرام دائرات حول الشمس تنزل اليها وترمى فوق سطحها والجميع عرفوا أنها تارة تكون سهاما وتارة تكون كرات وان نورها فى الجو وحرارتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين وان النار أحرقت الدخان عند المتقدمين وكل من الأولين والآخرين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العلوية . انتهى ما أردته من كتابى بهجة العلوم

هاهى ذه أيها الذكى آراء القدماء وآراء المحدثين فى الشهب والنيازك التى ذكرنا معها المذنبات تمما للبحث العلمى ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليونا فى السنة حول أرضنا كما ان المذنبات تبلغ عدد سمك البحر ، فينتج من هذا كله أن جوّ الأرض مملوء من تلك الشهب ومن ذوات الأذناب ونحن لانرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التى تخترق أرضنا وهى تجرى حولها ليلا ونهارا هى التى تحرق الشياطين وتمنعها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين ﴿ نوعان ﴾ شياطين الانس وشياطين الجنّ ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحجوبة التى تعيش فى أبدانها فى هذه الأرض من بنى آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوّة فاذا ماتوا صاروا كهيئة الشياطين بالفعل ، ألم تر الى قوله تعالى ـ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود ابليس أجمعون ـ إذن هم أصحاب واخوان وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هى إلا عذاب لهم كما قال تعالى ـ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ـ

والانسان لايستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لايعيش عيشا يناسبه إلا فى هيئة علمية واللص يفرح باللصوص وهؤلاء لايعيشون فى جوّ مكهرب بالعلم والمطر ينزل من السحاب ويجرى فى الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعا الى موطنه الأصلى وهو البحر الذى استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع فصار سحابا هكذا المفكرون فى العجائب فى هذه الدار المحبون للحكمة يرجعون الى مقرّهم عند ربهم لأنهم دائما يحنون الى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون فى الأرض الآن لم يحجبهم عن الحقائق العلمية إلا أدران الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت نفوسهم فاطلعوا والحكماء فكروا فعرفوا معرفة أقل فصاروا خلفاءهم . وللنفوس المحجوبة الشيطانية الاشارة بقوله تعالى ـ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ـ وللنفوس الفاضلة الاشارة بالآية بعدها ـ كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين وماأدراك ماعليون ـ إذن النفوس الشيطانية من بنى آدم لها شهوات وأهواء ومعاص ونزوات منعتها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك اسرافها فى المآكل والمشارب وتفانيها فى طهى الطعام الذى يلذ طعمه ويقلّ خيره وهل خيره إلا مادّة الحياة المسماة بالفيتامين المتقدم كثيرا فى هذا التفسير والذى سيأتى الكلام عليه فى ﴿ سورة ص ﴾ عند آية ـ فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ـ فالتفانى فى التوابل وفى الطبخ بالنار التى هى القاتلة لمادّة الحياة فى الطعام كما أظهره الكشف حديثا والتباعد عن الفطرة من تعاطى الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عالقة بهم لايجدون عنها محيصا كما لايجد السكير محيصا عن السكر وهو يعلم انه نار تلظى عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضعف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن الى بيت القصيد وهى النفوس الشيطانية التى فارقت الأجساد من بنى آدم وقلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القبيلين من واد واحد ، ولأذكرك أيها الذكى بما تقدم فى سور كثيرة مما نقلته عن علماء الأرواح أوّلا وعن الشيخ الدباغ والخوّاص وأمثالهما سابقا ، وتجد بعضه فى ﴿ سورة التوبة ﴾ فانك تجد هناك أن الأرواح فى البرزخ قبل يوم القيامة لاتكون فى الجنة الحقيقية ولافى النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم تر أن الله يقول ـ النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ـ الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون فى الجوّ لايرتقون الى الملأ الأعلى ، وهذا الجوّ مملوء بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله ميدانا لانشغال النفوس واضطراب الأفئدة ، إذن كما اننا نعيش فى أرض قد ملئت بالحرب والحرارة والبرودة والأمراض

وهكذا وذلك كله يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكابر هكذا الشياطين واخوانهم من أرواح بنى آدم الشريرة يعيشون فى جو مملوء من الاضطراب والزلزلة المانعين من صفاء الأذهان الموصل للاطلاع على الحقائق ، إذن فى الجو أوصاب واضطراب يمنع سكانه من معرفة الحقائق كما فى الأرض ، وعلى هذا يكون قوله تعالى ـ ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب ـ جاء على حقيقته ، فكما أن المجرمين من بنى آدم الساكنين معنا فى الأرض قد أضاعوا حياتهم فى الشهوات واللذات والحروب والضرب والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال محجوبون هكذا المجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم شياطين الجن الذين ضعفت نفوسهم فلم يتجاوزوا جو أرضنا ـ لهم عذاب واصب ـ بهموم نحن نجهلها وهموم ومنها أخلاقهم التى اكتسبها بعضهم فى الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك الحجارة النارية التى تجعل جوهم خاليا من الصفاء كما نرى الناس يقتتلون فى الميادين ونفوسهم مشغولة بالمدافع والنيران التى تقذف منها على المتحاربين ، وكما أن المدافع والغازات الخانقة والمعمية تنزل على المتحاربين بأيدى غيرهم هكذا هذه الشهب تسقط فى الأجواء بأيدى الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بالزاجرات زجرا ، فهم كما يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوى والسفلى ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون بتلك الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتحجبها عن الاطلاع على الحقائق كما حجبت نفوس كثير من أهل الأرض عنها لأنها ليست أهلا لذلك والله يقول ـ ورحمتى وسعت كل شئ ـ وهذه الأرواح المحجوبة منعت معرفة الحقائق رحمة من الله بها لأنها لم تستعد لها ولو عرفت لهلكت ، فالمنع الذى هو عذاب لهم قد صاحبته رحمة حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين والى هنا تم الكلام على اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ـ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ـ الى قوله ـ شهاب ثاقب ـ انتهى صباح يوم الخميس (١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم * وقفوهم انهم مسؤلون ـ)

أيها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالمة . فالجاهلة تعيش وتموت كما يعيش ويموت الدود ولو كانت من قارئى الديانات والعلوم وهم فى غفلة معرضون . أما الطائفة العالمة فهى التى أدركت اليوم قبل يوم القيامة ادراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجرى على نظام ثابت من حيث المناسبات فكما اننا نرى الطيور فى الجو والأنعام على الأرض والسمك فى البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش فى غير مكانه المعد له . وأيضا كل طائفة من الانسان والأنعام والطير لا يحب أحدها أن تعيش إلا مع أمثاله وهو غريب بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فهكذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا كما سيجتمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم واللصوص وأرباب الكبائر جميعا يألف بعضهم بعضا فالدنيا والآخرة على وتيرة واحدة

أيها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم المعاصرة لنا كلهم أو جلهم اخوان أو أصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح ابن مريم وأتباعه القدماء الصالحون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس بصالح وهذا هو المسيح الدجال الوارد فى الشريعة وقد ظهر أعوانه فى الأمم المعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذى ورد فى الحديث يظهر أنه يسعدنا بما يشبه الجنة ويهددنا بما يظهر لنا انه جهنم . فاذا دخلنا ناره أصبحنا فى نعيم وبالعكس اذا دخلنا

جنته

جنته . الله أكبر : أليس هذا حاصلا فعلا حقا وصدقا . ألم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقائنا ثم هي تملأ بلادنا بالخمر وأنواع المخدرات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت

تقدّم فى هـذا التفسير أنى نقلت عن (هنرى الفرنسى) أنه قال : « إن الخمر التى يستعملها المستعمرون فى إهلاك الشعوب لم تؤثر فى بلاد الجزائر » ولكن أنا أقول متحسرا متأسفا : « لقد نال المستعمرون ما أرادوا ودخل مسيحيوهم الدجالون بلادنا وتحكموا على العقول وملؤا البلاد بالمخدرات والمسكرات والسموم المهلكات فانظر ماجاء فى مجلة « الدنيا المصوّرة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه » :

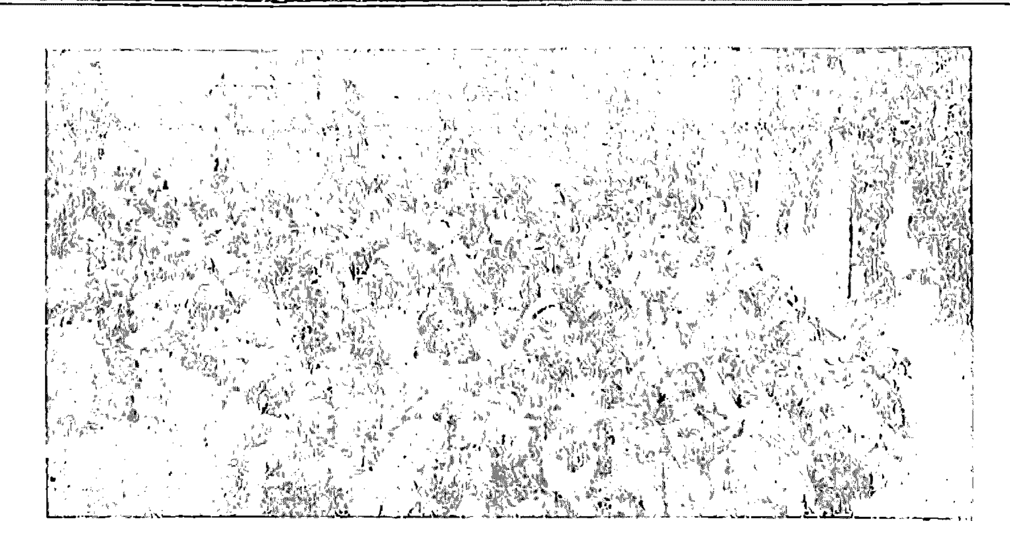
﴿ عبيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة المخدرات بحكمدارية القاهرة ﴾

اذا دهم البلاد عدو قادر ينهب الأرواح و يدمر الأملاك و يعيث فى الأرض فسادا فان الواجب يقضى على جميع أبناء البلد الواحد بأن يتآزروا و يتضامنوا لدفع أذى هذا العدوّ السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينكب العالم بالحروب . وبالمجاعات . وبالاوبئة . ولكنه لم ينكب من قبل بمثل نكبة المخدرات التى تفترس الأرواح قبل الأجسام وتقضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل والجهاد جثثا بالية وحطاما فانيا . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الداء الوبيل الذى نفث سمومه بين طبقات فيها العمال وفتك فتكا ذريعا وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمدار بوليس القاهرة أن يحارب هذا الداء الفتاك محاربة قاسية لاتعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمراحسنا و بعدأن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمدارية هى وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجون الطويل والغرامات الفادحة على تجار هـذه السموم ومدمنيها عمـدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيرا ماأفلحت الوعود حيث لايفلح الوعيد . ولهذه المخدرات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر اللهب فى الهشيم اليابس . ومن هذه الاحياء المنكوبة حى الترعة البولاقية . طوفة واحدة فى ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وفتكها الذريع بالنفوس . فاذا جلت بين الدور الحقيرة والازقة والحارات خيل اليك أنك تجول فى مقبرة لفظت أمواتها فخرجوا أشباحا مجردين من اللحم والدم يهيمون فى الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الداكن الذى فقد رواق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصعايدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطى هذه المخدرات فأصبحوا لايعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وانما كل همهم أن يحصلوا على مايشبع فيهم تلك الشهوة المفترسة . شهوة شم السموم وحقنها . ولم تكن الحكمدارية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لها فى كل حين هجمة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون و بحث دقيق بين ساكنيه يؤدى بمن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس فى شخص تراه مهلهل الثياب زائغ البصر محطم الأعصاب مطروحا على الارض لايقوى على الحراك وان قوى فانما يسعى للحصول على دراهم قليلة يشترى بها شيئا من الكوكايين أو الهروين يسمم به جسمه البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لايحمل معه من المخدرات مايجعله طريدة السجن ؟ لذلك قامت قوة من رجال البوليس فى الصباح المبكر من يوم الاربعاء الماضى وطافت فى ذلك الحى المنكوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجثث المتحركة من الأزقة والشوارع والحوانيت . ولم يكن البوليس فى حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصا . طابع البؤس والجوع والقذارة والجنون ! . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصا من المدمنين الذين

تم مظاهرهم عليهم ثم حملهم فى السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار فى فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ماحولهم . وكان مشهدا مفزعا هو عبرة المعتبرين . وهو الدرس البليغ لمن تحدثه نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يحققون أمرهم . واتضح أن الكثيرين منهم سجنوا مرارا لاحرازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بعد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعهم السجن بل عادوا الى شر ما كانوا عليه . و بينهم شبان فى مقتبل الحياة وقد اضمحلت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وخارت قواهم الجسمانية فكأنهم فى دور الاحتضار . واشتد بهم البؤس حتى لم يجدوا مايسترون به أجسادهم الناحلة الاخرقا بالية واسمالا مهلهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الميرالاى بيكر بك يسوق اليهم النصح ويذكرهم بأولادهم الجائعين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جمود ذاهلون . ولاشك فى أن أولئك المنكو بين مجموعة آلام وأحزان وشقاء فان لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والنكبات . ويكفى أن نروى هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارئ مقدار ما تصنع تلك المخدرات بضحاياها . فهذا عامل كان يشتغل نجارا وله زوجة و ابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يجد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يرتدع ولم يعد لديه مايصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتيه بالمال الذى لم يعد فى وسعه الحصول عليه بعد أن خمدت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهقها الزوج التمس بطلب المال وبلغت به الخسة أن عرض عليها أن تتاجر بعرضها الذى هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل فى القاهرة . وأما البنتان فقد سعى الأب حتى استطاع أن يرسل كلا منهما خادمة فى منزل ويحصل لنفسه على أجرة خدمتهما . و بعد شهور قليلة فرت احدى البنتين واختفت آثارها . ولو كان فى الأب بقية من قوّة تساعده على البحث لعثر عليها فى دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليسمم جسده الا بالسرقة فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يجد أثرا لابنته التى كانت تعوله وقد جرفتها الأقدار القاسية فى سبيلها . وهذا كان «افنديا» . وكان موظفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسبه فى أوّل الأمر لهوا بسيطا . ومالبث ذلك اللهو أن أصبح شغلا شاغلا . وطرد من وظيفته بعد أن انقطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الشقة التى كان يسكنها إلى مندرة حقيرة فى حى بولاق . وعاش عالة على تجار المخدرات يوزع لهم بضائعهم المسمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع به شهوة شمه وباع ثيابه وسار فى الطرقات عارى الرأس حافى القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى فى السجن شهورا وخرج منه وليس فى العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يرقد ليلة تحت الجدران فى الازقة المظلمة ويسعى نهاره للحصول على قروش معدودة بأية وسيلة . فكانت الوسيلة التى هداه اليها البحث أن يرشد طلاب اللهو الى منازل الدعارة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة . وسترى فى الرسم الآتى فى الصفحة التالية (شكل ١) صورة طائفة كبيرة من المصريين المدمنين على تعاطى الكوكايين



(شكل ١) - أخذت هذه الصورة للمدمنين على الكوكايين - وكان عددهم ٢٥٠ نفسا - فى حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء فى جريدة الأهرام فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ مانصه

﴿ بيان رسل باشا فى لجنة الافيون ﴾

﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف فى ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا فى لجنة الافيون المناقشة فى منع الاتجار بالمخدرات فبسط الحالة فى مصر بسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السيء الذى يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الاوربية وقع عظيم فى النفوس . وقد قال ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى مقتصرة على الحشيش السورى والافيون السودانى وكانت اضرارهما محصورة فى دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكايين وتلتها تجارة الهروين وجنى المهربون منهما أرباحا طائلة . وقد انتشر استعمال هذه المخدرات فتناولها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الادمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذى يبلغ أربعة عشر مليونا . ووصف رسل باشا بعبارات مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدواها بين سكان هم من أصح الناس بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن تصب اوربا اطنانا من السموم على مصر وناشد جميع البلدان التى تصنع المخدرات أن تعاون فى منع هذه الآفة التى تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق فى سبيل القضاء عليها وتكلم بعبارة بليغة عن وجود التضامن الدولى فى هذا الكفاح وعن ان عمل اوروبا يجب أن يكون مقرونا بشعورها بالتبعة والمسئولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة النقاب الذى يلقيه بعض ضروب الاعمال البرلمانية والادارية على أعمال القائمين بهذه التجارة فى كثير من الاحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الافيون مثلا حسنا فى استقلال الرأى والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التى قامت بها عصابات مركزها فى سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر فى بال وهى لاتزال لدى القضاء وأشار الى الفروع المنتشرة فى ايطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وقال ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت فى أكثر الأحيان بفضل يقظة رجال السلطة فى مصر . وأثنى على ماأبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المعاونة فرد عليه المسيو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة

هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكد المسيو كارير مندوب سويسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار الى تلافي النقص الذي كان في التشريع السويسري ووقع بسببه ما أشار اليه رسل باشا في بيانه وهنأ رسل باشا بما أبداه من النشاط والحزم . وقد أشار رسل باشا الى التحقيقات القضائية الجارية وستعود اللجنة الى المناقشة في جلسة خاصة و بفضل ما أبداه رسل باشا من الحزم سيفضي الأمر باللجنة الى طلب ايضاحات من بعض الحكومات عن عمل بعض المعامل الكبيرة التي تصنع العقاقير وهكذا عادت الى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التي كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة في تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن في ٢٧ يناير — نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لمكاتبها من جنيف ضمنها نتيجة مقابلته اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راهنة وهي أن الافشاآت التي بدت في تقريره تتفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفزان رفع الدعوى وقد قال رسل باشا بنفسه انه قد يكون في السجن يوم الاثنين عند ما يمثل امام اللجنة ويتقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهلهاوس وكيماوي بزوريخ . اذ يتبين من تقرير رسل باشا أن معمل موهلهاوس استحضر وصدر الى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروين ٤٣٤٩ كيلو جراما وهذا يساوي أكثر من ضعفي ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للمقتضيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما أصدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد في التقرير الفرنسوي عن سنة ١٩٢٨

اما فيما يتعلق بكيماوي زوريخ فقد علم رسل باشا من المسيو كارير أن القانون السويسري سيعدل بهذا الشأن و يبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا المسيو بورجوا عن معمل موهلهاوس . فالمسيو روزيت رئيس مكتب المواد المخدرة الذي انشئ حديثا في فرنسا وصل أخيرا الى جنيف لمساعدة المسيو بورجوا . و يقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفاتر معامل موهلهاوس بمعرفة أحد رجال البوليس المصري الذي كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة في موهلهاوس

لندن في ٢٧ يناير — أنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم ان مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستدعي الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة في الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد في اوروبا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية الى محاربة المصانع الكيمائية التي تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب اذ لا فائدة من الاقتصار على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها ما دام مصنع واحد في الالزاس يمكنه أن يستحضر من الهروين في كل عام أكثر من ضعفي ما يلزم العالم منه للاغراض المشروعة فقد يتسنى لتجار المخدرات أرباب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفي تقرير رسل باشا معلومات مختصرة وافية للجنة عصبة الأمم للنظر في خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للمقتضيات الطبية ولكن ما دام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تتطلبه الحاجات الطبية لابد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارتها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واكله في الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصوله تحديدا دقيقا غير ممكن عمليا ولكن ربما تسنى ذلك في المستقبل اهـ

﴿ تذكرة ﴾

(فى صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠)

تأمل أيها الذكى هذه الصورة واعجب لآيتنا التى نحن بصددها ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ـ الخ واذكر قوله تعالى ـ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود ابليس أجمعون ـ وقوله تعالى ـ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ـ

أتدرى ما سبب هذا كله؟ سببه الجهل، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المخدرات القاتلات، وما هؤلاء المرسومون المساكين الذين أغراهم زبانية جهنم من الاوروبيين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا لعقولهم واستصغارا لشأنهم وقياما بحق الاهلاك الذى سنته شرائعهم التى اتفقوا فيما بينهم عليها منذ أيام الحروب الصليبية ومن قبل ذلك فى الحروب الأندلسية، ذلك أنهم رأوا فى أمة العرب قوة شكيمة فهرعوا الى الخديعة والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لايحاربوهم إلا بالعادات وادخال الفضلات عليهم، وعاهدوهم على أن يكون التعليم حرا والتجارة كذلك، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنادى فى قومه قائلا: «أيها القوم: سيأتى يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يقرؤن فى كتب الاوروبيين ويتنعمون وينغمسون فى الشهوات ويسرفون فى المآكل والمشارب ويحقرون دينهم ثم يتفرقون شيعا ويذوق بعضهم بأس بعض. فقالوا: أنت رجل قصير النظر لاتعرف فى السياسة شيأ»

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك الاسلاميين جيوش نعال خيلهم من ذهب، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين فى الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع فى غادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من الفرنجة بالربا وشربوا الخمر نهارا جهارا وذموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشعر وتركوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا

هنالك ذهبت الحية وافترقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وتفرقوا عشرين دولة وهم صاغرون، ثم هلكوا ومن بقى منهم تنصر ومنهم من غرق ومنهم من طرد الى فرنسا ومنهم من سار الى بلاد مراكش وما والاها ولله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التى فعلوها فى الأندلس هاهم أولاء يفعلونها فى بلاد الاسلام الآن، فانظر كيف ضحكوا على أذقاننا وأدخلوا السم بلادنا جريا على أخلاق المسيح الدجال. دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودسوا السم فى الدسم. فأما المتعلمون منا فعلومهم قشور وفضلات، والدليل على ذلك انهم لايعرفون من علومهم إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلا أو الانجليزية. ويظن أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية قد ألموا بعلوم الغربيين وجهلوا انهم أصبحوا مغمورين فى مخازى سفهائهم وشرور جهالهم واندمجوا فى همائهم فطاحت القومية وضاعت لتفرق الأهواء وتخاذل سفهاء الرؤساء سعيا وراء الشهوات التى اتبعوها باغراء القوم وازدراء للاوطان والأديان الشرقية تقليدا لأولئك الاوروبيين فهم لايلبسون إلا من مصانعهم ولايغازلون إلا نساءهم ولاينامون إلا فى فنادقهم ولايتعاطون مشروبا ولامأكولا إلا من أيدى خادمى فنادقهم والمنازل المعدة للشراب والطعام. فما أشبه الليلة بالبارحة

لقد ذكرت فى الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسبانى فى قرطبة الذى اشترى عنب قرطبة كلها وعصره وقال أنا لا أعطيه إلا لأبنائى وأحبابى تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أربعمائة سنة والغفلة مستحكمة ولم يظهر فى أمم الاسلام عقول راجحة تفهم العامة ماحاق بهم من الذل والهوان والجهالة وانى لم أجد رجلا فى

الشرق استيقظ لذلك إلا نابغة الهند وهو غاندى فانه حرم الملابس الفرنجية والخمر وكان الأجدر بهذا أمم الاسلام

إذن ليس هؤلاء المرسومون فى الصورة المتقدمة المخدّرين وحدهم . كلا . فأمم الاسلام اليوم فى بلادنا مخدّرة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المتعلمين والأغنياء وأرباب الجاه ، أولئك الذين يعيشون ويموتون ولاهم يذكرون فلا يعقلون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة الاوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجدّ أهل الشرق فى المصانع والمعامل والمناسج والمزارع والتجارة حتى يضارعوا أهل الغرب فى كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخدّرون وصدق فيهم قوله تعالى ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ـ وحشرهم فى الآخرة قد ظهرت بوادره فى الدنيا بأمثال هذه الصورة وباشتراك سكان شمال افريقيا من مصر الى مراكش وسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل فى الاستعباد للأمم الاوروبية لغفلة العلماء والأمراء السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فلئن رأينا المرسومين فى هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكمة عند الحكومة المصرية ليزجوهم فى السجون لنرين هذه الأمم العربية فى شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجون الاحتلال والاستعباد واذلال أهل أوروبا يرسفون فى القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ﴾ ونام عنها تولى رعيها الأسد

اللهم إن هذه هى نفسها صفة المسيح الدجال ، إذن المسيح الدجال المذكور فى الأحاديث الآتى فى آخر الزمان له أمثال وأشباه وهؤلاء المسيحيون الدجالون يطلق عليهم المسيح الدجال من باب الكناية لأن الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح الدجال الذى فى الأحاديث على معناه الظاهرى ولكن المقصود هنا فى زماننا هو المعنى الكنائى كما ذكره الامام الغزالى فى حديث « إن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب ولا صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لايمنع من المعنى الكنائى وهو ان الذين امتلأت قلوبهم بالشهوات المرموزلها بالصورة أو بالقوّة الغضبية المرموزلها بالكلب لاتتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعد الناس عن العلم فهكذا هنا فليبق الدجال على معناه الظاهرى ولكنه يرمز الى ما نحن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم دخل عليهم هؤلاء المسيحيون الدجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا فغمسوهم فى الشهوات واللذات والجهالات فماتت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانسانى اليوم مخدّر مخمور كهؤلاء الذين فى هذه الصورة فهم يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ما تقدم فى سورة طه وسورة الشعراء وأوّل سورة الحجر وفى سورة البقرة عند آية ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ ففى تلك المواضع وضح ما يقوله الأطباء فى زماننا فى الذى يجب أن نأكله وفى أنواع المداواة ، ثم انظر الى ما يأتى فى ﴿سورة ص﴾ عند آية ـ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ـ وكيف تسمع أفلاطون حاكيا عن سقراط فى الجمهورية وهو يخاطب غلوكون إذ يذم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عيشة الترف وأن ذلك مضعف للأجسام مضيع للعقول ، وكيف تدهش حين تسمع منه هذا الأمر العجيب الغريب وهو أن هناك علاقة تامّة وصلة ثابتة بين القضاة والأطباء وبين المآكل والمغانى ، وأن الناس كلما أكثروا من ألوان الطعام ولم يكتفوا بالبسائط من الأطعمة كثرت عندهم الأمراض فاحتاجوا الى الأطباء ، وأن المغانى وان كانت ملطفات لأمزجة الجيوش الذين يزاولون الأعمال الرياضية (بالجناستك) لايجوز التفنن فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف أمام القضاة فوجب أن تكون المغانى بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك المآكل ، وعار على أبناء الجمهورية أن يحتاجوا الى الأطباء إلا نادرا ولا الى القضاء إلا فى أمور خاصة ، وأخذ يحقر من يفتخر بأنه قد غلب خصومه بالحجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التى خلت من القضايا ومن المشاغبات هى الحياة التى تليق بالانسان »

إذن المخدّرون الموسومون فى الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهـم أكثرالمتعلمين نصف تعليم من الذين درسوا فى المدارس النظامية ومن الأغنياء فى ديارالاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا فى نارين : نارتقليد الفرنجة وشراء بضائعهم ونارالجهل فى المآكل التى توقع كثيرا منهم فى المرض مع الشهوات الأخرى كالطمع والحرص والحسد الموقعات فى المشاحنات واقامة القضايا أمام القضاة ، فلئن حشر هؤلاء المخدّرون فى السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم فى شمال افريقيا والشرق الأدنى فى حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة فى الدرجة التى كانوا عليها فى الدنيا معا

هنالك سألنى صاحبى قائلا : علام هذه الضجة كلها ، ألسنا الان فى تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على ــ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ــ الخ مع انها لم ترد إلا فى الكفار يوم القيامة وأنت صببت كلامك كله على المسلمين فى الحياة الدنيا . فأين الآية وأين ماذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد تقوله فأتيت به تبع الآية والا فالآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدقا ومامثلى فى هذا إلا كمثل عمر رضى الله عنه فى قصة الربيع بن زياد المذكورة فى ثنايا هـذا التفسير إذ كان أميرا من أمراء البحرين تحت رئاسة أبى موسى الأشعرى إذ كتب له عمر احضر أنت ومن معك فحضروا جميعا ووكلوا بدلهم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتال الربيع الذى هو أحد الأمراء أن يفعل مايرضى أمير المؤمنين باشارة غلام عمر المسمى (يرْفأ) بأن اتخذ نعالا مطارقة أى ذات رقاع من جلد غير منتظمة ولبس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الخشن وهـذا الأمير ومن معه ماتعوّدوا الطعام الخشن ، فلما أن مدّت المائدة لم يكن فى الأمراء من كان أسرع اليها من الربيع اشدّة جوعه فأعجب به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع ياأمير المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما ألين من هذا فزجره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لوانك أمرت أن يكون خبزك فى يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (بضم أوّله وسكون ثانيه وفتح ثالثه) أى أأنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : ياربيع لوشئت لملأت هـذه الرحاب صلائق وسبائك وصنابا ولكنى سمعت الله يعير قوما إذ يقول ــ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ــ والمراد بالصناب كتاب الزبيب المصنوع مع الخردل ليقوّى شهوة الطعام التى ذمّها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالصلائق أنواع اللحوم والسبائك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذى استنكره أطباء زماننا ، إن هـذه الآية وردت فى الكفار ولكن عقول الصحابة وآراؤهـم لم تكن كعقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهمكون فى الشهوات يعاقبون لأن الانهماك نفسه سبب للنتيجة لافرق بين مسلم وكافر فلذلك قرأ الآية ولم ينكر عليه أحد والعلماء المتأخرون يقولون فى مثل هذا انه اعتبار بما فى الآية فأنا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون فى جهنم . فأنا إما أن أفهم كفهم عمر رضى الله عنـه ويكون كل هذا داخلا فى معنى الآية وان وردت فى الكفار ، واما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الاصول وكلامنا هنا كلام علمى تاريخى لامناقض ينقضـه . نعم الجهل هو الذى ينقضه والجهل شؤم كله . فأنا إذن فسرت الآية إما تفسيرا أصليا على طريقة عمر أو تفسيرا بالاعتبار على طريق المتأخرين والحمد لله رب العالمين

***

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها الذكىّ هنا قولا جامعا فى حبس الناس فى عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهـم لمناسبة صور أولئك المدمنين على المخدّرات ولكن اقرأه فى ﴿سورة ق﴾ عند آية ــ يوم نقول

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد — فهناك ستسمع حديث السكير الذى ملكت الخمر فؤاده فلم يقدر على التخلص منها والحديث المبكي المذكور فى الجرائد المصرية و بين الحديثين أربعون سنة والحديث الثانى حديث من وقع فى المخدرات المذكورة هنا وكان تلميذا فى الابتدائى . فهناك وصف محزن لهذه الطائفة التى ابتليت بشم الكوكايين الذى جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع لبيان أن هذه أمثال ساقها الله لنا واضحة تدل على ماعندنا هذا الانسان من العادات الموروثة والشهوات التى حصرت فى أحوال خاصة منعته من الخروج منها مما يدل على أن حياتنا الدنيا فى صورتها أشبه بعصفرجهنم فالناس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لايقدرون كما هى الحال فى أهل جهنم والحمد لله على ماعلم وله الشكر على ما ألهم

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — وقفوهم انهم مسؤلون ☼ مالكم لاتناصرون ☼ بل هم اليوم مستسلمون — ﴾

جاء فى الحديث أن ابن آدم لا تزول قدماه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم

اعلمى أيتها الأمم الاسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدى الله تعالى له مقدمات ظاهرات فى الدنيا خافيات ، فنحن فى تعاطى الطعام مسؤلون وان كنا به جاهلين كما أنا مسؤلون فى نظام مدننا وفى افاضة الخير على غيرنا وان كنا غافلين ، لاعذر للجاهلين فى الدنيا ، ولوكان الجهل عذرا لم نر الذين يسرفون فى طعامهم وشرابهم تنتابهم الأمراض ولاأولئك المسرفون فى أموالهم ترهقهم الديون ولا الكسالى والمترفون يغشاهم الفقر ولاالذين يتعاطون المخدرات فى بؤس وعذاب مهين فى هذه الحياة وعذابهم لزام كأنهم يشربون شرب الهيم ، ولا الأمم الشرقية التى غفلت عن العلوم والصناعات قد ملك زمامها الاوروبيون — وقفوهم انهم مسؤلون ☼ مالكم لاتناصرون ☼ بل هم اليوم مستسلمون —

أنتم مسؤلون عن صغيرات الامور وكبيراتها فى الآخرة كما أنكم مسؤلون فى الدنيا . هاأناذا فى مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليد ظالمة والناس بها مفتونون ، اهدموا التقاليد وأزيلوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الاصلاح ، أمر فى شوارع القاهرة فأرى شباننا وزهرات الجيل الحاضر محشورين زمرا زمرا فى مشارب القهوة يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤن علم الطب فى الكتب ونظام السياسة فى الجرائد ولكن أكثرهم لايعلمون

التجارة فى يد الأجنبى وهو الذى يدير تلك المحال و يستنزف الثروة و يضيع شباب شباننا و يفتح لهم باب الشهوات فتقل الأمانات ولهم امتيازات وتفضل على الوطنى نالوه قديما ونحن نائمون

منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا و بارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدهم على حرية التجارة والدين والتعليم ، وهؤلاء سليموالقلوب فلندخل عليهم مانشاء من التعاليم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شربت الخمور فى الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والشابات بالفسوق وعدوا ذلك مدنية حديثة ، عصر راهب اسبانى عنب قرطبة كله خمرا حبا فى أحبابه وهم تلاميذ المسلمين ، تقهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذلت الأعقاب ، زلت الأقدام . هلكت الجيوش ، زالت العروش ، طردوا من بقى من البلاد وهم محقورون مرذولون منبوذون — وقفوهم انهم مسؤلون ☼ مالكم لاتناصرون ☼ بل هم اليوم مستسلمون —

زالت الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوهم انهم مسؤلون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ باخوانهم ، جهلوا أصلهم ، حقت عليهم كلمة ربهم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤلون

نبغت أمم ودول فى أوروبا ساروا سيرا سباتيا ، دخلوا شمال افريقيا من تونس والجزائر ومراكش ومصر والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس الدرس والاسلوب الذى أسسه البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا

فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجوهم فى محال القهوات . استهووهم بالغادات الحسان . شغلوهم بالعادات بغضوهم فى العبادات وفى كل ما هو شرقى . سقوهم خمرهم . وأجلسوهم فى أماكنهم . أخذوا نقودهم . حقروا لهم دينهم وأصلهم ومآكلهم وملابسهم ومشاربهم وسير آبائهم . مقتوهم . كرهوهم ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ وهم يتبرّؤن منهم ويقولون ـ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ـ

ذلّ المصرى والمراكشى والجزائرى والتونسى وأقفلت الطليان زوايا السنوسيين فى طرابلس وتمزّقت وحدة السورى لأن هذه الأمم متفرّقون وأمراؤهم السابقون وعلماؤهم وصلحاؤهم لم يكونوا يتواصلون وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأعقاب وأهينت الأنساب وحلّ البطش وتفرّق الجمع ـ وقفوهم انهم مسؤلون ☆ مالكم لا تناصرون ☆ بل هم اليوم مستسلمون ـ

ذلّ الجمع . واتسع الصدع . وفتق الرتق . وقلّ الجند . وذهب الجد وزال الجد(١) وقل الجدّ(٢) والمسلمون نائمون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

بقيت امتيازات الأجانب فى البلاد لجهالتهم لأن تجارتهم رابحة وأعمالهم رائجة . ربطت العادات على قلوب الشبان فهم فى تلك الأماكن يكرعون . ومن مآكلهم يتغذون . فتوطدت الامتيازات وبقى الذل ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فمنعوا الملابس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأمرين بابان للفتن وخراب الأسرة وضياع المال وبقاء الاستعمار ولكن فى بلادنا وأمثالها لا سميع ولا مجيب ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

وينشأ ناشئ الشبان منا ☆ على ما كان عوّده أبوه

اعتاد الناس تعاطى الدخان وتغالوا فى شرب الخمر وأتبع ذلك الشاى وغيره ومخدّرات وسموم والناس ساهون لاهون والفرنجة هم الضاون والمسلمون مهملون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

ليحرّم علماء الاسلام أن تغشى تلك الأماكن أماكن الفرنجة التى تخالف الصحة فى هوائها الفاسد بكثرة الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد فى اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الدخان والقهوة والخمر . ولقد أصدر الأطباء حكمهم على هذه لاسيما أطباء أمريكا وتقدم نقل ذلك فى سورة البقرة عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

تفرّقت القلوب شيعا فى بلادنا وذاق بعضهم بأس بعض ـ وبأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ حرصا على المال وغراما بالشهوات فلك الأجنبى رذل الوطنى وعسى أن يزول ذلك قريبا ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا الرياضيات درسوا ولا الطبيعيات تعلموا ولا الإلهيات فهموا ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

قلت الصناعات وطاحت التجارات فى البلاد وخلت الديار وضاق الخناق وتفرّقت الأهواء وكثر المراء وظهر الجدل واضمحل العلم والدين ولا مغيث ولا معين ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

ما ملك الفرنجة ولا أبقاهم فى بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات السافلة فى محالهم وافتتانهم بصناعاتهم ولو أن الشعب عرف الحقيقة وتخلى عنهم لخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

(١) بالكسر (٢) بالفتح

ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

أجسام الشرقيين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الدين من بلادهم ظهر ، وكل نبي فهو من الشرق باصطفاء الله ثابت ، عرفت أوروبا قدر الشرقيين فخافوا بأسهم ، حذروا أن يقرؤا علومهم و يعرفوا صناعاتهم فيردّوا كيدهم فى نحرهم فشغلوهم بالشهوات ، وأفشوا بينهم العداوات ، إنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصر علماء الدين نحو ألف سنة على فروع الفقه، ونسوا أكثر ما ذكروا به فى القرآن ونسوا آيات الله فى الأكوان فى الأرض والسموات فأقفلوا باب علوم القرآن ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

اتحد الأطباء فى اليابان وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أصلح لنوع الانسان وأيها أضر ؟ فأجمعوا فى هذه الأيام على أن ما أنضجته النار قليل النفع وما يتعاطى بلا طبخ ينفع الأجسام و يمنع الأمراض و يحفظ العقول ورجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قل فيهم الأطباء فلم يدلوا دلوهم فى الدلاء لأن المسلمين لايعلمون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

درس الأطباء فى العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والضياء فأجمعوا أن تعريض الأجسام للشمس نهارا كما يعرضها الحاج فى عرفة والحياة الخلوية فى الهواء الطلق منعشة للأبدان مقوّية للعقول قاتلة لكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرّي ولكن هؤلاء الأطباء فى المسلمين يقلون لأن أكثر المسلمين لايعلمون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

درسوا أيضا فوائد الرياضات البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال الزراعية والمشى فى الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا فى كتاب القانون إذ رأيته ذكر جميع أنواع التمرينات بأوسع مما ذكره الفرنجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وان قرأ بعضهم الطب وملحقاته فانما هم للفرنجة مقلدون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

رأوا فى جزيرة العرب أمراء وملوكا يحكمون أمما لاتزال على فطرتها وعقولا قوية ونفوسا شريفة تستعدّ لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الخيرات . فهاهم الآن يريدون أن يجعلوا بأسهم بينهم شديدا ليصرفوهم عن العلم الى الحرب . فالدرس الذى تعلموه من قدماء الاسبانيين لايزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

اللهم إنى أكتب هذا وأنا أعلم انك سائلى عن كل ماعلمته من النقص فى أمم الاسلام ولقد سهلت لى سبيل العلم والنشر فأنا مسؤل وكل تقصير يقع منى فى تلك السبيل أعتقد انى عنه مسؤل والجزاء عليه فى الدنيا بالحرمان وفى الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويقف المسلمون والخلائق أجمعون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

المسيح مسيحان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشاكله فى الصدق أناس وأمم فى أزمان مضت فى دهر الدهارير . وأما المسيح الكاذب وهو الدجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة فى جميع الأمم شرقا وغربا وهم الكذابون الخائنون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلط الله هؤلاء عليهم .وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغازات هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمر والوزراء واباحة الشهوات واكثارها فى البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فنارهم من اصطلاها نال جنة الاستقلال وجنتهم الشهوية من المطاعم والملابس والاغترار بالوظائف والامارة من دخلها لم يفلت منها وتنقلب عليهم نارا حامية فكأنها شراب الخمر والمخدّرات يذل شاربه وهو لايقدر على الفرار منه وهذه الطوائف فى نارهم يحترقون ـ وقفوهم انهم مسؤلون ـ

أيها المتعلمون : أيها الأمراء . أيها الملوك فى الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحانا فى المدارس وضعوا كل امرئ فيما دلّ عليه استعداده من زراعة فى الحقول أوصناعة فى المدن أوسياسة أوعلم ، فلكل امرئ شأن واستعداد يخصه والمسلمون لذلك تاركون ــ وقفوهم انهم مسؤلون ــ

استخرجوا كل قوّة من قوى أفراد الشعب ، لاتضيعوا استعداد النفوس التى خلقها الله لكم ولاتذروا حقلا ولاسهلا ولاجبلا ولانهرا إلابحثتموه وعرفتم طرق الانتفاع به ، ولايتسنى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لاظهار منافع ماتملكون وتذكروا ــ وقفوهم انهم مسؤلون ــ

اللهم إنى نصحت وبذلت طاقتى فى إيقاظ هذه الأمة وهذا جوابى يوم أسمع النداء ــ وقفوهم انهم مسؤلون * ما لكم لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ــ وبهذا تمّ الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب فى مدينة حلوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى ــ إنى كان لى قرين ــ)

لقد تقدّم فى ﴿ سورة سبأ ﴾ عند قوله تعالى ــ ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ــ الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى فى الامور الاعتقادية وسير الناس وراء القادة والرؤساء بلاعقل ولاهدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الاسلامية فى الجهل قرونا وقرونا وأفضت هناك فى الكلام على محمد بن تومرت وملخص تاريخه وانه أسس دولة واستقل بها إزالة للظلم واقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوما الى آخر ماتقدّم هناك ، وقد أبنت أن مثل هذا لايدوم نفعه وانما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والاناث ، فأما هنا فان القرين لم يتبع قرينه بل فكر واستبصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن إمّعة كالدابة تسير وراء قائدها فلذلك أخذ يقول : ــ إنى كان لى قرين * يقول أئنك لمن المصدّقين ــ الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء فى ﴿ سورة سبأ ﴾ بالمحاورة بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكأنه يشير الى أن الناس قد احترسوا مما وقع فيه المقلدون بلاعقل فلذلك نرى القرين لايتبع إلاالحق ولايتبع قرينه فلذلك يقول الله هنا ــ تالله ان كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ــ بدل أن يقول هناك ــ لولا أنتم لكنا مؤمنين ــ الخ فهذه المحاورة لعاقل أراد صاحبه اضلاله فلم يعبأ به واتبع عقله وهذه خصلة أمم الاسلام فى مستقبل الزمان يتعلمون ولايتفرّقون تابعين فى ذلك أهواء الرؤساء المضلين والشيوخ الجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أدركوا أن أمم الاسلام لاتعيش بالافتراق الذى جناه عليهم الرؤساء وانما تعيش بالوئام والمحبة العامّة وقطع دابر التخاذل والتنابذ والخصام واذن يقول المسلم لمن كاد يضله ــ تالله إن كدت لتردين ــ . أكتب هذا على انه تنظير لا انه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن الآراء التى يتلقاها الناس كابرا عن كابر قد تكون مدخولة مضلة وان كان الناس لايعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة النيازك وهى الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيكل) التى تسقط على الارض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففى أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلا معدنية صخرية مختلفة فى الحجم وفى الثقل تسقط على الارض من بعض الكواكب فقابل

أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الاشهر لافوازييه (واضع أصول الكيمياء الحديثة) فطعن أشد الطعن على هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جرم سماوى يجذب أجزاءه اليه وأنه من المستحيل أن تسقط صخور من السماء على الارض وقدم تقريرا جازما الى مجمع العلوم بباريس ساخرا فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلهم الى الشك فى قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم مرت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات أن لافوازييه كان خاطئا وأن النيازك حقيقة لاشك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الارض رغما عن سيطرة الجاذبية

(٢) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص فى أنه كان من البديهى عند العلماء فى النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لايوجد أثر للكائنات تحت عمق ار بعمائة متر فى البحر الملح وذلك لان الضوء لايصل الى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبلغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوى وأنها لايمكنها أن تعيش مطلقا تحت هذا الضغط . فمن البديهى اذن أن لايوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولايخفى أن هذه البرهنة واضحة بسيطة متماسكة منطقيا فكان من المعقول أن يكتفى بها العلماء وأن يطمئنوا الى حقيقتها ولكن أظهرت الابحاث التالية فى صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بآلات صيد خاصة تدل بالضبط على العمق الذى أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها الى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطا يقدر بسبعمائة ضغط جوى وانها رغما عما كان ينتظر منطقيا منها محمية بدروع صلبة تجعل أعضاءها الداخلية فى مأمن من العطب بل ان أغلب هذه الحيوانات هى على الضد من ذلك طرية الملمس والجدار كبعض مثيلاتها فى المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذى تخفيه هذه الحيوانات فى تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكرر صيد الاعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئا فشيئا حتى أصبحت لاشك فيها الآن ودخلت فى مجال العلم رغما عن مخالفتها للمنطق الذى استندت عليه الآراء القديمة

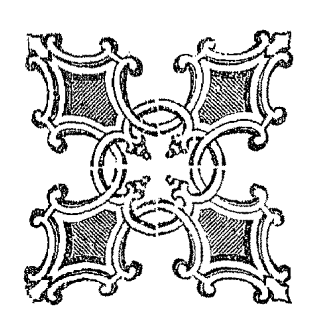
(٣) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة فى وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تعوّدوه من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لايؤمنون به . وان كانت آراء دارون الاصلية قد تشتت كثير منها فى مهب الريح الا أن اثرها فى تطور الابحاث العلمية لاشك فيه ومركزها فى تاريخ العلم مركز عتيد

(٤) وكذلك لما قام العلامة باستور بابحاثه المعروفة فى المكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيرا من الامراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة فى عضو من أعضاء الانسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب فى سوائل خاصة واحداث المرض نفسه فى حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن فى هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الامراض الميكروبية من التقدم والتحسن حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(٥) ولما أظهر باستور بواسطة تجارب المتقنة المحكمة أن الكائن الحى لايتكوّن الا من كائن حى سابق وأنه من المستحيل أن تتكوّن الحياة فى سائل عضوى معقم تعقيما كافيا أى ان نظرية التولد الذاتى مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوع بين علماء ذاك الوقت . لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب مخطئين كل التجارب مستندين الى ماتعودوا رؤيته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٩) ولقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ولكن لما ظهر الحق على أيدى علماء الاسلام أوّلا كما تقدّم ايضاحه فى أوّل ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هى التى تسير حول الشمس وعرفها علماء أوروبا فلما ظهرت على أيدى بعضهم صودر وحبس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر فى الأرض

فهذه ست مسائل مما فاز باظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لايشك فيها ، أليس معنى هذا أن المسلمين فى المستقبل غير المسلمين الحاليين النائمين الذين يعيشون بفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالحشرات اللاتى تمتص دم الانسان وهى ضعيفة ـ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ ولقد قلت مرارا فى هذا التفسير أن أمم الاسلام فى المستقبل غيرها فى الماضى والله هو الهادى الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة الرابعة وبها تمّ الكلام على سورة الصافات والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص

ويقال لها سورة داود عليه السلام

(وهي مكية)

(آياتها ٨٨ — نزلت بعد القمر)

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في تفسير الألفاظ « الفصل الثالث » في مقصود السورة

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

لما قدمت هذه السورة الى الطبع حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير فقال : لقد فسرت البسملة فى السور السابقة بطرق شتى بحيث لايسبق الى الذهن تكرار فى التفسير ، فهل تريد أن تكتب شيأ فى تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو يغاير ماتقدم ؟ فقلت نعم . فقال : من أى وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة فى لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لايلحظ فيه إلا الذات وأما الرحمن الرحيم ، فهما للرحمة آثار لانهاية لعدها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة فى آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام اجمالى والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، ويذكرها الحكماء فى علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساما ، وهذه الأقسام هى المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لاحاجة الى الافاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العلوم الرياضية والطبيعية يرجع الى هذه الكثرة المخبوءة فى وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التى سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية فثلى فى ذلك مثل علماء الهندسة إذ يعرضون على الطالب أمورا معلومة للجاهل والعالم ويستنتجون علوما لايعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيضان لايجتمعان واذا أضيف شيآن متساويان الى شيئين متساويين يكون الجميع متساويا واذا حذف شيآن متساويان من شيئين متساويين فالباقى متساو وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصلوا بعد (٣٢) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوى مجموع مربعى الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بديهية ، فهكذا هنا أنا أبحث فى الوحدة والكثرة فى الامور المشاهدة أولا وأرقى على ذلك بما هو أعلى وأغلى . فقال : لقد شاقنى وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : مامن امرئ إلا وهو يعتقد انه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فلكل انسان أعضاء للاحساس وهى خمس وأعضاء للعمل وهى خمس أيضا ، اليدان والرجلان واللسان ، فاليدان لجميع الصناعات على الأرض والرجلان لانتقال الأجسام واللسان لنقل المعلومات فى الهواء ومن صناعات اليدين الخط وهو مساعد اللسان فى نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للغائبين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبكية والبلورية فى العين وكالجلد والعرق والعضل فى اليد ونحو الجلد والشبكية والبلورية كل من هذه يسمى جزؤه باسم كله . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبكية وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ماقطعت منه فى التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لايتغير اسمها عما

قطعت

قطعت منه بخلاف الجلد اذا كشطناه عن اللحم فكل منهما يحمل اسما يغاير الآخر . وهذه الأجزاء التى تسمى جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهى هذه الأجزاء الى الالكترونات وهى النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فبهذا عرفنا وحدة الانسان فى قوله انا وكثرته بهذه الأجزاء التى لا يعرف مدى قسمتها وتحليلها ، ولاجرم أن الوحدة هى التى جمعت هذه الكثرة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهى الجامعة لمتفرّقاته فى الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرّقت شذر مذر فى الأرض والماء والهواء إذن الوحدة لها السلطة والغلبة على الكثرة وكثرة بلا وحدة ضائعة متفرّقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمّة والانسانية جمعاء والحيوانية وهكذا الى أن نقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ماقلنا فى وحدة الجسم وكثرته نقول فى وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها وهكذا القرية والأمّة الواحدة والأمم الشرقية والغربية ثم الانسانية جمعاء فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذا علونا الى ماهو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوالم النباتية فالعالم الأرضى كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة ولها كثرة كجسم الانسان وبالوحدة البقاء وبالتفريق الهلاك فلابد من وحدة تضبط الكرة ، واذا علونا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسميها المجموعة الشمسية التى نرى لها تسع سيارات باعتبار الكوكب الذى وراء نبتون الذى كشف فى هذه السنة ، وهناك ذوات الأذناب والنيازك والشهب الجاريات حول الشمس التى يقال ان عددها كعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . ألاترى الى مايسمونه الجاذبية ، تلك الحال التى تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لاتحيد عن أماكنها كما لاتترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا ألله : لنا أجسام ذات وحدة جمعت كثرتها فاذا فارقتها الوحدة بخروج الروح تفرّقت أجزاؤنا وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب فى أماكنها ولولا الجاذبية لتفرّقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام فى المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح فى جسمى اذا خرج منها تفرّقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاشت فى أقطار الخلاء البعيد المدى وفى المجرّة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التى نشاهدها فى الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا فى رأى العين ، وحكم المجرّة الواحدة مع كواكبها الثابتة التى هى فى الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ماذكرنا أوّلا من الجسم ومابعده (انظر بعض هذا فى أوّل سورة سبأ) وليس فى السماء مجرّة واحدة بل هناك مجرّات وسدم (جمع سديم) تعدّ بمئات الملايين وقد فعل بها مافعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعلوم أن النور يسير فى الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوالم جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح تجمع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان فى العالم معنى يحفظه وقوّة تضمه يسمونها الجاذبية وهى عين الوحدة

﴿ نظام الجسم الانسانى مع هذه العوالم ﴾

قلنا إن الجسم الانسانى له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأوّلها حاسة اللمس التى تعم كل حيوان حتى الدودة بل هى سارية فى النبات أيضا وهذه قسطها من العوالم حولنا ماقرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ويليها حاسة الذوق بالحلاوة والملوحة والمرارة والحرافة والعذوبة وهكذا ثم الشم للروائح التى يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم فيصل الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها ويعرف بالمجهر الى القدر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العلوم والعلم أغاث الانسان فرفعه فوق مارفعته هذه الحواس . إذن الجسم الانسانى من حيث العلم قد شهد العوالم بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام

على القسم العلمى من الجسم الانسانى

أما القسم العملى فهو أعضاء العمل وهى قسمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللتان نسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار فى الأرض والآلات الجاريات كالعربات وما يسمونها السيارات (الاتوموبيلات) وهكذا كل ما يجرى على الأرض بجر الحيوان أو بدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، ويلى ذلك الطيارات التى تطير فى الجو وتحمل الناس والأثقال ، فهذه كلها قامت مقام سعى الرجلين وبهذا تم الكلام على العضوين اللذين أعدا لنقلنا وسيرنا على الأرض

أما العضوان اللذان أعدا للأعمال فهما اليدان اللتان بهما نصنع ما نحتاجه للطعم والملبس والمسكن وما تفرع منهما واستعنا على ذلك بآلات قامت مقام عمل اليدين كما قامت المناظر مقام العينين فى بحث الكواكب البعيدة وقامت الطيارات فى الهواء والسيارات على الأرض والسفن فى البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التى قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليدان أو الحيوان أو الفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لاتمام عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزرعة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يوصل العلم من واحد الى الآخر ويعين على الأعمال العامة فهو بحركته عامل وعمله ينتج العلم . هذه هى حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو علوم طبيعية لصور خارجية فى العوالم الأرضية والسماوية

﴿ الصور الخارجية والصور الذهنية والعلوم الرياضية ﴾

قلنا إن أكثر ما ذكرناه علوم طبيعية إذ هى ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العوالم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كثرة من وجهين والكثرة لاحد لها ، فاذا لم ترجع الى الوحدة فى أذهاننا كما أنها راجعة فى الخارج كان جهلنا بها عظيما لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت ولا ثبات إلا بقوانين ، أما الكثرة التى لا قانون لها ولا ضابط فهى خارجة عن الحصر وما خرج عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد فى نفسه لأن له روحا جمعت أجزاء هذا البدن واذا خرجت هذه الروح من الجسد تمزقت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت فى كل فج عميق

ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لا ضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالذى جمع ذلك كله وحدة هى الروح ، فليس فى الأرض امرؤ يقول فى نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، ففيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر فى أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين والثديين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى فى كل أصبع ثلاث مفاصل ويرى أعضاء البطش أربعة وهى اليدان والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسا وبتضعيفها تكون العشرة ثم العشرين بضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والألف والآلاف والملايين ومافوق ذلك وينتهى ذلك كله بأن نقول علم العدد . إذن الانسان فعل فى صوره الذهنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فعل بعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والألف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهى الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد أو الحساب كما قال فى العالم المحسوس هو الكرة التى يسير الضوء حولها كذا وكذا فيما تقدم . إذن الانسان اخترع لنفسه صورا ذهنية هى الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها فى الخارج وهل فى الخارج إلا المعدود . والسماء والأرض والبحر والجبل ليست أعدادا كلا . بل هى معدودات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانسانى ليكبح بها جماح الصور الخارجية التى تريد أن تفلت من يده فضمها وجمعها فقرت فى يديه وحضرت لديه فعرفها فكان بذلك قرير العين

ويلى

ويلي الحساب علم الهندسة . وماعلم الهندسة إلا نظام للمقادير المتصلة من الخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحنى والمنكسر وكالزاوية والمثلث والمربع وكالكرة والمكعب وما أشبه ذلك ، فالقوانين الهندسية التي سبق كثير منها في ﴿سورة الروم﴾ عند آية ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها ـ بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت في عقولنا وحفظت في أذهاننا فارجع اليها فانك تجد هنالك نسبا وصلة ورحما بين أنواع الأشكال في مساحتها كالنسب والصلة بين ذوي الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب في ضبط المادّة كي يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرّعة على ذلك . وماذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت في خلق الروح المودعة في هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع في نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود في الخارج وهي موادّ العلوم الطبيعية . ونوع لاوجود له في الخارج وهي الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ نرى المثلث مثلا اتصلت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لامتصلان وهنا يقولون إن الوجود له ﴿أربع مواطن﴾ وجود في الأذهان كهذه الأعداد ونظريات الهندسة . ووجود في الأعيان وهي المعدودات والأشكال الهندسية الملموسة . ووجود في اللسان وهي الكلمات الدالات على مافي الأذهان . ووجود في البنان وهي الكتابة الدالة على مانطق به اللسان . إذن الموجود اصالة هو الخارجي وهو المعدود مثلا ويعبر عنه العدد الذهني ويعبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأوّلا مرتبة الخارج يتبعها الذهن يليه اللسان فالبنان . ولكن الذي في الخارج هو المعدود والذي في الذهن هو العدد فهما متغايران من هذه الجهة

﴿ البحث فيما وراء المادة ﴾

(ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة في الأمم)

نظر الانسان بعد ذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ لهؤلاء جميعا والذي جبله على ذلك غريزته وفطرته كما ان نفس الغريزة هي التي اخترعت علم العدد . فهنالك قال الانسان : « إن للعالم صانعا ولكن كيف أتصوّره ؟ المادّة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مستنتجة من المشاهدات المحسوسات » هنالك أخذت المخيلة تختلق له صورا وأشكالا . وبيانه أن الانسان يتصوّر السماء والأرض ومابينهما في مخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدهما ويتصوّر المسموع بصور مما يراه ويشاهده بعينه لأن المبصرات أغلب عند المبصرين وهكذا يتصوّر الأعداد بصور مما يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بلاعقل فأنا ألاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة في ذهني منفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده في العالم وهذا من المسموعات ولكن هذه الصور المخترعة في مخيلتي للمسموع من القرآن ليست في الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صورا أخرى في خيالي للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهي مرتبة منظمة بحسب مايشاهده بصري . وليس من المعقول أن الأعمى يتصوّر هذه الصور كما يتصوّرها البصراء . إذن الانسان في صور المحسوسات والصور المخترعة للعدّ يتخيلها بحسب ماغلب عليه . إذن الانسان في تصوّره لم يلتزم طريقة بعينها فهو حرّ يتصوّر بحسب ماغلب عليه . فاذا كانت هذه حاله فيما له صورة في الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة في الخارج أغور في الحرية وأعرق وأبعد مدى في التصوير . ألاترى الى مايقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هي مايحتاج في ادراكها الى المادة في الذهن وفي الخارج والعلوم الرياضية مايحتاج في ادراكها الى المادة في الخارج لافي الذهن والعلوم الإلهية مالايحتاج في ادراكها الى المادة لافي الذهن ولافي الخارج وذلك كالنخلة في الأوّل والمائة في الثاني والله في الثالث

ههنا أخذت عقول الناس تجول فيما حولها . فأخذ كل يصف الله في خياله بما غلب عليه مما هو عظيم

فى نظره من بقرة يحرث الأرض عليها وفيل هائل المنظر وحية عظيمة وقرد وشمس وقمر وكواكب فالخيال هنا كان أوسع حرية بخلافه فى المحسوسات، فان صورها ظاهرة فلاداعى لسعة الاختلاف فى تصورها ، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ملؤها بالأصنام اللاتى تصوّر لكل أمة ماغلب على طباع أهلها ، وتارة يتخيلون صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا منيرا ، بل منهم من تخيله شريرا كثير الشرّ لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يسمون اليزيدية يعبدون ابليس ويقولون إن الله رحيم فلاحاجة الى عبادته ولكنا نعبد ابليس لأنه شرير وهكذا من الصور التى لاحدّ لها ، ولكن الانسان ذلك المخلوق الذى أدرك فى نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال . كلا . الوحدة فى جسمى وفى العوالم والوحدة فى الأعداد كما تقدم ، فالإله ليس متعدّدا بل هو واحد وماهذه إلا مظاهره كما إن روحى واحدة والأعضاء مظاهرها لاغير ، لذلك تسمع علماء الهند يقولون : « إن الآلهة الثلاثة التى يعتقدونها ماهى إلاصفات للجوهر الحقيقى وهم براهما وسيفا وفشنو ، فهم اذا ملؤا بلاد الهند بالأصنام فكلها آلهة ثانوية ترجع الى الثلاث والثلاثة انما هى صفات والله واحد » وهكذا تسمع المسيحيين يقولون قولا أخفى من هذا فيقولون : « الثلاثة واحد » ولكنهم لايفصحون كما يفصح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والمقلد لايعقل مايعقله من عاهه

فلما جاء الاسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدّد الآلهة وأنكر الابوّة والبنوّة وقال الله واحد ، فقوله تعالى حكاية عن الكفار فى هذه السورة ـ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب ۞ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشئ يراد ۞ ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ـ منشؤه نظرهم الى الكثرة والكثرة بلاوحدة ضائعة

﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدها ﴾

إن الأمم لاثبات لها ولادوام إلا بوحدتها ، ولاوحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات فى نفوسنا وعلمت بضوابط حسابية ، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة فى الأمم رباط الجماعة الانسانية تحفظها من الهلاك والتشقق ، ولذلك نجد دين الاسلام شرع الأمرين معا : وحدة الخالق ، وتبعها وحدة الأمّة : العرب فى البادية كانوا أشتاتا كل يفخر بأمته وأسرته وعشيرته اغراقا فى البداوة كما يفخر بصنمه الذى يعبده ويحقر صنم سواه ، فهو بعشيرته و بصنمه مفتون ، هنالك تفرّقوا سياسة كما تفرّقوا عقيدة ، فقال الاسلام لهم : « أيها الناس : لافضل لعربى على عجمى إلابالتقوى ، ما هذا التفرّق ، ما هذا الخذلان ، ما هذا التباعد ، هذه وحدات ضيقات ضائعات متفرّقات متباعدات ، اجمعوا هذه الوحدات كلها فى وحدة تجمعكم ، قم يابلال أذن فى الكعبة وأنتم أيها العرب اسمعوا أذانه ، وان زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم ، أنتم بنوآدم لابنو عدنان وقحطان فقط ، فلتكونوا أيها الناس أمة واحدة ، ألم نكسر أصنامكم المفرّقة لكم ، ألم نقل لكم إن إلهكم واحد ربّ السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، إذن الوحدة عامّة فى الكون فمن أين أتيتم بالتعدّد ؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تغذوها بالصلوات الخمس صحة لأبدانكم وقوّة لايمانكم وجامعة لمدنيتكم وحافظة لدولتكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراككم فى صيام رمضان يقوّى إيمانكم ودولتكم والحج يجمعكم »

هذه هى أركان الاسلام التى تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوّى العقيدة ويحفظ الوحدة ، ولما ترك المسلمون الصلوات ومابعدها وتهاونوا فيها حاق بهم الذّل لأن العقيدة لم تجد مايغذيها ويقوّيها ويحفظها فتفرّقت الوجهة وساء المصير

فقال صاحبى بعد أن سمع هذا . الله أكبر : إن هذا خير بيان فى هذا المقام ولكن يتوجه اليك سؤالان

فأرجو أن تأذن لى فى ذكرهما . فقلت : لك ذلك . فقال : ﴿أولا﴾ ان اليابان عابدة الأصنام والفرنجة الذين يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتحدوا ولاتوحيد عندهم والمسلمون الموحدون لارابطة لهم . إذن لاعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ثانيا﴾ أننا الآن فى تفسير البسملة فى أول ﴿سورة ص﴾ والى الآن لم تبين مافى هذه السورة من الوحدة والكثرة وماتقدم كله إن هو إلا أشبه بالمقدمات . فقلت : أما كون الأمم التى لاتوحيد فى عقائدها قد نجحت فى سياستها والأمم التى وحدت فى عقائدها قد اضطربت سياستها كالأمم الاسلامية ، فهذا يحتاج الى البيان . توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع الى العلم والجهل . فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها . واعتقاد التوحيد قد يجر الى اتحاد السياسة ونظام المجموع . وقد يقف عند الايمان المجرد فاذا غذى ذلك الايمان بما يزيده يوما فيوما من الاجتماعات العامة فى الصلوات كالعصور الأولى ، وبما يؤدى الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى ، وبما يحجون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مغذيات منميات لتلك الوحدة وينتقل التوحيد من العلم الى العمل ويصبح الناس اخوانا . واذا دهمهم عدو تألبوا عليه وازدياد الحوادث تزيدهم اتحادا . فأما اذا بقى التوحيد أمرا قلبيا إيمانيا أو يقينيا بالعلم ولم تسع الأمة الى ايجاد روابط عملية بالصلوات والاجتماعات العامة فى خطب الجمعات والأعياد فمن أين يتعدى التوحيد العقول ويسرى الى الأجسام ويوحدها . فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جديرا بنصره ــ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ــ ولاجرم أن أركان الاسلام الخمس هى النواة والحجر الاساسى لبنيان الأمة وسلامتها وحفظ كيانها . هذا هو السبب فى تخاذل المسلمين وعدم اتحادهم فى القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم فى السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها الى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالعصبية والوطنية والاتحاد فى اللغة وفى النسب وفى الاتباع لملك جامع لهم وفى المعاهدة وفى مصاهرة الملوك وفى الاستعباد بأن تقبع الأمة من استعبدوها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابى فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة »

كل هذه جعلها النوع الانسانى طرقا ومسالك للاتحاد وهى درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشرائطها جمعتهم وان لم يقوموا بها تفرقوا شذر مذر ، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جمعتها الحاجة الى الدفاع عن وطنهم واتحادهم فى النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول ــ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ــ فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سببا لاهلاكهم كما أن الحيوانات التى فى الغابات لا حصر لها تعيش فى أمن وسلامة فليس الانسان أدنى منزلة منها لأن الله رحمن رحيم يسع فى ملكه كل من أصلحوا معيشتهم فى الحياة الدنيا وان كفروا بآخر الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن واما للتكبر والأنانية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبى : لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وسوريا والعراق والموصل فى اللغة والدين وتجاور الأوطان وفى النسب فلماذا لم يتحدوا ؟ فقلت له : الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم . فكما عجزوا عن تغذية العقيدة الدينية بالظواهر المغذية لها التى توجب اتحادهم فى السياسة الدنيوية فضلا عن محبة الله والسعادة الأخروية هكذا عجزوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم وتواصل المودات بينهم والتعارف فالعجز عن مغذيات الدين بأعماله الظاهرة نظيره العجز عن مغذيات اللغة والنسب وقرب الجوار فى الوطن . كل ذلك متروك كما ترك غيره . فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحاربه مرارا ويكون الدين من أهم روابطها لأن المدار على الاعتقاد والاعتقاد له جمعيات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهورا لامرية فيه هذا الموضوع وعرفت أيها

الذكىّ أسباب اتحادأمم وعلوّها وضعف أمم وسقوطها . ولايظنّ ظانّ أن اتحاد التلاميذ فى ملابسهم ونظامهم فى الأعمال والتمرين الرياضى والدروس وهكذا قراءتهم فى المدارس الثانوية علوما رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة العامّة . إن اتحاد العقول فى علوم عامة واتحاد الأجسام فى مظاهرها وملابسها وورنقها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تتسع لأديان كثيرة ولكن كثرة المقوّمات للوحدة تمنع تفريق المجموع ولو بحسب الظاهر والقانون . ولاريب أن أقوم مقوّمات اتحادالأمم هوالدين اذا قام الناس بحقه . نخير ما أنزل الله للناس هوهذا الدين الذى جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهمله حاملوه أصبحوا فى مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تستريح راحة تامة إلابوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدنية الحاضرة

عجبى : نسمع أن الأمة التركية قدتركت دين الاسلام أى ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت فى مجلة « السياسة الأسبوعية » فى شهر يونيوسنة ١٩٣٠ ماملخصه أن جماعات أتت الى بلادالترك من أمريكا وهم من السود المتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحومائة أويزيدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرفق بالأيتام وانهم يقولون : « نحن آمنا بالدين المسيحى الذى أتانا به الجنس الأبيض (وهم الاوروبيون) ومع ذلك لايزالون يكرهوننا ومتى رأوامن أحدنا ذنبا حقيرا مزّقوه شرّ ممزّق واخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حقّ فهمه ولم نفهم الدين المسيحى . وهانحن هاجرنا من أمريكا الى هذه البلاد لنعيش مع اخواننا الترك المسلمين » أقول وقدقابلت أحدهم بعدذلك بمصروهوعالم عظيم

ولاجرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم فى الولايات المتحدة فهم هناك يمزّقونهم كل ممزّق على مرأى ومسمع من الشرطة فى تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لاتزال طفلة . فالتعصب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لايزالون فى أحضان الجهالة يتربون . عجب وألف عجب لدين الاسلام الذى لايفرق بين أمة وأمة ولاوطن ووطن ولالغة ولغة ولالون ولون وأذان بلال بالكعبة شاهدصدق على مانقول أمام العرب المتعصبين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتخجل الانسانية الحالية فان مدنيتها مدنية جاهلة سواء أكانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وخير المدنيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التى عندها اجتماع مّا بلغة أوبدين أووطن كأهل أوروبا وأمريكا فهى أمة عوراء وهذا العور أفضل ألف مرة من العمى لأن أمم العرب المتجاورة لم تعن به بل بقيت منعزلة كأنها لم تسمع بالاسلام أولم تسمع باللغة أو بالوطن أوغيرهما . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بواحدة مما تقدّم . عوراء اذا اجتمعت بلغة أوبدين أووطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعلوم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فياأيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن فى أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهى أن يكون النوع الانسانى كله على بصيرة . لذلك نفهم معنى كونه ﷺ رحمة للعالمين . وهل يكون رحمة العالمين تعصب أمريكا على السود والحمر أوتعصب أوروبا على سوريا وتمزيقها الى دول صغيرة وتشتيت شمل المسلمين فى بلاد الجزائر ومراكش واذلالهم فى عقر دارهم . كلا . فهذه ليست رحمة

الأمم الحاضرة لاتصلح لرقىّ نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة فى الشرق يتلوها رحمة فى الغرب يعقبها سعادة الانسان ــ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ــ وبهذا تمّ الكلام على سؤالك الأوّل

﴿ الجواب عن السؤال الثانى ﴾ وهو قولك اننا الآن فى تفسير البسملة فى أوّل ﴿ سورة ص ﴾ وانى لم أبين مافى هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة الرحمة مصاحبة للعلم والارادة والقدرة لأن رحمة الله لم نعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدرة تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذى لا علم عنده كالأم تكون رحمتها مضرّة ، والرحيم الذى لا قدرة له عاجز عن ايجاد ماقصده من الخير فالرحيم العالم المريد القادر هو الذى يستعان به ، ولذلك تجد للرحمة سورة بتمامها كما أشرنا اليه سابقا فى سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالتفصيل لآثار الرحمة ، بل جميع مافى هذه الدنيا والآخرة آثار للرحمة وحديث : « ان لله مائة رحمة وإن رحمة واحدة منها جعلت فى الأرض بها ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وأن هذه الرحمة تنضم الى ٩٩ رحمة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضح هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرحمة ، فاذا لم تكن هذه العوالم لم نعرف الرحمة . إذن الوجود آثار من الرحمة والعدم آثار الغضب ولا جرم أن القرآن من الرحمة ولذلك يقول الله ــ الرحمن * علم القرآن ــ فالقرآن من الرحمة ومافى هذه السورة طبعا من الرحمة ، ومافى الدنيا والآخرة من الرحمة وهذا هو الباب الذى دخل منه سيدنا على كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه لوشاء لكتب وقر سبعين بعيرا فى تفسير البسملة وهذا حق لأن الرحمة شملت العالم العلوى والسفلى والآخرة والدنيا وهذا هو السرّ فى الابتداء بها فى أوّل كل سورة ، ومعانى القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأمر ظاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شئ بل القرآن يفسر بالطرق التى يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب مايفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه لا يكتب كل شئ بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فاذا حاد عن ذلك لم يكن مفسرا بل هو ناقل وكل بعير فهو ناقل

فاذا سمعت ما يأتى فى هذه السورة من قصص سليمان وداود اللذين أغدقت عليهما النعم وسمعت قصة أيوب الذى ابتلى بالنقم فاعلم أن النعمة والنقمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشدّ على النفس من الصبر على النقمة كما ذكرناه سابقا نقلا عما نسب الى (أرسطاطاليس) إذ أرسل الى الاسكندر يهنئه بالنصر فى فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس فى حال أمنهم فبطروا العيش وسئموا الرخاء وأن الناس فى حال الخوف والحرب أنشط وأسرع عملا وفى حال الأمن هم يكسلون و يبطرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تفيمهم وتقتلهم بالبطنة وساءت مصيرا

ومن هذا الباب ماجاء على لسان سليمان فى ﴿ سورة النمل ﴾ ــ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ــ إذن سليمان عليه السلام المذكور فى هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أشدّ من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فههنا أمران : رحمة بالابتلاءين الخير والشرّ ووحدة فان الخير والشرّ وان كانا متغايرين جمعهما الابتلاء . فههنا وحدة وههنا كثرة والوحدة بهاجمعت الكثرة كما ان تعجب الكفار بقولهم ــ أجعل الآلهة إلها واحدا ــ الذى أملاه عليهم الجهل يدحضه الوحى والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة فى الالوهية يوجبها الوحى والعقل والتفريق يوجبه الجهل . والوحدة فى نظام الأمم يوجبه الوحى والعقل والتفريق يوجبه الجهل . والنظام فى الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعا والله يهدى من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأوّل فى تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿الفصل الثاني﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِى ٱلذِّكْرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ
كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ
آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ * أَأُنْزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَابِ
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ *
وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ أُولٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ * إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ *
وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ *
ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ * وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ * إِنَّ هٰذَا
أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ *
وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ *
أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ * كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ * وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ
عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ *
ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى
لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ *
وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ
الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ
فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ * هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ
مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ
الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ
يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *
إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص) تقدّم في سورة آل عمران والعنكبوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وسنخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها والمقصود المهمّ منها (والقرآن ذى الذكر) أى أقسم بالقرآن ذى الشرف والبيان انه لمعجز وان محمدا لصادق (بل الذين كفروا فى عزّة وشقاق) أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ، وانما ذلك الكفر لعزّة أى استكبار عن الحق وشقاق أى خلاف لله ولرسوله ، واذا ثبت أن القرآن معجز وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا انذارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) من أمّة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص أى نجاة لأن وقته فات (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمر للتشنيع عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذّاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن جعل الالوهية منحصرة فى واحد (إنّ هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (وانطلق الملأ منهم) أى انطلق أشراف قريش من مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا واثبتوا على عبادة آلهتكم فلا تنفعكم مكالمته وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد) أى إن هذا الشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مردّ له (ماسمعنا بهذا) أى بالذى يقوله (فى الملة الآخرة) فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا (إن هذا إلا اختلاق) كذب ثم أخذوا ينكرون اختصاصه بالوحى وهو مثلهم أوأدون منهم فى الشرف والرياسة فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو الشك لميلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يذوقوا العذاب ومتى ذاقوه فانهم يلجؤن الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم فى شكّ من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) ثم أخذ يتهكم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرّفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوّة بعض صناديدهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أى بل ألهم ملكهما أى ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستووا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليرتقوا فى الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب المعارج والطرق التى يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصر نبيه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) الكفار المتحزبين على المؤمنين مغلوبون فى الوقائع هنالك فى مصارع بدر وغيرها فأنى لهم تدبير الامور الإلهية والتصرّف فى الخزائن الربانية وما فى «جند ما» مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لاجند له فجاء تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم المعجزات ثم عزّى الله نبيه ﷺ فقال (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) أى ذو الملك

الثابت الأوتاد ٭ قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ٭ فى ظلّ ملك ثابت الأوتاد

(وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأحزاب) يعنى المتحزّبين على الرّسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأحزاب الذين تحزّبوا عليك ، ثم بين سبب انهزامهم وعقابهم فقال (إن كل إلا كذّب الرّسل فحقّ عقاب) يعنى ان أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب (وماينظرهؤلاء) أى وماينتظر كفارمكة (إلا صيحة واحدة) وهى النفخة الأولى (مالها من فواق) أى من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين ، أومالها من رجوع ، من افاق المريض اذا رجع الى الصحة ، ويقال فواق الناقة أيضا ساعة يرجع الدر الى ضرعها وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به وهو من قطه اذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أى عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استهزاء (اصبر على مايقولون) فيك واحذر أن تهن فى مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذكرعبدنا داود) أى قصته ليعلموا انه مع عظم شأنه وبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن ، فلتحذر أنت حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأيد) أى ذا القوّة فى الدين (إنه أوّاب) رجاع الى مرضاة الله ٭ روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إنا سخرنا ذللنا (الجبال معه يسبحن) أى مسبحات بتسبيحه اذا سبح والمضارع اختير للتجدد (بالعشىّ والاشراق) العشىّ وقت العصرالى الليل والاشراق هوحين تشرق الشمس أى تضىء وهووقت صلاة الضحى كمافسره ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع تقول شرقت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أى أى وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له أوّاب) أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع الى التسبيح مع المداومة على ذلك (وشددنا ملكه) وقوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ٭ روى أن رجلا ادّعى بقرة على آخر وعجز عن البينة فأوحى اليه أن اقتل المدّعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت هيبته بذلك (وآتيناه الحكمة) النبوّة وكمال العلم واتقان العمل والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتدأ سبحانه نبأ عجيبا من أنبائه وشوّق الى استماعه بالتعجيب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أى خبر الخصم وهو يطلق على الواحدوالجمع (إذ تسوّروا المحراب) أى صعدوا وعلوا سورالغرفة التى كان يشتغل فيها داود بالطاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوّروا (ففزع منهم) ذلك أن ملكين بعثهما الله اليه فى صورة انسانين طلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوّرا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع من ذلك لدخولهما فى وقت الاحتجاب لأنه كان يجزئ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته (قالوا لاتخف) نحن (خصمان) متخاصمان (بغى بعضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط) ولاتجرفى الحكومة (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه وهوالعدل (إن هذا أخى) بالدين والنصيحة (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الأنثى من الضأن (فقال أكفلنيها) ملكنيها (وعزّنى فى الخطاب) وغلبنى فى مخاطبته إياى (قال) داود قبل أن يسمع كلام المدّعى عليه للمدّعى (لقد ظلمك) المدّعى عليه (بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استطرد فقال (وانّ كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى) ليتعدّى (بعضهم على بعض إلاالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) أى وهم قليل ومامزيدة للابهام والتعجيب من فعلتهم ، فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصمان ــ احكم بيننا بالحقّ ولا تشطط

واهدنا الى سواء الصراط ـ فحكم للمدّعى بدون أن يسمع كلام خصمه (وظنّ داود) أى أيقن (أنما فتناه) ابتليناه وامتحناه لحكمه للمدّعى قبل أن يسأل المدّعى عليه (فاستغفر ربه) لذنبه (وخرّ راكعا) للسجود مصليا كأنه أحرم بركعتى الاستغفار (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه (وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى لقربة بعد المغفرة وحسن مرجع فى الجنة ، وأما ماروى أن بصره وقع على امرأة فعشقها فأوحى الى رئيس الجيش أن يقرّب زوجها أوريا بين يدى العدوّ فيقتل وانه تزوّجها بعد ذلك فان ذلك من كلام القصاصين . ولقد روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال : « من حدّثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى) ماتهوى النفس من المبادرة الى تصديق المدّعى قبل سؤال المدّعى عليه (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها للحق (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بسبب نسيانهم وهوضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ومن الهوى الاسراع الى تصديق أحد الخصمين لجودة إلقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استئجار المحامين الذين هم أقدر على البيان فى هذا الزمان ، فالقاضى بسبب ذلك معرّض للزلل كل حين . ولما كان آدم و بنوه خلفاء الله فى الأرض يقومون بالعدل والنظام على مقدارطاقتهم وقيامهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى ـ ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان ـ ناسب أن يذكر عدله وحكمته فى السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) مبطلين عابثين أوللباطل الذى هومتابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى العدل (ذلك ظنّ الذين كفروا) أى خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظنّ وذلك لأنه حكم بلادليل كما يحكم القاضى لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدّم . واذا كنا فتنا داود فى القضاء وعلم انه قد فتن بسبب اصغائه لأحد الخصمين دون الآخر فنحن فتنا هذا الانسان على وجه الأرض وامتحناه فى نظامنا فنهم من يرى أن إماتتنا واحياءنا واحداث الأمراض والأرزاء فى الأرض والوباء والحروب والأكاذيب والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لامعنى له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لِمَ هذا كله ؟ وهلا خلق الله الناس فى راحة وطمأنينة وسعادة لايمرضون ولايشقون ولايحاربون ولايخاصمون ولم أمر الآساد أن تأكل الظباء والأرانب وحدّد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون فى هذا على قسمين قسم ينكر ذلك انكارا قلبيا فنهم من يظهره كبعض الذين تعلموا فى العصر الحاضر تعلما سطحيا . ومنهم من يخفيه وهم كثير من المتدينين بأى دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة و يستوعبها وهذا يشعر بأن هذا النظام جميل وأن كل ذلك فيه مقدّمة لحال أعلى من هذه وقد أوضحناه فى هذا التفسير ايضاحا كثيرا . إن من يحكم أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فاذا أراد أن يحكم بالحق فليقرأ علوم الحكمة التى تبحث فى نظام هذا الوجود وهذا هوالذى يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان اذا نظر فيها قد أصغى أيضا الى المدّعى عليه وفهم حجته وحجته هوهذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بطلت الفكرة الأولى وهى ان هذه الدنيا مبعثرة غير منظمة الى آخر ماتقدّم . ومما يثير الشكوك فى نظام هذا العالم أن الظلم فيه مجسم ولاسيما فى هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين فى الأرض مغبونون لاينالون جزاء أعمالهم فى الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متمتعين بالنعمة والعافية ، فأىّ عدل وأى نظام هذا ! ولكن اذا أدرك الناس أن هذه الحياة ستعقبها حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دلّ عليه علم الأرواح المنتشر حديثا فى أوروبا وأجمعت عليه الديانات . فانهم يعرفون أن النظام عدل لذلك أعقبه بقوله (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) هذا انكار للتسوية

بين

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوّى بين هؤلاء يكون سفيها هذا (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فيها (وليتذكر أولوا الألباب) أى وليتعظ بالقرآن أولوا العقول السليمة ويستحضروا ماهو مركوز فى عقولهم من تمكنهم من المعرفة بالدلائل الكونية والعجائب الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده » اه

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين فى هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لاتقرأ القرآن غالبا إلا للتعبد وأما التفكر فلا وهذا هو السبب فى ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه نهبا مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه اذنا حقا ببعث هذه الأمّة من مرقدها وتقوم بواجبها كما قال تعالى ـ ليظهره على الدين كله ـ وهذا هو الزمن الذى سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريبا

﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) سليمان (إنه أوّاب) رجاع الى الله بالتوبة (إذ) ظرف لأوّاب (عرض عليه بالعشىّ) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا فى العراب الخالص (الجياد) جمع جواد وهو الذى يسرع فى جريه (فقال) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للغزو (إنى أحببت حب الخير) آثرت حب المال ومنه الخيل المعروضة (عن ذكر ربى) أى انى لاأحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر باجرائها واعدائها حتى توارت تلك الخيل بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر بردّ الخيل اليه وهذا قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) ثم قال (ردّوها علىّ فطفق) يمسح (مسحا بالسوق والأعناق) أى يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الامور وليباشر الامور بنفسه ليقتدى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبى إذ كان ينقل الأحجار بنفسه فى بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعللها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض

﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى مرفوعا أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاءالله فطاف عليهنّ فلم يحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل ، فوالذى نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) وهو شق الطفل المذكور جىء به على كرسيه فوضع فى حجره (ثم أناب) رجع الى الله مما فعل وهو أنه لم يقل ان شاء الله والأنبياء يحاسبون على مالايحاسب عليه سواهم لشدّة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أبيها ودام ذلك أربعين يوما وهو عليه السلام لايعلم فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صخرا فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان فى صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكرا لايعرفه أحد فتكفف أربعين يوما ثم طار الشيطان ووقع الخاتم فى البحر فالتقطته سمكة واصطادها صياد فوقعت فى يد سليمان فخرّ ساجدا لله . هذه هى الأباطيل اليهودية ويكون صخر هو الجسد الذى ألقى على كرسيه (قال ربّ اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لاينبغى) لايصلح (لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) تهب الملك والنبوّة لمن تشاء وذلك لأنه أحبّ أن يخص بخاصية كما خصّ داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين قال ان عفريتا من الجنّ تفلت علىّ البارحة

ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ـ رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ـ فرددته خاسئا ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنهم مردة الشياطين يقرن بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد ، والصفد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لكف شرهم وحبسهم حبسا يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعط منه ماشئت من المنة وهي العطاء (أوأمسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطاؤنا أي جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن مآب) وهو الجنة

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذكر عبدنا أيوب) وهو ابن عيص بن اسحق (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا (أني مسني الشيطان) أي بأني (بنصب) تعب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس الى الشيطان لأنه بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك) الأرض فضرب فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء يغتسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وهذا قوله تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) ثم قال تعالى (ووهبنا له أهله) بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) أي لرحمتنا عليه (وذكرى لأولي الألباب) تذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر أولا والالتجاء الى الله ثانيا فيما يحيق بهم ، وعطف على ـ اركض ـ قوله (وخذ بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) . ذلك أن زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط اصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في نفسه وأهله وماله وليس شكواه الى الله من الشيطان جزعا (نعم العبد) أيوب (إنه أواب) مقبل على الله (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين (إنا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي (ذكرى الدار) ذكرى الدار الآخرة دائما فانا نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالتشديد والتخفيف (واذكر اسماعيل واليسع) لام التعريف دخلت على يسع (وذا الكفل وكل) أي وكلهم (من الأخيار) يقال ان ذا الكفل هو ابن عم يسع أو هو ابن أيوب ويقال انه فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم . ثم ان أول السورة ـ ص * والقرآن ذي الذكر ـ وقد ذكر قصص الأنبياء وصبرهم وأعمالهم الشريفة . ولما أتم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر ما اشتمل عليه القرآن المذكور في أول السورة أي الذي يتلى عليكم شرف وجميل تذكرون به

﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع ثم عطف على حسن مآب عطف بيان فقال (جنات عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومتآخيات لا يتباغضن

ولا

ولا يتحاسدن ، ومعنى قاصرات الطرف أى قصرن أطرافهنّ على أزواجهنّ (هـذا ماتوعدون ليوم الحساب) أى لأجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء أى قيل للمؤمنين ـ هذا ماتوعدون ـ الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى ـ أكلها دائم ـ (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشرّ مآب ☆ جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (حميم وغساق) خبر وجملة ـ فليذوقوه ـ اعتراض والغساق هومايغسق أى يسيل من صديد أهل النار والحميم الماء الحار . وقال ابن عباس : الغساق هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرّها ، وعذاب (آخر من شكله) من مثل العذاب المذكور فى الشدّة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة اذا دخلوا النار ودخل بعدهـم أتباعهم (هـذا فوج) جمع كثيف (مقتحم معكم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والاقتحام الدخول فى الشئ بشـدّة والقحمة الشدّة (لامرحبا بهـم) أى الأتباع تقول لمن تدعوله مرحبا أى أتيت رحبا من المكان لاضيقا وتدخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (إنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أنتم لامرحبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أنتم قدّمتموه لنا) أى قدّمتم العذاب لنا أى دعوتمونا الى الـكفر فـكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار ☆ وقالوا) أى رؤساء الـكفرة (مالنا لانرى رجالا) هم فقراء المسلمين (كنا نعدّهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لاخير فيهم ولاجدوى (أتخذناهم سخريا) ينـكرون على أنفسهم ويؤنبونها على استسخارهم منهم فى الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار) أى مالت فلانراهـم ، ومعنى ذلك أن الـكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم ترهـم حين دخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للأتباع والأتباع للقادة لامرحبا بكم من باب الخصومة (قل) يامحمد للمشركين (إنما أنامنذر) أنذركم عـذاب الله (ومامن إله إلا الله الواحد) الذى لاشريك له (القهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبـه بما يدل على الرجاء فقال (ربّ السموات والأرض ومابينهما العزيز الغفار) فهو مرب والتربية احسان وكرم وجود وهوغفور للذنوب وان عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نبؤ عظيم ☆ أنتم عنه معرضون) لاتتفـكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوّتى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ماكان لى من علم بالملأ الأعلى) يعنى الملائـكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة المخاصـمة والمناظرة والا فالله لايخاصم يعنى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى (ان يوحى الىّ إلا أنما أنانذير مبين) أنذركم وأبين لـكم ماتأتونه وتجتنبونه بلغـة تعلمونها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من ـ إذ يختصمون ـ (قال ربك للملائـكة إنى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سوّيته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح الى نفسه للتشريف والاضافة للملك كما تقول بيت الله ، وأيضا الروح جوهر شريف قدسىّ (فقعوا له ساجدين) وقدتقدّم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائـكة كلهم أجمعون إلا ابليس استـكبر) تعظم (وكان) وصار (من الـكافرين) بسبب استـكباره واستنـكافه عن المطاوعة (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ) أى خلقته بنفسى من غير توسط كأب وأم ، وفى تثنية

اليد اشعار بما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالين) أى أتعظمت بنفسك عن السجود أم كنت ممن علا واستحق التفوق . فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه ، ففضلنى بشرف عنصرى الذى خلقت منه ألاترى أن النار تغلب الطين وتحرقه (قال فاخرج منها) من الجنة أومن السموات (فانك رجيم) مطرود من الرحمة (وإن عليك لعنتى) عذابى وسخطى (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى) فأجلنى (الى يوم يبعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) الى النفخة الأولى (قال فبعزتك) فبسلطتك وقهرك (لأغوينهم أجمعين ✲ إلا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فالحق) يعنى أوقسمى ، وقوله (والحق أقول) جملة اعتراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لاأترك منهم أحدا (قل ماأسألكم عليه من أجر) أى على القرآن أوعلى تبليغ الوحى (وما أنا من المتكلفين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمن نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهورالاسلام أوظهورالعلوم التى تضمنها ولم تكن معروفة من قبل . انتهى التفسير اللفظى

﴿ الفصل الثالث فى مقصود السورة ﴾

أى فى معنى ــ ص ــ وفى قوله تعالى ــ واصبروا على آلهتكم ــ وقوله ــ اصبر على مايقولون ــ وقوله ــ وهل أتاك نبؤا الخصم ــ وقوله ــ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ــ وقوله ــ وألقينا على كرسيه جسدا ــ وقوله ــ إنا وجدناه صابرانعم العبد ــ الخ وقوله ــ هذا ذكر ــ وقوله ــ فسجدالملائكة ــ كلهم ــ الخ وقوله ــ قل ما أسألكم عليه من أجر ــ وقوله ــ إن هو إلا ذكر للعالمين ✲ ولتعلمن نبأه بعد حين ــ

لقد عرفت ما للحروف التى فى أوائل السور من المعانى الشريفة فى سور كثيرة ولكن لها خواص فى كل سورة بحسبها فتأمل فى لفظ ــ ص ــ فانها فضلا عن صفتها العامة لها مقاصد سامية فى هذه السورة ، إن فى السورة تحليلا لشمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتدى بها ، ولقد جاءت الصاد فى لفظ ــ اصبر على مايقولون ــ وفى لفظ ــ واصبروا على آلهتكم ــ وفى ــ إنا وجدناه صابرا ــ وهكذا تجد معنى الصبر واضحا فى مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فانه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم فحكم وفى قصة سليمان إذ عزم أن يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بولد ذكر يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكل الأمر لله بذكر المشيئة عد كأنه غير صابر ، هكذا كل كافر يظن أن السموات والأرض خلقتا باطلا بلا نظام فان هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات فى سبيل البحث فى الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظما وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد لآدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق . صبر أهل مكة على آلهتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل كل مضض فى سبيل ابقاء العقيدة الموروثة عن الآباء ونبذ كل برهان معقول ومغالبة الأدلة المحسوسة . كل ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل صبر هؤلاء المبطلين بصبر الصادقين فقال : ــ اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ــ وقص قصص الخصمين وذكر انه قد لامه الله على تسرعه بالحكم لأحدهما

قبل سماع الآخر هكذا أنت يامحمد قد قاومك قومك وصبروا على مقاومتك فاياك أن تمل ولتصبر ولاتستعجل واعلم انك منصور ولقد امتحناك بهم كما امتحنا داود بالخصمين فاصبر على الامتحان فبه يكرم المرء أو يهان إنا امتحنا داود فى الحكم بين الخصمين فأسرع ولمناه فرجع الى ربه فنحن بذكر قصصه نحذرك ونحذر كل مؤمن أن يحكم قبل التحقيق واليائسون من نصر الله عند الصدمات والشدائد لاينالون المعالى لأنهم ليسوا صابرين . واذا صبر المبطلون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابران أحدهما مغلوب والثانى غالب ، واذا كان المغلوبون فى العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبى أن يكونوا أدوم صبرا وأقدر على المقاومة ، فليثابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فانه منصور وليقرأ ــ أن امشوا واصبروا على آلهتكم ــ ويقرأ معها ــ واصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ــ وليعجب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما وأنفعهما وأدومهما ، ثم لينظر كيف كان لفظ ــ ص ــ فى أول السورة يتضمن هذه المعانى الجليلة ؛ ولما كان الصبر أهم الامور فى الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى فى انجازها أهم الامور كانها إذ لا عمل فى الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتدأ السورة بقوله ــ والقرآن ذى الذكر ــ وختمها بأنه ذكر للعالمين ، وقال بعد قصص الأنبياء فى وسط السورة ــ هذا ذكر ــ وقال أيضا ــ كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ــ فهذه كلها تشير الى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المدار على العمل لاعلى ألفاظ القرآن بل الأمر كله فى الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأيوب صبر على بلائه وسليمان وداود قد عوقبا على عدم الصبر فى بعض عملهما . يقول الله انى ممتحن جميع عبادى لافرق بين الملوك وغيرهم ، لم أخل سليمان فى ملكه ولاداود فى قضائه ودولته من الامتحان فى الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم فى بحبوحة النعيم والملك العظيم ومن هم فى البلاء والبؤس يألمون ، وهذا معنى قوله تعالى ــ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ــ ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام ــ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ــ كما تقدم ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برا فقد صبر عن الشر الذى هو قادر عليه فى مقابلته ، فمن نظر فى المصحف فهو فى الوقت نفسه قد صبر على غض طرفه عن النظر للمحرمات عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو فى الوقت نفسه صابر عن توجيه همته من هجر القول والنم والضحك وما أشبهها الى القول النافع المفيد . ألا تعجب كيف كان لفظ ــ ص ــ رمزا الى مقصود السورة وكيف جمع صبر المبطلين من الكفار وصبر نبينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء منى عليهم وغالبون فائزون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزا الى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا فى الصبر واحترسوا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر فى نظام هذه الدنيا حتى يقف على الحقائق وأسرع بالحكم على نظام هذا العالم وانه باطل أشبه بمن أسرع فى الحكم لأحد الخصمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك رمزا الى أن المقصود من الحياة انما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فانما هو لنظام نوع الانسان فى الحياة الدنيا ، ولعمرى ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على الدقائق فى نظام السموات والأرض . ان أولهما مقدمة وثانيهما نتيجة ، لذلك تجد قضاء داود تبعه ذم الذين يظنون أن السموات والأرض خلقتا باطلا . إن فى هذه السورة حثا على حسن القضاء بين العباد لحفظ الدولة ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه يقدر الناس أن يفكروا ويفقهوا فأما اذا لم يكن قضاء ولانظام فلامفكرين ولاحكماء لأنهم لايجدون أمنا فى البلاد فلايقدرون على التفكير ولا العلم

يقول الله فى آخر السورة ــ ولتعلمن نبأه بعد حين ــ وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه الأمة الاسلامية المترامية الأكناف التى تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليونا من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم

أنباثها ، ومن نبأ القرآن العلوم التى كشفها الناس حديثا . وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادّة والمال والحياة والصيت والذكر فى هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين الى المادّة معذّبين بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلاقا ، وهؤلاء يتباعدون عن المادة ويقتربون من ربهم وأن أعلى الأرواح وألطفهم وأعلاهم وأرقاهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله ويراه وان من الأرواح من هم فى غاية الصفاء واللطف ومنهم من هم فى ظلمة وكثافة فلاتقدر الأرواح العالية أن تلهمهم ، وان من الناس فى هذه الأرض من لطفت نفوسهم فلاتقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لايقدر الصعاليك على مقابلة الملوك كما قال تعالى ــ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ــ أفلاترى أن هذا معجزة للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة فى هذه السورة قد أصبحت تقال فى المجامع النفسية علنا وهذا هو نفس القرآن ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هو دافى هذه السورة ، من ذا كان يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر فى الدنيا قبل يوم القيامة

﴿ حكاية عجيبة ﴾

هل لك أيها الذكى أن تسمع ما أرويه لك عن حال نفسى : كنت أيام مجاورتى بالجامع الأزهر نائما به إذ رأيت كأنى فى قريتنا (كفرعوض الله حجازى) وكأن قائلا يقول لى : انظرانظر ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحمرة وسط زرقة الجوّ تعلو عن المقابرقليلا مقدارخمسة أمتار فقال هذه هى الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقمت مع اخوانى المجاورين لنتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه فى علم الأخلاق ولاعلم لى بهذا الكتاب ولابهذه العلوم فمددت يدى الى الكتاب فقرأت فى أوله مسألة الروح والاستدلال على وجودها فعجبت كل العجب وصرت مغرما به و بغيره ، ثم تمادى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أى بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم فى المجامع النفسية أى لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعدالموت ترتفع فى الجوّ على مقدار خلاصها من المادّة وكلما كانت أجمل أخلاقا وأغزر علما كانت أبعد عن الأرض » فعجبت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التى خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هــذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هى العجب العجاب ، وأعجب من هــذا انها توافق آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدرانجذابه الى المادة يبعد عن الله و بقدر بعده عن الله يقرب من المادّة ولعلّ مرتبة الروح فى الفلاة عندصعودها دالة على مرتبتها فى جهنم . أليس هذا قول الله تعالى ــ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ✲ ثم انهم لصالوا الجحيم ✲ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ــ

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متردية رداء الذنوب جللتها وزملتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لاتقدرعلى تعليمها » ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشدّ انكارا للبعث كانت روحه عندالموت أشدّ عذابا لأنه يتنازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة واليأس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذى قضت به النواميس الإلهية فى الأرض ، وكلما كان الانسان أكثرصلاحا كان أكثر سهولة فى انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشرار بعد الموت الظاهر تبقى متصلة بجسمه مدة حتى يحس المنتحرون برعى الدود فى أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لايطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة فى جسمها كأنها تشاهدها لاتحتاج فى التعريف الى شئ آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التى ستناها ، وكل نقص فى النفس يتبعه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والنعيم الذى أصاب النفس مقيما حول الروح فهو هناك كالهواء هنا ، فهم إما فى إطار من شقاء أومن نعيم »

ياعجبا كل العجب ، جاء فى الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار » وهذا هو الذى جاء فى العلم الحديث اليوم ، ويقول الله — اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — وهو عين ماتقدّم

انظر كيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والندامة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سوائل روحانية محيطة بالنفس فهى كروائح الزروع المختلفة فى جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح العطرية المختلفة وفيه الروائح الكريهة الكثيرة والانسان يميزها بشمه ، فاذا متنا ميزنا سوائل الفضائل المختلفات كما نميز روائح النباتات المتميزات وإذن يظهر للمرء قوله تعالى — كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — فيعرف الانسان كل شئ بنفسه كما يميز فى بعض الأوقات حبيبه من عدوّه مما يشعر به فى نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذميم تتأذى به هناك له عقاب ، وكل مايصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها مايلازمنا بعد الموت ، والروح فى حال البرزخ يعذب عذابا مادّيا أو معنويا على مقتضى ذنوبها حتى ان المتكبر يقاسى آلاما لاتطاق فى حال البرزخ »

وقالوا : « إن المغرم بالمال والحشم والخدم والشهوات يصاب بألم نفسى لأنه يطلع فيرى الناس اقتسموا ماله وأخذوا ثروته وهو يراهم ولايقدر على منعهم وهذا عذاب لايطاق »

ويقولون : « إن القتلى والسفا كين تطاردهم أشباح من أماتوهم فلايهدءون ولايقدرون على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لايطلعون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتراكمة عليهم »

ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى مالاعين رأت بعد الموت وتطير الى العلا جماعات جماعات ويبتهجون بالجمال الإلهى وإحكام الصنعة البديعة فى السموات ويبقون سكرى آمادا وآمادا وهم يسيرون زمرا متحابين كل جماعة فى درجتهم الخاصة التى ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم العجائب فى عالم الأثير البهيج البديع ، والذى يجمعهم انما هو انخلاعهم من الكبرياء واتحادهم فى الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانيتها »

ويقولون : « انهم يوقعون فى طبقات الأثير ألحانا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطيهم تعاليم ترقيهم ، ثم إن أجسامهم لاتمرض كأجسامنا للطافتها وخفتها »

ويقولون : « انهم يقيمون أفراحا وأعيادا باجتماع الأرواح العلوية من أقطار الكون كله وكل منها يتلألأ بسناه اللطيف الدال على صفاته ودرجاته فى الرقىّ »

هذا هو الذى أحببت أن أنقله لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أمامى ، إياك أن تظن أنى أجعل هذا القول المنقول عن المجامع النفسية قولا لايحتاج الى دليل انما المقام مقام تفسير قوله تعالى — ولتعلمنّ نبأه بعد حين — فنقول نعم يار بنا عرف عبادك بعض ماجاء فى كتابك فهاهم أولاء عرفوا أن الأرواح لها نغمات وموسيقى فى اجتماعها وهذا هو الذى قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى — إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون — فعدّوا من ذلك النغمات الموسيقية وعرفوا انهم نزع مافى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والغلّ الخ وعرفوا أن الروح تقرأ أعمالها فى شكل جسمها الروحى وغير ذلك مما أوضحته فى هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام فى أنه طابق مافى القرآن ، ولست أيها الذكى ملزما أن تبحث عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأما الملك القرآن نص عليه فان أردت البحث فاقرأ طرق تحضير الأرواح من كتابى المسمى « الأرواح » واستحضرها بالطرق الواضحة هناك وكن مخلصا فى البحث لأجل العلم والمعرفة لا لأجل الدنيا فستعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القدماء الصالحين هذا شأنهم وهكذا الطالحون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث فى مقصود السورة

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

(١) فى بعض أسرار — ص — وسورتها

(٢) فى قوله تعالى — ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض —

(٣) فى قوله تعالى — رب اغفرلى وهب لى ملكا — الخ

(٤) فى قوله تعالى — قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين —

﴿ اللطيفة الأولى فى بعض أسرار — ص — وسورتها ﴾

(كتب صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠)

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت نمت قبل أن أصلى العشاء فصليتها وفى ركعات الوتر قرأت آيات من ﴿ سورة ص ﴾ وفيها — ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض — الخ فمر بفكرى بعض عجائب هذه السورة و بعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قدمنا جاءت فى أول حروف الصبر وأول كلمة فى السورة جاءت الصاد فى أولها — واصبروا — والهمزة فيها للوصل ، ثم أمر ﷺ أن يصبر فى آية — اصبر على ما يقولون — فى مقابلة قولهم — امشوا واصبروا على آلهتكم — إذن الكفر عند أهله لايتم إلا بالصبر والنبوة عند أهلها لاتتم إلا بالصبر ولكن يابعد مابين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله — واذكر عبدنا داود — الخ فماذا نرى ؟ نرى انه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم ابراهيم واسحق الخ ، فههنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنقم الدنيا مرضا وفقرا ولكن هذان النبيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطى . إذن الألم عند الأنبياء ﴿ نوعان ﴾ نوع يرجع الى الألم الروحى الدينى الذى يورث الندم ، ونوع يرجع الى الألم الجسمى والمالى ونحوهما ، فالنوع الأول ظاهر فى أمر موسى وداود وسليمان ، والثانى ظاهر فى أمر أيوب وابراهيم واسحق واسماعيل ، فالأول ببدنه وماله وأهله والثانى بالنار و بذبح ولده والثالث والرابع بذبحه هو فصبر الجميع ففازوا ونجوا . إذن فى الملك امتحان وفى الجسم امتحان وفى الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه فى القرآن أن يعلم الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا انى أجد فى نفسى خزيا وحزنا من أمور سبقت اذا تذكرتها دلت على انى كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أنطق بقول لاقيمة له أو أفعل فعلا غير حميد فيقول الله لى إن موسى لم يمنعه قتل القبطى الذى أورثه الندم أن يكون نبيا ورسولا وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره انه ذنب فندما ولكن هذا الندم ليس معناه انهما أذلا نفسيهما طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل ان الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى ور بما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فان معصية توجب ذلا وانكسارا خير من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يعترى أحدنا نقص فى الأموال والأنفس والثمرات فيقول الله له إياك أن تقنط فكما صبر أيوب على النقص فى ذلك وصبر ابراهيم واسحق و يعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة — و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون — فذكر البشارة

والصلوات

والصلوات والرحمة والهداية لهم هو الذى ظهر مثاله هنا بفوز داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد اصابتهم جميعا بمصائب روحية دينية أومصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يامحمد اذكر عبدنا داود الخ فهؤلاء جميعا ابتلوا بانواع من البلاء فى أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم فاصبر على ايمانك وصابرهم وستفوز كما فاز من قصصتهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرّاء هذا التفسير يقول الله لنا كل مايصيبكم لايخرج عما اذكر فهو إما مصائب من أذى الناس واما من ذنوب تقدمت واما من نقص الأنفس والأموال والثمرات وقد صبر نبينا ﷺ على الأوّل و بعض الأنبياء على الثانى و بعضهم على الثالث ففازوا جميعا وأنت تفوز كما فازوا اذا تعلمت الصبر وهذا هو بعض سرّ (ص) فى أوّل السورة إذ ظهر أن المدار جميعه فى هذه السورة على شئ واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لى هذا الخاطر تذكرت أمراً عجيبا وهو قوله تعالى ـ كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ـ فقلت فما الذى يتذكره أولوا الألباب ياترى فى هذه الآيات ؟ هنالك وجدت رابطة وثيقة بين الصبر المتقدّم بجميع فروعه و بين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرّضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا ـ فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى ـ وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضا من سر (ص) فهاك ما جاء فى كتاب «العقد الفريد ، للملك السعيد» من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفى هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية فى القاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما فى المراصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شئ من جزئياتها و يتوقع معرفة شئ من أحوال سالكى طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها و بين القانعين منها بمجرد أسماء شهاتها التابعين أهواء نفوسهم الأمارة فى ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدّمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للمتوسمين وادّكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفى ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها و يعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لاحاجة معها الى زيادة تذكره

﴿ القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحى ﴾

قال نمير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحى متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور فى شئ ذكروه فأمرنى أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطى فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله مايمضى به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لابأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولايبدأنى بالسلام ثم خرج و بين يديه المسيب والربيع وأناخلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم الجمالين ، ثم دعا بالمنصور فادّعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فردّ عليه السلام وقال

له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عافية بن يزيد القاضى ﴾

نقل أن عافية بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى فجاء فى بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه فى من يسلم اليه القمطر الذى فيه قضايا مجلس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته فظنّ المهدى أن بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه فقال له فى ذلك وانه ان عارضك أحد لننكر عليه فقال القاضى لم يكن شئ من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدّم الىّ خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة وكل يدعى بينة وشهودا ويدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أنى أحب الرطب فعمد فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لايتهيأ فى وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين ومارأيت أحسن منه ورشا بوّابى بدراهم على أن يدخل الطبق علىّ ولا يبالى أن يردّ عليه فلما أدخله علىّ أنكرت ذلك وطردت بوّابى وأمرت بردّ الطبق فردّ عليه فلما كان اليوم تقدّم الخصمان الىّ فما تساويا فى عينى ولا قلبى فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لوقبلت ولا آمن أن تقع علىّ حيلة فى دينى وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفنى عفا الله عنك

﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضى الكوفة ﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضى الكوفة وهو فى مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضى قال من ظالمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لى بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبى وقاسمت اخوتى و بنيت بينى و بينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتى وساومنى ورغبنى فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلى شيأ واختلط بنخل اخوتى فقال ياغلام أحضر طينة فأحضر فختمها وقال امض الى بابه حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضى عليك وهذا ختمه فقال ادع لى صاحب الشرطة فدعابه فقال امض الى شريك وقل ياسبحان الله مارأيت أعجب من أمرك امرأة ادّعت دعوى لم تصح أعديتها علىّ قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفينى من ذلك فقال امض ويلك فخرج وقال لغلمانه اذهبوا واحملوا لى الى حبس القاضى بساطا وفراشا وماتدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدّى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه فى الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسنى فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس و بلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدّى رسالة أىّ شئ عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق ابن الصباح الاشعثى والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضى شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بى وانى لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالى أراكم جئتمونى فى غبرة من الناس فكلمتمونى من ههنا من فتيان الحىّ فأجابه جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجادّ أنت قال حقا حتى لاتعودوا لرسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى فى الليلة الى باب السجن

وفتح

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر نختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه الحق بثقلي الى بغداد والله ماطلبنا هذا الامر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد و بلغ الخبر الى موسى ابن عيسى فركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده الله و يقول يا أبا عبدالله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع أعوانى قال نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته مما قلدنى فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدىّ الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حائطها سريعا كما كان قال أفعل ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسي ومتاعه قال موسى بن عيسى ويرد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا و بارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومى فقامت من مجلسه فلما فرغ أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الامير أتأمر بشئ فقال أى شئ آمر وضحك فقال له شريك أيها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه

﴿ القضية الرابعة عدل القاضى شريك أيضا ﴾

قال عمر ابن أخى خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما فى منزله باكرا فخرج الىّ فى رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى أمس فلم تجف اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ماعندك فيه وماتقول فيه وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمرا بالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خز وطيلسان وتحته برذون فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضى واذا فى ظهره آثار السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشى أجرتى كل شهر مائة أخذنى هذا منذ أربعة أشهر واحتبسنى فى طراز يجرى علىّ القوت ولى عيال قد ضاعوا وهلكوا وأفلتت اليوم نحوهم لأراهم فلحقنى ففعل بظهرى ماترى فقال القاضى قم فاجلس مع خصمك يانصرانى فقال أصلحك الله ياأبا عبدالله هذا من خدم السيدة مر به الى الحبس قال قم ويلك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ماهذه الآثار التى بظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضى انما ضربته أسواطا بيدى وهو يستحق أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصرانى وهو يقول لاتضرب والله بعدها المسلمين فهمّ أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحىّ خذوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان و بقى النصرانى فضربه أسواطا فجعل يبكى وهو يقول ستعلم فلما فرغ من ضربه ألقى السوط فى الدهليز وقال لى يا أباحفص ماتقول فى العبد يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصرانى الى البرذون ولم يكن له من يمسكه فجعل النصرانى يضرب البرذون فقال له شريك أرفق به ويلك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال عمر فقلت له مالنا ولهذا لقد فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لى أعز أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصرانى الى

موسى بن عيسى فقال شريك فعل بي كيت وكيت فقال له والله ما أتعرض لشريك فمضى النصراني الى بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

﴿ القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقة ﴾

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقة وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي ابن ظبيان أما بعد أبقى الله الامير وحفظه وأتم نعمته أتاني رجل فذكر أنه فلان بن فلان وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فصر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضرا باب عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك فختم قمطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح قاض لا يقيم الحق على القوي والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأي في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ في منزله وضج النساء فسكتهن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لي أبا اسحاق لأكلمه فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت فاياك ومعارضته

﴿ القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي ﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسئلة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله ﷺ فنظر الي الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة

مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغي اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ قال أحييتني ياعمر بن حبيب أحياك الله أحييتني أحياك الله أحييتني أحياك الله وأصله بعشرة آلاف درهم

﴿ القضية السابعة عدل حفص القاضي ﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فطاله بثمنها وعوّقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمال الباقي وسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادّع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني الى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظرني بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل بقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدما الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادّعى عليه فقال له حفص ماتقول يامجوسي قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقرّ لك قال يعطيني مالي والا الحبس فقال للمرزبان يامجوسي ماتقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص يا أحمق تقرّ ثم تقول هذا على السيدة ماتقول يارجل قال ان أعطاني مالي والا حبسته فقال حفص يامجوسي ماتقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندي وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فأسرع السندي فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندي والله لاجلست للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندي ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله فيّ فان حفصا من لاتأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجته ردّيه الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحمق حبس وكيلي واستخف به اكتب اليه ومره لاينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لي شهودا لاسجل لك على المجوسي بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسي فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعي حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع مايقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ماصنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرنّ أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر لحفص ابن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته مازدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أنني سجلت على مرزبان المجوسي بمال وجب عليه فقال يحيى فمن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصيني حضرت القاضي أبا حازم وقد جاءه طريف الخادمي من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين انا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك افلاسه وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه أذاكر لما قال لي وقت أن قلدني القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع الا ببينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيأ فهكذا يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقلد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري وهو يجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مال الوقف الا ما أخذه المعتضد فجئت الى القاضي أبي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبيله على أهل الوقف قال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لاقسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم ترح اليه لاوليت له عملا ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل له انك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه ما قلت لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة ظن أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى أن أجبي ما على أمير المؤمنين وأنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد ياصافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربعمائة دينار قال أفتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال أتزن أربعمائة دينار فقبضتها وانصرفت الى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضفها الى ماعندك من الوقوف وفرقه غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدار قطني سمعت عبد الرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يتيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لأختها كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفك الحجر عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي الى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لخشونته فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير ثانيا وقال له وأمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي

ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئا وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هـذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخـذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هـذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لاتعاوده فى هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين فى أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلاجرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعفر بهم آثامهم اه

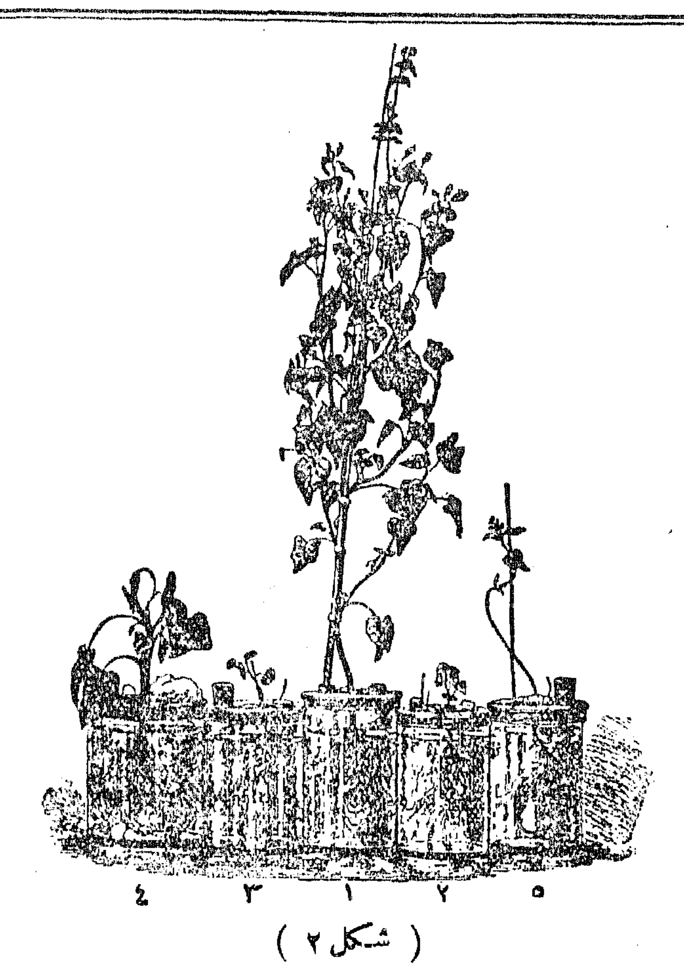
هنالك أخذت أفكر فى قوله تعالى ــ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ــ الخ ههنا يتذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض و بين العدل فى القضاء وليس من الميسور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون العجب من الأمم الاسلامية المتأخرة ، حرمت علوم السموات والأرض فخرّ عليهم السقف من فوقهم ولكن الأمم الاسلامية فى العصور الأولى كانوا يفهمون هذه الامور بعقولهم وهكذا الأمم الذين بعضهم فى زماننا و بعضهم بعد مفارقتنا هذه الدار سيفهمون هذا حقّ الفهم ويقولون إن الله يقول لداود ــ فاحكم بين الناس بالحق ــ ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقا باطلا وفى آية أخرى قال ــ وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق ــ ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد فى علم النبات هدى فيجدون أن العناصر التى تدخل فى تركيب النبات بتحليله تحليلا كيمائيا هى :

الكربون . الاوكسيجين . الايدروجين . الاوزوت . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكلسيوم الحديد . المغنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسوجين والايدروجين من الماء ، أما بقية العناصر فيحصل عليها من الأملاح الذائبة فى التربة

﴿ اثبات ضرورة العناصر السابقة للنبات ﴾

اذا عمل محلول من ماء أذيبت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآنفة الذكر فان النبات يمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ ــ ١) واذ أنقص من المحلول أحد هذه العناصر فقد يمو النبات الى حدّ ما (شكل ٢) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوى النبات النامى فى التربة عدا ما تقدّم على عناصر السليس والصوديوم والكلور إلا ان هـذه العناصر ليست ضرورية جدا ويمكن للنبات أن يمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لايمتص الموادّ الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلا الى مقدار قليل جدا من الحديد فى حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزوت كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة فى النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٢ فى الصفحة التالية)



(شكل ٢)

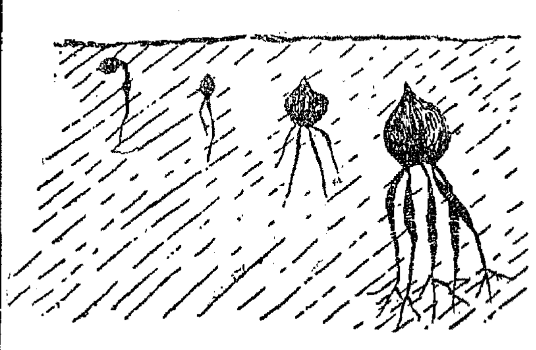
(١) نبات نام فى محاول يحتوى على جميع العناصر الضرورية
(٢) نبات نام فى محاول يحتوى على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم
(٣) نبات نام فى محاول يحتوى على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذى استبدل بها الصوديوم
(٤) نبات نام فى محاول يحتوى على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم
(٥) نبات نام فى محاول يحتوى على جميع العناصر ماعدا الاوزوت

فاذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا لعبا بل خلقا بالحق كما قال تعالى ــ ماخلقناهما إلا بالحق ــ وذلك الحق كالحق المذكور فى آية داود ــ فاحكم بين الناس بالحق ــ الله حق وفعله فى تغذية النبات حق بحيث اذا نقص النبات فى (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا واذا نقص الاوزوت كان أكبر وهكذا ، أما اذا كان تام التغذية فانه يتم كماله . هذا هو الحق فى نظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف فى هذا القانون ، فلم يسمع الناس أن نباتا نقص أحد هذه العناصر ثم كان تاما فى شكله غير منقوص وهذا هو نفس الحق الذى تقدم فى القضايا العشر التى نقلتها لك عن القدماء ، وأى فرق بين عدل محمد بن عمران الطلحى إذ يكتب الى المنصور فيحضر فيحكم عليه و بين نقص النبات أمامنا اذا نقص عنصرا من عناصر التغذية ، واذا كنا نحن خلفاء الله فى الأرض على رعايانا من الأعضاء والحواس والأسرات والممالك فوجب أن نتبع من استخلفنا ونزن الامور على مقتضى وزنه لتصح لنا الخلافة فى الأرض وبهذا نستحق أن نكون ــ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ــ فهذه العندية تقتضى ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران و يحكم على الخليفة و يعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى و هكذا فهذا الفعل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل فى أمر تغذية النبات كمالا ونقصا ، فمن وفى من الزراع

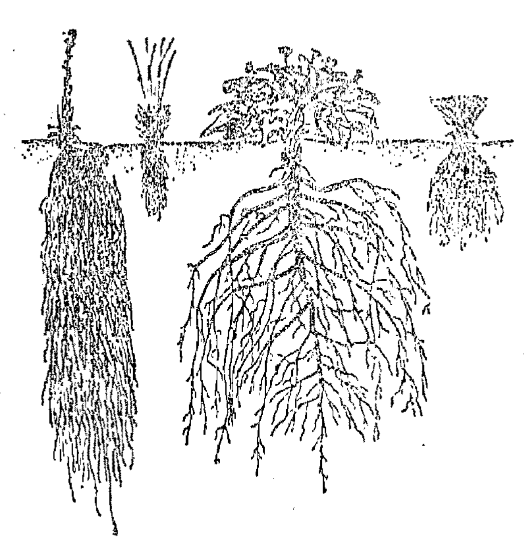
بالعناصر وفيت له ومن نقصت نقصت له بقدر لا زيادة ولا نقص وهذا عين قوله تعالى — أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار — الخ أى كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات الذى خلقناه بالحق ليس كـكامل التغذية ، فالناقص كالمفسدين فى الأرض والـكامل كالمتقين

فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين فى زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عزّ وجل وعلما بمصنوعاته وحكمته وتـكون لهـم سعادتان : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيق لصانع العالم ، واذا كان الانسان يهيم شوقا ويعجب أيما اعجاب بشريك القاضى ومن معه لاحقاقهم الحق فى القضايا فـابالك بمن قضاياه لانهاية لعددها وكلها حق وأصبح الناس يشاهدونها بعقولهم ، وأما السعادة الجسمية فهى ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بازدياد العلم والحـكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التى يكثر فيها المحبون للعلوم على هذا النمط الذى فى هذا التفسير وهم طبعا يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد فى ترقيتهم ترقى سريعا وخواصها المذكورة أوصافهم يكونون فى سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهـم لأن حبّ العلم وحب الله وحب رقىّ الناس متى اجتمعت فى امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العلمية وانشراح الصدر وكان الله فى عونه — والله يحب المحسنين —

فهؤلاء الذين يزدادون علما بعدنا لايقفون عنـد حدّ فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لايتزاحم بعضـها مع بعض فى مستـو واحد من التربة بل تمتدّ الى أعماق مختلفة (شكل ٣) بخلاف جـذور النباتات الحولية إذ تمتدّ وتتفرّع فى العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتدّ الى أعمـاق أبعد ولـكل منها عمق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأبصال وزرعت فى مستو أعلى من مستواها الطبيعى تتـكوّن عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبريمة فتجذب البصلة الى أسفل حتى تصل بها الى المستوى المناسب (انظر شـكل ٤)

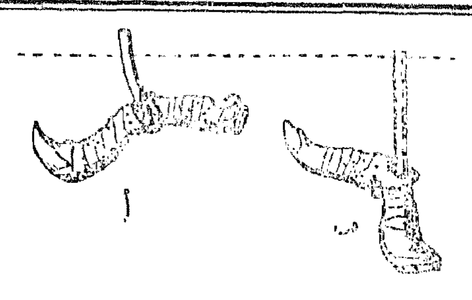


(شـكل — ٤)
المستويات التى توجد عليها البصلة الواحدة فى سنوات متتالية بعـد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التى تجذبها الى أسفل



(شـكل ٣ — نموّ جذور النباتات الصحراوية فى مستويات مختلفة)

وكـذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية فى مستو غير مستواه الطبيعى فان الريزوم يتجه الى أسفل أو أعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لنموّه و بعد ذلك يسير موازيا لسطح الأرض (انظر شـكل ٥ ا ، ب فى الصحيفة التالية)



(شكل ٥)

(ا) ريزوم زرع فى مستوى أعلى من مستواه الطبيعى فاتجه الى أسفل
(ب) ريزوم زرع رأسيا فى مستوى أعمق من مستواه الطبيعى فاتجه الى أعلى متخذا وضعا أفقيا

وفى السنوات التى يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشعير المزروع فى هذه الأراضى يقف نموه تدريجيا ثم يجف فى حين أن النباتات البرية لاتتأثر كثيرا ، وذلك لأن جذور الشعير توجد كلها فى مستو واحد وتتزاحم بعضها مع بعض فلاتجد المقدار الكافى من الماء ، أما النباتات البرية فان ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . ومما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيأ فشيأ كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحول الأراضى الى صحار قاحلة بالتدريج . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات

إذن يرقى المسلمون الذين يزدادون علما فى زماننا والذى بعده فيدرسون و يقولون هذا الشعير اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التى نزرعها لأنها جذورها فى منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فان جذورها تمتد فى مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هوالله وهوعدل ومن عدله أن أعطى كل نبات منطقة خاصة يعيش بغذائها ولكن لوكانت كلها فى منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشعير والقمح فان الله جعل الانسان قائما عليها ليسقيها واذا نبت معها نبات يشاركها فى منطقتها الطينية فان الانسان نفسه هو الذى يحافظ على زرعه كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التى مع الناس تلحقها الأمراض والناس يداوونها

﴿ تذكرة ﴾

أفلاترى أيها الذكى أن المسلمين الذين يقرؤن هذه العلوم هم الذين تكون لهم سعادة فى الحياة الدنيا والآخرة ، ألاترى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاء وأخبار القضاة العادلين الجيلة ، ألست ترى أن عدل الله فى النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هونفس قول المسلم ــ اهدنا الصراط المستقيم ✲ صراط الذين أنعمت عليهم ــ والصراط المستقيم هوصراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض فهذا هوصراط الله ، أولست ترى أن الانسان كلما أوغل فى هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجلا نافعا وهاهم أهل أوروبا قد سبقونا فى هذه العلوم وهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففاقونا بهذه العلوم إذ أكسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هوقول الله تعالى ــ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ــ

﴿ عبرة فى التاريخ ﴾

لقد ذكرت فى سورة يونس انى أرسلت خطابا (وهناك نصه) الى المجلس النيابى المصرى فى أول حيانه

والى

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التلميذ يجهل تشريح جسمه ومعرفة دابته التى يركبها والسماء التى فوقه وطبقات الأرض تحته فسيصبح القاضى والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهـذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم المواليد الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما »

هذا هو الذى كتبته منذ بضع سنين ، وبعد ذلك قرّروا خمس سنين ، وقرّروا علوم النبات والحيوان ، أفلا أحمد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأمم الاسلامية سيكون سريعا كما ذكرناه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى يهمنا فى هذا المقام أن نقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمم أن المحتلين لبلادنا منعوه أيام سلطتهم وهاهى ذه رجعت لنا بعد سلطتهم ، وانما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النوّاب وللحكومة لأنى أعلم انهـم تعاموا فى زمن الاحتلال وأكثرهم لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما انى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أؤلف كتبا للمسلمين وأقول فى نفسى اذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فهاأنا ذا أكتب مجملها فى كتبى لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فانى أحمـد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال النوعى الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دينى والذى سيقرؤه إن شاء الله المسلمون ويجدون فيه هـذه العلوم مبسوطة مشروحة ، فهم إذن لا يقف فى طريقهم عائق يصدّهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم الكونية من أرضية وسماوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو مايدّعيه الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الاسلام فانهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثال ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كلفهم ذلك ، وعليه أقول : إن أمم الاسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

﴿ وصية المؤلف ﴾

وانى أوصى كل من يقرؤن هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل مايعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازدياد العلم لأن دورة العلم تمرّ بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هو علما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤا هذا وبحثوه ورسموه مانشرت شيأ منه ولاعرفته ، ألاترى أنى كنت أنقل لك ما كتبه الانجليز ورسموه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهـل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ماتقدّم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شئ فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى ـ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ـ)

﴿ كيف نربى قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاؤها ﴾

أحمدك اللهم على نعمك ، وأشكرك على ما ألهمت من العلم وحبوت من الحكمة ، نزل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأمم الاسلامية ساكتة ساكنة نائمة بعد الصدر الأول و بقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انبجس فى أمم أخرى بعيدة عن الاسلام . إن كتابك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم . إنك لم تنزله للناس لتحبس عقولهم وتكبل أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزلته هدى وتبصرة وذكرى وقلت فيه ــ لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ــ وقلت ــ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ وقلت ــ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ــ وقلت ــ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ــ . أفلم يأن للمسلمين اليوم أن يسمعوا ويعقلوا ؟ نعم آن ذلك فأقول :

تربية الأمة وقضاتها وحكامها

لقد قرأت فى « جمهورية أفلاطون » عجبا فى ذلك فلأذكره أولا ثم أقفى على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « ليعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكرا وانه يستحيل علينا أن نعقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من علوم الأمم . إن القرآن بلا عقول مفكرة تعقله ولا نفوس قيمة تفهمه لكتاب مهجور متروك ، الحفظ وحده وفهم المعانى اللفظية لا يغنينا فتيلا ، أليس من العجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يكثر فى بلادنا صنفان من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثرة القضاة فى البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . و يقول : نعم نحن أبحنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيح الايغال فيها والتفنن ، إن التفنن فى الموسيقى يجر الى الفضول والفضول والفسوق يجران الى المشاحنات الموجبات للتقاضى عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالى فيه فذلك موجب للأمراض المختلفات وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عالة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على نقص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربى الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقى الذى يبعد النفس عن الخلاعة فيقل القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشد الدهش من أمة الاسلام ، تلك الأمة التى يتهافت مجموعها على المحاكم وعلى الأطباء لاسيما فى زماننا بمصر فان المحاماة صناعة رائجة فى بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جرارة : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على نقص فى الأخلاق وفى الصحة وأن المآل كل غير منتظمة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد نقلت عن الامام الغزالى سابقا أن علماء الاسلام أكبوا على علم الفقه لأنه يوصلهم الى كراسى القضاء وأخذ يذمهم ويقول : « ياقوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون الى علوم كثيرة » وقد تكرر هذا فى التفسير . إذن علماء الاسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب فى البلاد قلت القضايا فقل القضاة وهكذا متى صحت الأبدان قل الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صاحبى فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) فى هذا . فقلت هذا نصه فى المحاورة بينه و بين غلوكون :

(س) وهل تنكر على الاثينيين تأنقهم فى صنوف الحلوى

(غ) بشدة أنكره

(س) فليس من الخطأ موازنة نظام المعيشة بنظام الموسيقى والغناء المستعمل فى مختلف الأوزان

(غ) لاشك فى انها موازنة صحيحة

(س) أوليس صحيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقى فجورا فى النفس تولد الأطعمة عللا فى الجسد . أما البساطة فى الألعاب الرياضية فانها تولد الصحة كما انها فى الموسيقى تولد العفاف

(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت فى المدينة الأمراض وصور الفجور أفلا نضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أولا يتيه الطب والحقوق عجبا متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهن بوافر الرغبة

(غ) وماذا عسانا أن نتوقع غير ذلك ؟

(س) فأية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها الى نطس الأطباء وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يدّعون شرف النبعة ، أولاتراه انحطاطا أدبيا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريعة يسنها الأجانب كسادة وقضاة لنا بسبب فقر الوطن ؟

(غ) لا اهانة أعظم من ذلك

(س) أوَتظن انها إهانة أخفّ على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته فى المحاكم بين مدّع ومدّعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يفتخر بأنه حرّيف فى ارتكاب الكبائر وأستاذ فى الحيل والموارية والدهاء والمكر يتملصه من قبضة العدالة والنجاة من براثن العقاب ، وكل ذلك لقاء أشياء طفيفة تافهة جاهلا أفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجاهلا على مثوله أمام قاض خامل

(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أوَلاتحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية عيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمى وافد ؟ أعنى به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملأنا الرياح والأخلاط كما تملأ المياه القذرة الحمأة فيلزم أبناء اسكولابيوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتطبل البطن والزكام

(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية فى الغرابة

(س) اذا مرض النجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لافراز مرضه بالقىء أو بالاسهال أو بالكى أو بعملية جراحية . أما اذا أشار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالامساك عن الطعام والأربطة على الرأس ونحو ذلك من أساليب العلاج نفر حالا وأجاب مشيره الطبى أن لا وقت عنده لملازمة الفراش وأن الحياة على هذا النظام لاتستأهل عناء الآلام الدائمة والمخاوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودّع طبيبه ويعود الى حياته العادية فاما أن يستعيد صحته ويستمرّ فى عمله أو اذا لم تحتمل بنيته ذلك أراحه الموت الزؤام من شقائه

(غ) نعم ذلك مايظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل فى مثل هذه الحال

(س) صحيح أن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة اذا قرنوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عدد وافر من شرّ الحوادث المرَضية واختبروا فى أشخاصهم كل أنواع المرض ولذلك لاتكون لهم صحة جيدة لأنى لا أظنّ أن جسد الطبيب هو الذى يشفى أجساد الآخرين والا لما جاز له أن يكون ذا علة أو أن يمرض ولكن عقله هو الذى يشفى . فاذا أصيب فى عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا

(غ) انك مصيب

(س) ولكن القاضى ياصديقى يحكم العقل (١) بالعقل فلايجوز أن ينشأ عقله منذ نعومة أظفاره فى بيئة فاسدة العقول ويأتلف معشرها ويقترف كل أنواع الشرور اقتداء بها لكى يختبر فى نفسه ماهية

(١) وردت فى بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلاينس القارئ ذلك

الأجرام فيتمكن بهذا الاختبار من زلات الآخرين بقياسهم على نفسه على نحو تصرّف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحداثة حرا من هذا الاختبار و بمعزل عن عوامل الشرّ والفساد اذا أريد أن يتصف بالكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب فى سهولة انخداع الصالحين فى شبيبتهم إذ ليس فى نفوسهم مثل يقيسون شرور الارداء به

(غ) نعم وهم معرّضون كثيرا لهذا الانخداع

(س) ولذا لا يكون أفضل القضاة شابا بل شيخا عرك الدهر وخبر البطل لا كشئ استقرّ فى نفسه بل كأمر خارجى أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا فى حياة الآخرين ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ انه يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصى

(غ) حقا إن ذلك أشرف نوع فى الحكام

(س) وهو صالح أيضا ، هذه هى نقطة البحث لأن ذا النفس النقية صالح ، أما القاضى المريب الذى اقترف كثيرا من موبقات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاشر أمثاله من الشبان فيبدى شديد الحذر قياسا على ما فى داخله من نماذج الشرّ وهى نصب عينيه كل يوم . على أنه متى اجتمع بالشيوخ والأبرار ظهر بازائهم غرا أحمق بريبته الشاذة وجهله السجية الكاملة لفقدانه مثلا لها فى نفسه وانما لأن علاقاته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لاح له ولأمثاله انه حاذق لا أحمق

(غ) غاية فى الصواب

(س) فلا ننشدنّ حاكمنا الصالح فى هذا الصف بل فى سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا . أما الفضيلة فى الكامل التهذيب فانها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأمرين : نفسها والرذيلة . فالقاضى الحكيم فى مذهبى هو هذا الفاضل لا ذاك الرذيل

(غ) أوافقك فى ذلك

(س) أفلا تنشئ فى مدينتك ادارتين : طبية وقضائية . تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف ؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أصحاء الأبدان والعقول مع اهمال سقماء الأبدان فيموتون واعدام الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلاحا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقماء

(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الشريعة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التى قلنا انها تنشئ رزانة النفس

(غ) دون شك . انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز

فقال صاحبى عندئذ : عجبا ! هانحن أولاء فى هذا القول رأينا ﴿عجيبين : العجب الأوّل﴾ فى سورة يس إذ تقدّم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد واتضح لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمات مكررات كما فى السنين الكبيسة والبسيطة ومثلها فى ذلك نظم الشعر ونغمات الموسيقى والطير ﴿ العجب الثانى ﴾ هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين فى أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها . ولقد اضطرت حكومتنا المصرية فى هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العينى وهى تبنى بناء عظيما يسع (٤٨٠٠) سرير للمرضى . إذن هذا دليل على الجهل المطبق فى هذه الأمة وهكذا كثرة القضاة والمحامين شرعيين وأهليين . كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها . فقلت نعم حقّ ماتقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر يتبع احتلال الأجنبى لبلادنا . ومن أقبح

ما

ما اطلعت عليه بنفسي انى منذ أربع سنين قبل كتابة هذا الموضوع دعيت الى وليمة وقد كانت بلادنا أخذت استقلالا جزئيا فسمعت الموسيقى تصدح فى تلك الوليمة اذا هى موسيقى الحكومة المصرية فكان دهشى عظيما إذ سمعت كل الأشعار من أقاويل الجهال والسخفاء وأحقر الطبقات وكلها تنطق بالفسوق والجهالة والعمى فسألت الرئيس فبكى بكاء مرّا وقال إن السلطة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا فى ذلك عاقبونا فأرغمنا أن نغنى هذا الغناء الحقير . فعلمت بهذا وبغيره أن الأمم التى تتدهور أخلاقها كما حصل لأمّتنا انما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجمال فنريد أن نعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدّم فى ﴿سورة يس﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفلاطون يحتم أن يقرؤا الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا الفضائل وتكون دراستهم لتلك العلوم موجهة فى ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفى باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجريه على وتيرة واحدة فى الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوّة ثابتة وعلما وحكمة ورحمة وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحسّ هؤلاء بأنهم خلفاؤه فى الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبناؤهم . وكما نراه أوجب الرياضة البدنية والعفة على العامّة أوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضى والأمير والملك يجب أن يكون أكلهم وشربهم بسيطين وأن يكثروا التمرين الجسدى والعقلى بالعلوم الرياضية . وأن يفكروا فى منظم الكون بحيث يقتربون منه بعقولهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بخلقة الذهب فى المعادن . فاذا استحق الذهب أن يكون حاكما فى معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لذلك

فقال : أنا الآن فهمت فحوى كلام أفلاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول فى القرآن وفى الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى فى ﴿سورة البقرة﴾ يصف الملك ــ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ــ

فقال : هذا كلام اجمالى فأين التفصيلى كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذى أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلا حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلا والذين شربوا كانوا كثيرا ولم يحارب إلا أولئك الأقلون فانتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا الينا معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعلم الشعب الاسلامى العفة لتتم الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء . أفليس هذا يكون سببا فى قوّة البدن المذكور فى الآية وهو قوله ــ وزاده بسطة فى العلم والجسم ــ . فقال : زدنى من هذا . فقلت : يقول الله تعالى ــ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون ــ ويقول ــ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا ــ ويقول ــ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ــ

أفلا يكفيك هذا فى أن ما قاله أفلاطون وسقراط قد وضح فى القرآن . فقال : هذا فى علم الحقوق فماذا فى الطب . فقلت : يقول الله سبحانه ــ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ــ ويقول ــ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ــ فاقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى فى سورة الأعراف والثانية فى سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التى ذكرها أفلاطون . فقلت : انها فى « السبق والرمى » الآتى الكلام عليهما قريبا هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هى الصلاة فالصلاة التى جاءت بالوحى هى التى تحفظ كيان الأمّة وتهذّب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أمم وأمم وفتحوا بلادا وبلادا وعمروا أرض الله . أما

تعاليم أفلاطون فلم نجد لها أثرا دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كله . فأريد الآن أن تفيض القول فيما جاء فى السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث التمرينات العضلية . فقلت : جاء فى كتاب « رياض الصالحين » تحت عنوان « باب فضل الجوع » مانصه :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ماشبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » متفق عليه (١) . وفى رواية « ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تقول « والله يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار . قلت : ياخالة فما كان يعيشكم ؟ قالت الاسودان التمر والماء إلا انه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح وكانوا يرسلون الى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا » متفق عليه . وعن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخارى . مصلية بفتح الميم أى مشوية * وعن أنس رضى الله عنه قال : « لم يأكل النبى ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات » رواه البخارى . وفى رواية له « ولا رأى شاة سميطا بعينه قط » * وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : « لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه » رواه مسلم . الدقل تمر ردىء * وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : « ما رأى رسول الله ﷺ النقى من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم فى عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه » رواه البخارى . وقوله النقى بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحوارى وهو الدرمك وقوله ثريناه هو بثاء مثلثة ثم راء مشددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أى بللناه وعجناه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ماأخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا الجوع يارسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما قوما فقاما معه فأتى رجلا من الأنصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارى فنظر الى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم . رواه مسلم . (قولها) يستعذب أى يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعذق بكسر العين واسكان الذال المعجمة وهو الكباسة وهى الغصن والمدية بضم الميم وكسرها هى السكين والحلوب ذات اللبن والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لاسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، هذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان كذا جاء مبينا فى رواية الترمذى وغيره * وعن خالد بن عمر العدوى قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لازوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لايدرك لها قعرا والله لتملأن أفعجبتم ولقد ذكر لنا

(١) معنى هذه أن البخارى ومسلم اتفقا عليه

أن

أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من من الأمصار وانى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وعند الله صغيرا . رواه مسلم . قوله آذنت هو بمد الألف أى أعلمت وقوله بصرم هو بضم الصاد أى بانقطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أى سريعة والصبابة بضم الصاد المهملة وهو البقية اليسيرة وقوله يتصابها هو بتشديد الباء قبل الهاء أى يجمعها والكظيظ الكثير الممتلىء ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أى صارت فيها قروح * وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضى الله عنها كساء وازارا غليظا قالت قبض رسول الله ﷺ فى هذين (متفق عليه) * وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر حتى ان كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الحبلة بضم الحاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهى والسمر نوعان معروفان من شجر البادية * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه ، قال أهل اللغة والغريب معنى قوتا أى مايسد الرمق * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال والله الذى لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى النبى ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف مافى وجهى ومافى نفسى ثم قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال الحق ومضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجد لبنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أوفلانة قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال الحق الى أهل الصفة فادعهم لى قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولامال ولاعلى أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ ، واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت وماهذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاؤا أمرنى فكنت أنا أعطيهم فقلت وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال خذ فاعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى النبى ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الى فتبسم فقال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا قال فأرنى فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة . رواه البخارى * وعن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيتنى وانى لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ الى حجرة عائشة رضى الله عنها مغشيا على فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى ويرى أنى مجنون ومابى من جنون مابى إلا الجوع . رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير » متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه قال « رهن النبى ﷺ درعه بشعير ومشيت الى النبى ﷺ بخبز شعير واهالة سنخة ، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وانهم لتسعة أبيات » رواه البخارى . الاهالة بكسر الهمزة الشحم الذائب والسنخة بالنون والخاء المعجمة وهى المتغيرة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما

ازار واما كساء قد ربطوا فى أعناقهم منها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته . رواه البخارى ✡ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف» رواه البخارى ✡ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصارى فقال رسول الله ﷺ يا أخا الأنصار كيف أخى سعد بن عبادة (١) فقال صالح فقال رسول الله ﷺ من يعوده منكم فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولاخفاف ولاقلانس ولاقمص نمشى فى تلك السباخ حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم ✡ وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ انه قال « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، قال عمران فما أدرى قال النبى ﷺ مرتين أوثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولايستشهدون ويخونون ولايؤتمنون وينذرون ولايوفون ويظهرفيهم السمن » متفق عليه ✡ وعن أبى أمامة رضى الله عنه قل قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولاتلام على كفاف وابدأ بمن تعول . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ✡ وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى وقال حديث حسن . سربه بكسر السين المهملة أى نفسه وقيل قومه ✡ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم ✡ وعن أبى محمد فضالة بن عبيد الأنصارى رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ✡ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ✡ وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين فاذا صلى رسول الله ﷺ انصرف اليهم فقال : لوتعلمون مالكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . رواه الترمذى وقال حديث صحيح . الخصاصة الفاقة والجوع الشديد ✡ وعن أبى كريمة المقداد بن معديكرب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لامحالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه . رواه الترمذى وقال حديث حسن . وقوله أكلات أى لقم ✡ وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الأنصارى الحارثى رضى الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألاتسمعون ألاتسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان يعنى التقحل . رواه أبوداود . البذاذة بالباء الموحدة والذال المعجمتين وهى رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس ، وأما التقحل فبالقاف والحاء قال أهل اللغة المتقحل هوالرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه ✡ وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله عنه نتلقى عيرالقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبوعبيدة يعطينا تمرة تمرة فقيل كيف كنتم تصنعون بها قال نمصها كما يمص

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصارى رضى الله عنه هوسيد الأوس كنيته أبو عمرو وهوالذى ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أنشدوا :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ✡ سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولا من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هي دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطع منه الفدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمرّ من تحتها وتزوّدنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلد معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح ، وقوله نمصها بفتح الميم ، والخبط ورق شجر معروف تأكله الابل ، والكثيب التلّ من الرمل ، والوقب بفتح الواو واسكان القاف و بعدها باء موحدة وهو نقرة العين ،، والقلال الجرار ، والفدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع ، وقوله رحل البعير بتخفيف الحاء أي جعل عليه الرحل ، الوشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذي اقتطع ليقدد منه والله أعلم * وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت كان كم قميص رسول الله ﷺ الى الرصغ . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن . الرصغ بالصاد والرسغ بالسين أيضا هو المفصل بين الكف والساعد

* وعن جابر رضي الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا الى النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام و بطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا فأخذ النبيّ ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبيّ ﷺ شيأ مافي ذلك صبر أفعندك شيء فقالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبيّ ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج فقلت طعيم (كذا) لي فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قل لها لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت ويحك قد جاء النبيّ ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز و يجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه و يقرب الى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا و بقي منه فقال كلي هذا وأهدي فان الناس أصابتهم مجاعة » متفق عليه وفي رواية قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدا فأخرجت اليّ جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت ففرغت الى فراغي (كذا) وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله ﷺ فقالت لاتفضحني برسول الله ﷺ ومن معه فجئت فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح رسول الله ﷺ فقال ياأهل الخندق إن جابرا قد صنع سؤرا فحيهلا بكم فقال النبيّ ﷺ لاتنزلن برمتكما ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء النبيّ ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك و بك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت عجينا فبصق فيه و بارك ثم عمد الى برمتنا فبصق و بارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو » وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان الدال و بالياء المثناة تحت وهي قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس ، والكثيب أصله تل الرمل والمراد هنا صارت ترابا ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأحجار التي يكون عليها القدر وتضاغطوا تزاحموا والمجاعة الجوع وهي بفتح الميم والخمص بفتح الخاء المعجمة والميم الجوع ، وانكفأت انقلبت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهمة

وهى العناق بفتح العين ، والداجن هى التى ألفت البيت ، والسؤر الطعام الذى يدعى الناس اليه وهو بالفارسية وحيهلا أى تعالوا وقولها بك و بك أى خاصمته وسبته لأنها اعتقدت أن الذى عندها لا يكفيهم فاستحيت وخفى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أى بصق و يقال أيضا بزق ثلاث لغات وعمد بفتح الميم أى قصد . واقدحى أى اغرفى ، والمقدحة المغرفة وتغط أى لغليانها صوت والله أعلم * وعن أنس رضى الله عنه قال قال أبوطلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شئ ؟ فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبى وردّتنى ببعضه ثم أرسلتنى الى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبوطلحة فقلت نعم . فقال ألطعام ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبوطلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا مايطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبوطلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ هلمى ماعندك يا أم سليم فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ وعصرت عليه أم سليم عكة فأدمته ثم قال فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أوثمانون متفق عليه . وفى رواية « فمازال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلادخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فاذا هى مثلها حين أكلوا منها » وفى رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا » وفى رواية « ثم أفضلوا مابلغوا جيرانهم » وفى رواية عن أنس قال جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصابة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا من الجوع فذهبت الى أبى طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت ياأبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبوطلحة على أمى فقال هل من شئ فقالت نعم عندى كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وان جاء آخر معه قلّ عنهم وذكر تمام الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحبى قال : لقد أصبحت موقنا أن دين الاسلام فى المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس فقد ثبت فى الصحيح أنه ﷺ كان يجوع هو وأصحابه ، وأن خبزه لاينخل ، وأن أهل بيته يمرّ عليهم الهلال والهلال والهلال فلايوقدون نارا ، ومعنى هذا انهم عاشوا عيشة الصحة فان العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون النخالة والسن كله ضرر كما تقدم فى هذا التفسير ، فترك النخالة والسن اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء والذل وأثبت أيضا أن القوّة لاتكون إلافيما لم يطبخ ، أماالطعام المطبوخ فان قوّته قد ذهب أكثرها . إذن عدم طبخ الطعام أيضا صحة جيدة أثبتها الطب الحديث . إذن النبوّة المحمدية فى واد والمسلمون فى واد ، فالمسلمون ينخلون الدقيق ويكثرون الطبخ و يتفانى علماؤهم وصلحاؤهم وملوكهم فى ألوان الطعام جهلا منهم فلاهم أطاعوا النبى ﷺ ولاهم قرؤا العلوم الطبية الحديثة المشروح مقصودها فى هذا التفسير فيما تقدم ولقد نجد السيدة فاطمة رضى الله عنها كما فى حديث البخارى تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السبى لتساعدها فى طحن الدقيق بالرحى فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطحن يعطى الجسم قوّة فقد جمعت إذن بين العفة وتمرين العضلات فازدادت قوّتها واذ ظهرت هذه الحقيقة ووضحت فأرجو أن تذكر ماوعدت به من « السبق والرمى » فقلت جاء فى كتاب « تيسيرالوصول . لجامع الاصول » تحت العنوان الآتى مانصه

(كتاب

﴿ كتاب السبق والرمى ﴾

(وفيه فصلان)

﴿ الفصل الأول فى أحكامهما ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لاسبق إلا فى خفّ أوحافر أونصل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالخف الابل وبالحافر الخيل وبالنصل السهم . والسبق بفتح الباء الجعل وباسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضمر الخيل يسابق بها » أخرجه أبوداود . وعنه رضى الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرح فى الغاية » أخرجه أبوداود * وعنه رضى الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضمر من الخيل من الحفياء الى ثنية الوداع ومالم يضمر (بتشديد الميم) من الثنية الى مسجد بنى زريق » أخرجه الستة

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهولا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار » أخرجه أبوداود

وعن أنس رضى الله عنه قال كان للنبىّ ﷺ ناقة تسمى العضباء لاتسبق فجاء اعرابىّ على قعود فسبقها فشقّ ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله أن لايرتفع شئ من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخارى وأبوداود والنسائى

وعن فقيم اللخمى قال : قلت لعقبة بن عامر رضى الله عنهما تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير ويشقّ عليك فقال لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا ، أوقد عصى » أخرجه مسلم ومعاناة الشئ مقاساته وملابسته

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به » وفى رواية « ومنبله فارموا واركبوا وأحبّ الىّ أن ترموا من أن تركبوا ، كل لهو باطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهنّ من الحق ، ومن ترك الرمى بعد ماعلمه فانها نعمة تركها أوقال كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبى داود ، والمنبل الذى يناول الرامى النبل ليرمى به وهو الممد به وقوله كفرها أى جحدها

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال مالكم لاترمون ؟ فقالوا كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم . أخرجه البخارى اه

فلما أتممت ذلك قال صاحبى الآن حصحص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من علوم الأمم مفصلات ومبينات ومشيرات لمعانى القرآن والا فكتاب السبق والرمى يقرؤه المسلمون فى جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامّة أن يكون لهم ساعة فى كل أسبوع ليتقنوا هذا الفن لأنه يعطى قوّة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسيما اذا كانت فى جماعة وهذا قوله ﷺ « الصلاة وماملكت أيمانكم » للاشارة الى أن للصلاة أثرا فعالا فى المعاشرة وهذا سرّ قوله تعالى ــ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ــ

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فاذا فقدت فسدت الأخلاق واحتاج الناس الى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الانسان فانه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء

والمنكر كنص الآية . وقد تقدم قول بنتام أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعد هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامى ونسى هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يجهلها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

(١) أن تذيع الصنائع اليدوية بين المتعلمين لأنها تقوّى البدن والعقل

(٢) وأن تذيع السبق والرمى

(٣) وأن تعمم تعليم الجندية بقدر الامكان

(٤) وأن يكون القضاة من أفضل هؤلاء وأعلمهم

(٥) وأن يكون الأمراء والملوك أعلى من الجميع أخلاقا وعلما وصحة واستقامة فيكون علمهم أكمل وأجسامهم أصح وآراؤهم أعلى ، فأما الاتكال على نسبتهم لآبائهم وحدها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامى ، فليكن الملوك والقضاة أصحّ أجساما وأرقى عقولا وعلوما من جميع الأمم المحكومة بهم

واذا وجدنا أن النحل تربى حشرمها أى الملكة التى تحكمها وهكذا الأرضة فلماذا لا تربى الملوك والقضاة تربية خاصة كما فعلت هذه الطوائف من الحشرات . ألم تر أن النحل تجعل عسلا أبيض خاصا بالملكة التى تربيها فيكون جسمها أكمل وتمييزها أتمّ ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكبر حجما وأقوى تمييزا من جميع ممالكها كما تراها مرسومة فيما تقدم فى ﴿ سورة سبأ ﴾

فالله الذى ألهم بعض الحشرات أن تربى رؤساءها تربية خاصة هو نفسه الذى يقول فى القرآن ـ وزاده بسطة فى العلم والجسم ـ والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ـ

فليعلم المسلمون ذلك وليعملوا به والله هو الولىّ الحميد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ بشارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تمت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى ـ رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ☆ فسخرنا له الريح ـ الخ)

اعلم أن الناس بالنسبة للنعم على ثلاثة أقسام : عامّة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة . فأما العامّة فانهم يفرحون بظواهر النعم مثل روائحها العطرية ولذاتها المختلفات وبهجة زينتها والافتخار بكثرتها وازدحام مخازنهم بها وتحدّث الناس بغناهم واعظامهم فى المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فانهم لا يقفون من النعم عند ظواهرها وانما يغنيهم من الأغذية ما يفيدهم الصحة ويعطيهم العافية ويزدرون ماوراء ذلك من اللذات التى يفرح بها العامّة ، ولا يقفون فى الموسيقى عند ظواهر نغماتها ، ولا فى الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذى ينفعهم فى نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التعجب من القوانين البديعة المحكمة التى تظهر فى الأشعار والموسيقى ونغمات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان فى علم الكيمياء مثل ما فى تركيب الماء من الاكسوجين والاودروجين . فهذه كلها نسبها منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهنالك تصبح العلوم كلها عندهم علما واحدا ونظاما واحدا ويحسون فى نفوسهم بسعادة عامية . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه واحسانه والنظر فى ملكه وسياسة دولته بل يشعرون بقربهم منه ولطفه وعطفه عليهم ومؤانسته لهم . وهنالك يجدون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام مشروحا فى ﴿ سوره يس ﴾ عند آية ـ والشمس تجرى لمستقرّ لها ـ الخ) فههنا نقول اذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فلمن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل

بل هو فى أعلى طبقات هذه الدرجة وليس يريده لمجرد ظواهر الطيارة الطائرة فى الريح على سبيل المعجزة ولا لمجرد عظمة الملك وسطوته ولا لمجرد حفظ مملكة بنى اسرائيل وأمنها بل هو يريد ماهو أعلى من ذلك وهو أن يفرح بالمنعم من حيث هو منعم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لاغاية . فاذا فرح العامة بالنعمة لأجل لذاتهم هم وحمدوا ربهم على ذلك . واذا فرح الخاصة بالنعم من حيث انها صادرة من الله تعالى وانهم أهل لرعايته واختصاصه فخاصة الخاصة انما يفرحون بالمنعم نفسه من حيث هو منعم . فالملك الذى طلبه سليمان عليه السلام الذى لا ينبغى لأحد من بعده هو المذكور فى الآية وهى تسخير الريح ومابعده وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد ألا ترى أن الريح لم تسخر لموسى ولا لعيسى ولا لنبينا ﷺ واذا ظهرت الطيارات فى الجوّ اليوم فلم تكن إلا بالصناعات العلمية والحذق والدربة والمران فى تلك الصناعات ولم تسخر الرياح لأحد منا وانما التسخير هناك بلاصنعة صانع ولا حكمة حكيم فهى هناك معجزة وهنا صناعة كما ان الجهال قد يعرفون بعض المستقبل بطريق الرؤيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحى فهما وان كانا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما أقلّ من الآخر (٤٥) مرة وليس يطلب سليمان الملك من حيث هو ملك كالعامة بل طلبه من حيث انه وسيلة للانتقال من النعمة الى المنعم وهنالك يصل الى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى الى الأعلى فى لمح البصر أوهو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنغمات اللواتى ترجع بالنفس الى عالم الجمال والكمال و بظواهر الجمال المذكرات بالمبدع الحكيم

أما نبينا ﷺ فانه أعطى الكوثر وهى النعم الكثيرة وأعطى المقام المحمود الذى يحمده فيه الأوّلون والآخرون فالجهتان منفكتان ، فسليمان طلب نعمة الملك الدنيوى ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العامّة ، وأما محمد ﷺ فبامور كثيرة من مقام الحمد والكوثر وهكذا . انتهت اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى ـ قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ـ)

عزّ الله وتعالى وتنزّه أن يطلع على جماله وبهاء كماله وحسن اتقانه وعجيب نظامه إلا أولوا الألباب ، أما أكثر الناس فان لهم فى بدوهم وحضرهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم فى مآكلهم وملبسهم وافتخارهم بجاههم ومالهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفى أضغانهم وأحقادهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرهم اشغالا شاغلا وغمرات هم فيها ساهون

قديما غوى ابليس آدم ، وحديثا غوى ذرّيته ، والتاريخان متطابقان ، ألا ترى رعاك الله أن بنى آدم فوق الأرض قد مثلوا نفس القصص الذى ذكره الله فى آدم ، آدم أغواه ابليس فأكل من الشجرة فبدت له هو وزوجته سوآتهما فواريا عوراتهما بورق الشجر وأخرجا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخذوا يسعون للرزق ليلا ونهارا

هذه قصة آدم فانظر فى قصة بنيه ولا ينبئك عنها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم فى خط الاستواء عثر عليهم السائحون قريبا لا يجعلون بينهم و بين ضوء الشمس سترا ، فهم يعيشون عراة و يموتون عراة كما أثبته الرحالة (ستانلى) وتمرّ على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم بفاحشة ولا خنا ولا زنا وهم من هذه المفاسد آمنون . ثم انظر بعد ذلك الى ماتقدّم فى آخر ﴿ سورة يس ﴾ فى آية ـ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ـ وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذى تحلى بملابس فى بعض جزائر المحيط وكلها من ورق الموز . أليس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذى لبس ورق الشجر الذى رأيته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحوّاء وهى ساعدته على اغواء آدم فنبذا عيش البساطة والسهولة وأخذا يتفننان فى طرق الحياة ويزاولان حياة جديدة ما كان أغناهما عنها لولا القدر المقدور . ونفس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونسائهم ويصطاد العقول فى أقاصى السودان وجزائر المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجهلون الخنا والزنا ويعيشون فى بحبوحة الهناء والرخاء يقتاتون من الفاكهة ويشربون من سلسبيل العيون ولا يصيبهم فى حياتهم نصب ولايحلّ بساحتهم طبيب ولاجراح أريب إذ لامرض يزورهم ولا بؤس يصيبهم وهم فى جنة الأرض التى هم بها آمنون . فلاتزال الوساوس تتغلغل فى قلوبهم والهواجس تتابع فى أفئدتهم حتى يستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . وهل الأدنى إلا التباعد عن الحياة الطبيعية رويدا رويدا والتهافت على ماتنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها وقطنها وتيلها وحرير دودها من كل مالاينبت إلا بشق الأنفس ولايحصل إلا بكدّ الرجل وجدّ المرأة ومزاولة الطبخ والحرث والسقى والحصد والحزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والغزل والنسيج والخياطة والغسل والتنظيف واظهار الزينة والتغالى فى إبداء المحاسن والتبجح بأنواع الصبغ والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه الفريق الأوّل الذين هم فى جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الانسان الحاضر فى كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور فى القرآن ، ياسبحان الله ، لماذا يكرّر الله لنا قصة آدم فى بضع مواضع فى القرآن ؟ ولماذا يعيدها تكرارا مع قصة ابليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء فى كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤن ولاهم يذكرون ، فأما الحكماء وأما أولوا الألباب فهم الذين يذكرون ويقولون : « لقد تكرّرت قصة آدم واغواء ابليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن ليعلم آدم ولابنيه ولاحوّاء زوجه وانما يريد أن يعطينا النموذج الذى ظهر لنا باتساع العلوم فى زماننا ، فآدم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، ففينا العراة الأطهار كآدم فى أوّل أمره وفينا الذين خصفوا ورق الشجر على أجسامهم ، وفينا فئة ثالثة نسيت فواكه الجنة الأرضية مأكلا وأوراقها ملبسا وأخذت تجدّ فى استنبات الأرض لتسدّ الحاجة فى مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس نظر الأب الشفيق لطفله الصغير — ولله المثل الأعلى — إذ يلح فى الطلب فيجاب لما طلب فأكثر لهم المآكل والملابس وعلى مقدار تفننهم أعطاهم ماسألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطى بقدر ويمنع بقدر وهؤلاء هذه مرتبتهم من الوجود وهذا استعدادهم فى الحياة

هذه هى قصة الانسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يثمر العمل ضائع . والكلام اذا لم يفد سامعه فوائد فلماذا يقوله . ومن أجلّ مقاصد هذا التاريخ الذى استوى فيه آدم وبنوه أن نفكر نحن معاشر المسلمين فى زماننا ونقول : « التاريخ للعبرة أما مجرّد القراءة أو التعبد فانهما مبدآن لانهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الانسان كله استعبدته الشهوات وأفسدته البيئات وأخذ فى طعامه وشرابه ولباسه يخبط خبط عشواء ويمشى على غير الصراط السوىّ حتى أصبحت أنواع المخدرات وأصناف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يصطادون بها الضعفاء من الأمم ويسترقون الغافلين . إذن هذه الشهوات الطارئة اتخذها الانسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قديما وسيلة لاستدراجه فأخرجه من الجنان . إذن لاثقة بما عليه حال هذا الانسان الآن فى جميع ضروب الحياة . وليس اسباغ النعم وتراكم الخيرات واللذات بدليل على أن هذه سعادات للانسان . فاذا حرمنا من نعمة الحياة الأولى التى خلت من ذل الكدّ والكدح ومن ذلّ الفواحش التى فيها عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولاسبيل للرجوع اليها فعلينا أن نبحث ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن ليس معنى ذلك اننا نترك الأمم حولنا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء فى عصرنا فى هذا الموضوع ولأى حدّ

وصلوا

وصلوا . فاذا عرفنا آراءهـم وجب علينا أن ندقق فى أبحاثهم وننظر فى آرائهم ونمتحنها ونساعد فى رقىّ نوع الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

والذى وصل الينا الآن من آراء الأمم فى هذا الموضوع أى موضوع المآكل والملابس شذرات تصلح للبحث فيها والنظر والتأمّل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفيتامين) أى مادة الحياة التى لم يعرفها الناس إلا فى قرننا هذا وهو القرن العشرون . يقولون إن ضوء الشمس هو القوّة التى نستمد منها الحياة . فالحب والفاكهة تعطينا قوّة وهى التى اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ فى العلب والمقلى وما أشبه ذلك كله قد ماتت منه تلك القوّة فليس مفيدا لنا . ونظرية النوع الانسانى فى حرارة النار التى يخبز بها الخبز و يطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولامعنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولامعنى لجعله فى العلب أمدا طويلا إلا أنه يفقد خواصه وتزهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والكتانية ماهى إلا موانع من سعادة الحياة وسدّ حصين وسور يفصل مابين أجسامنا وحرارة الشمس التى بها الحياة ، واذا كنا نحتال على الحياة بتعاطى الحبوب والفواكه التى خزنت فيها أضواء الشمس فندخلها فى أجسامنا لتعطينا قوّة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى ثم أولى أن نلاقيها بأجسامنا مباشرة فنلامسها كما تلامس كل نبات وكل حيوان فتدخل فى منافذه وتتصل بعروقه وتساعد دورته الدموية فتعطيه النشاط

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

بينما أنا أكتب هذا إذ حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير فقال : ماأجمل قولك وما أبينه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أمر جدير بالذكر وهو انك بهذا خالفت أصول الدين ونبذت سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرّد الرجال والنساء من الملابس ومن حلل هـذا فقد كفر والعياذ بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ يحدّث تلاميذه ولادين له . كلا . إنك الآن فى تفسير القرآن فلتكن المباحث غير خارجـة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أيها الأخ : هل رأيتنى لوّحت أوصرّحت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عممت القول وهذا ربما يأخذه جاهل أوحاسد فيؤوّله الى ماذكرته . فقلت : أذكرك بأنى قلت فى أوّل هـذا المقال اننا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبحث فيها لا انى أتممت البحث وهل الانسان يستغرق فى الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت . قلت فليكن هكذا استضاءة أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك بقصة آدم فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ ألم ترأن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجه ليواريا سوآتهما . قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لاسبيل للرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك فى أوّل هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله فى هذه الحال الجديدة ـ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ـ فأباح لنا كل ما أعطانا ولكنه أعلمنا بأنه لايحبّ المسرفين منا ، وقال ـ يا بنى آدم قـد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ـ فجعل المدار على التقوى ورفعة النفس ، فأما اللباس الظاهرى فالشرع يراعى فيه الأحوال الطارئة على الانسانية إذ ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ وليس فى سعة الناس التخلى عن عاداتهـم فى الملابس ، فالأنبياء لا يكلفون الناس مالايطيقون فيقولون كونوا عراة كأبيكم آدم بل ينظمون بأمر الله أحوالهم التى هم عليها ، والنظام هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : الستر الظاهرى ليس أجلّ مقصود بل المقصود الأهـمّ لباس التقوى فأحسنوا الظواهر فعسى أن تصلح البواطن . إذن هو أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدّمت بعض تلك القواعد فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفيتامين) بل انك لم تكن تعلم

عنها شيأ فالمقام يحتاج الى ايضاح . فقلت اقرأ ماتقدم فى سيرة النبى ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لايوقد فى بيتهم نار الهلال والهلال والهلال ، وكيف كانوا لاينخلون الدقيق . أليس هـذا يكفيك فتعرف أن النبوّة قد أوضحت ماأجمله القرآن من نبذ الاسراف . فقال ولـكن اذا ظهرأن آثار النبوّة المحمدية قدظهرت فى زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانسانى عن عاداته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية فجدير بك أن تسمعنى مقالا فى الاصلاح الحديث وان لم يكن تاما حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ورأينا أن النبى ﷺ قد وافقه العلم الحديث فى الطعام فهنالك يكون أمر عظيم ﴿أوّلا﴾ انه معجزة جديدة لم تظهر إلا فى قرننا هذا ﴿ثانيا﴾ ان المسلمين يرجعون للسيرة النبوية و يعرفون ماصحّ ومالم يصحّ فى طعامه وشرابه ثم يدرسون العلوم الحديثة فى الطعام ثم هم أنفسهم بالاصرية سيغيرون طرق ماكلهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قدّمت فى هذا المقام كلاما فى ﴿سورة البقرة﴾ عنـد آية ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ وفى ﴿سورة الأعراف﴾ عندآية الاسراف ، وفى ﴿سورة الحجر﴾ فى النصف الأوّل منها عند الاشارة الى قصة آدم ، وفى ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم فى آخرها ، وفى ﴿سورة الشعراء﴾ عند قوله تعالى ـ واذا مرضت فهو يشفين ـ وهناك مواضع أخر . فقال ولـكن لا أزال أقول ان العلم فى زماننا سريع الترقى فاذكر لى آخر ماوقفت عليه فى أمر الطعام . فقلت : سأسمعك « مقالين * الأوّل » هو ماجاء فى كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدى » فسأذكر هنا لباب ماترجم من آراء الدكاترة الأربعة وهم : هيج الانجليزى ، وكنتانى التليانى ، وسوبرسكى الفرنسى ، وكوهن الألمانى . هؤلاء وغيرهم الذين يريدون من الانسان الرجوع الى حال الفطرة فى الطعام كآدم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التى لم تظهر إلافى هذا الزمان ، ثم أقفى على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد ومافيه من الهم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأتبعهما بفصل ثالث فى ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أولئك الدكاترة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، ﴿أما بعد﴾ فان الانسان بتطوّراته المتوالية فى المدنية ، وذهابه فى الابداع الصناعى كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاده الى معيشة الترف ، واغراقه فى تطلب الملاذ البدنية ، قد أخرج مسألة التغذى عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلبا لاقامة حياته وحماية جثمانه من العطب أصبح يفعله طلبا للذة المعجلة حتى دفعته هذه العاطفة الى تناول الأغذية الضارّة المبيدة لجثمانه وهو يعلم ذلك و يشعر به ، إلا أنه قد شعر بأن خروجه هذا على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معا ، وأن هذا المتاع الحيوانى سريع الزوال ثم يعقبه دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولايزال به حتى يصرعه على أبشع الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطيبات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهده الأوّل بسنّ سنن مقرّرة للتغذى ، ومازال العلماء والفلاسفة يجعلون هـذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره فى العهـد الأخير الى اعتباره أولى بالعناية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التى لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغـذاء هو العامل الأكبر فى الصحة والمرض ، وفى طول الحياة وقصرها حتى قال العلامة البكتريولوجى (متشنيكوف) مدير معهد باستور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سـنة (١) وانما هو يقتل نفسه بسوء سيرته فى تغذّيه » وأقرّ

(١) الذى يقوله الجهور غير هذا وهوأن الانسان يعيش مائتى سنة بناء على أن مدة نموّه (٢٥) سنة

بهذه

بهذه الحقيقة جمهور الباحثين والمنقبين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأيدت أقوالهم بالتحليلات إذ بينت مايحويه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة ومايحتاج اليه الجسد كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طبية أثبتت بالتحليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكرى والزلالى وتصلب الشرايين والشلل والامساك المستعصى الى ما اليها مما يطول عده كلها متولدة من سوء التغذى وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه فى عداد المسائل المحسوسة الممكن تجربتها تحليلا وتركيبا ، فهب الغيورون على الانسان فى أوروبا الى وضع المؤلفات فى هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ماصدر منها فى هذه الخمسين السنة الأخيرة

﴿ مذهبا الطب ﴾

للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية ويرى الآخر أن العلاج قد يفيد العضو المريض فيحوله من حال الى حال ولكنه فى الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب فى نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحى خال من اللحم والمهيجات وعمل جسدى معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التى تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذى حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لايشفى المصاب ولكن الذى يشفيه هى القوة الحيوية فى جسمه ، تلك القوة تظهر للحس بفعلها على الجراح . ألم ترأنه لو أصابك جرح أخذ بعد حين فى الاندمال من نفسه فلايزال سائرا فى طريقه حتى يصح العضو المجروح و يصير كأن ليس به شئ وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الأثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجى هو أثر القوة الحيوية التى خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فاذا أصاب أحد الاعضاء مرض لاهمالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من عمل الامساعدة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومراعاة الحمية والعناية باستنشاق الهواء النقى وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها فى ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفى المريض . أما لو أعطى علاجا وهو فى تلك الحالة ازدادت حالته سوأ وتفاقم مرضه فان نجامنه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء فى ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غرانيشتاتن) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز فى كتابه الطب الطبيعى : « الضعف فى درجاته وأشكاله التى لاتحصى ليس هو على وجه عام الانتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغى تغلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائما فى الجسم بقايا تظهر آجلا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فللناس الحق فى تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف العلاجى . ثم قال : «من عهد ماجادت علينا الكيمياء بالمركبات المختلفة للزئبق والانتموان وقشر الكنكينا (كذا) وحمض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيها بنوع من الجرأة المتناهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التى كانت مجهولة فى العصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الابناء . فالذى يلقى به القدر مرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد وقف حياته على التردد على الصيدلات

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز فى كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء ، والطبيب شرا من المرض ، هى صحيحة فى كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تشفى بقوى الطبيعة وحدها وأماني الأمراض كافة فالشيء الوحيد الذي يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وابطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضره كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا مايولد الاطباء الامراض الصناعية ويمكن القول بأنه في كثير من الامراض التي يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ماقد سببه الأطباء أنفسهم . وفي الحالة الحاضرة للطب العملي يجب أن يجعل المريض بمعزل عن كل طبيب كما يعزل عن كل سم قتال . هذا مايشهد به تاريخ الطب ، فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثلها أنكأ الاوبئة ولا أطول الحروب »

وقال الاستاذ (سفيفنس) أستاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز . « كلما تقدم سن الاطباء قل اعتقادهم في تأثير الادوية وزادت ثقتهم في قوى الطبيعة . ثم قال : رغما عن كل المخترعات الحديثة التي أحيطت بالتهليل فان المرضى لايزالون يشكون الامراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاما . ثم قال : ان سبب بطء تقدم الطب ناتج من ان الاطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »

وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كل العلاجات التي تدخل في الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التي تسممه بها السموم الجالبة للأمراض . الادوية لاتشفي أى مرض كان بل الذي يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس الا ثم قال . ان الديجيتال قد قتل ألوفا من الناس وحمض البروسيك كان يستعمل بكثرة في أوربا وأمريكا ضد السل الرئوي وقد عالجوا به ألوفا من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل انه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الاستاذ بلز عن أكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الاقوال التي تؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير في شفاء الامراض أثر مهلك وجدير بالانسان اذا أصابه مرض ان يحتمي عن الاكل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التي ذكرها الاطباء الطبيعيون من الاستشفاء بالماء والهواء ذلك خير من التعرض لاخطار العلاجات المختلفة : لم يجن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الامراض والمرضى آخذين في الازدياد وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آباؤنا ولا تعرفها للآن الأمم الخالوية التي لاتعرف طبا ولا علاجا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل مايعزى للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الغلو فيها ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذي لاشك في نفعه . هذا مايقوله أنصار الطب الطبيعي

﴿ أساليب العلماء في معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أعجز الاطباء معالجة أقل الامراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرهما مما يعتري الناس من جراء أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين في تعاطي العلاجات المقوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحدا ممن يصاب بهذه الامراض لم ينل خيرا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العقم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء الأمراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر في التجارب فاهتدوا لنتائج ان لم تكن هي الواقع بعينه فقد أدت خدما جليلة . نذكر من هؤلاء العلماء الاطباء هيج الانجليزي وكنتاني الايطالي وسو بروبسكي الفرنسي . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى أقاصي المعمور

﴿ أسلوب الدكتور هيج في علاج الامراض ﴾

يقول الدكتور هيج ان أسباب الأمراض هي الحوامض السامة التي تنضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطرا حمض البوليك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشارا مريعا بين جميع الطبقات الاحمض البوليك ، وكذلك هو من الاسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكري وأمراض القلب . ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البوليك ولكنه أول من حد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية . قال هيج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه على القلب ويكون سببا لضعف عام للبنية ولاختلال جميع الأعضاء فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضا . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويعرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ماتسمح له به نظرياته فتارة ينصحونه بتعاطي المقويات وأخرى بأخذ المنومات ومرة يأمرونه بالسياحة وأخرى بالراحة وحينا يمزقون جلده بإبر الحقن وهم في ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء فلو علموا انه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحيحة لشفي المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتنضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هيج ان تراكم حمض البوليك في أوعية الدم يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة وهي أخص أعراض النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البوليك تغيرت حالة العقل حالا كأنها حادثة سحرية وتنقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة . وقال هيج ان جميع الامراض تزول بازالة حمض البوليك فاحذفوا هذا الحمض تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتحليل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والكاكاو . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات . وخصوصا الاسفاناخ والخبازي والكرنب والقرنبيط والفواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة . اذا سار المصاب بأي مرض على هذه الحمية مدة تحللت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الاعراض المرضية

﴿ أسلوب الدكتور كانتاني ﴾

قاعدة الدكتور كانتاني غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البوليك هو سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول ونزوله مع الفضلات . قال والذي يوجب نقص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثارنا من تناول الاغذية الايدراتية الكربونية (كالسكر والنشا) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين في دمه لحول حمض البوليك الى بول فأتقي الجسم شره كلما تكون . وعلى ذلك فالدواء الوحيد لجميع الأمراض عند الدكتور كانتاني هو اتباع حمية فلايأكل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الخل والمخللات واللبن والجبن والامراق والعجينيات والرز والبطاطس والحلاوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

﴿ أسلوب الدكتور سو برويسكى ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم وما فساده الا كونه حامضا غير محتو على قلويات فصلاحيته أن يكون قلويا حلوا ، وعدم صلاحيته أن يكون حامضا . والدليل على أن سبب الامراض هو خلو الدم من القلويات انك لا تجد فى الدم ولا فى البول املاحا قلوية فى جميع الامراض الحية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حرب لتلك الأمراض فقد ثبت أنها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السليمانى فالافضل للمرضى أن يعطوا أغذية كثيرة القلويات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تسلح الدم بالقلويات فالفواكه والليمونادة تشفى أكثر مما تشفيه الجور غالية الثمن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطى قلويات كافية فاذا تكوّن سم فى الدم انفرز حالا بفعل تلك القلويات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلويات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوية . أما المرق فلاحتوائه على البوتاس يضعف القلب والفواكه أولى منه بالعناية . الامراض المزمنة تشفى باعطاء الدم قلويات ويذوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره و يشفى البول السكرى والنقطة . وعدم وجود القلويات فى الدم يوجد الهرم الباكر

وقال الدكتور سو برويسكى . كل تاكسد يبطىء التغذية والتصريف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيبطل نشاطها فيعترى الانسان مالا يعتقسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيرا كانوا قنوعين جدا . فبالافراط فى الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلويات من الدم . لا يوجد للدم نقاءه وزيادة قلوياته الا النباتات من الفواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوياته أكثر . الامراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف فتى لم تختل فلا مرض وتلك الاعضاء المصرفة هى الرئتان والكليتان والجلد والامعاء فان مرضت احداها وقع الجسم فى المرض لامحالة . ان مرضت الرئتان يبقى فى الدم كثير من حمض الكربون وهو سم ، وان تعبت الكليتان بقيت البولينا (الاورية) وحمض البوليك فى الدم وناهيك بهما من غولين للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى فى الجلد السموم التى يجب أن تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات فى البدن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهملوها

ثم أخذ الدكتور سو برويسكى يفصل فى قيمة الأغذية من الوجهة القلوية فقال النباتات التى تحتوى على القلويات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

أما النباتات التى لها خاصية طرد حمض البوليك فهى الاسفاناخ والكرنب والقرنبيط وكرنب بروكسل والبازلة الخضراء لان بها حوامض تعيق افراز حمض البوليك (الاوريك) . هذه أساليب الدكاترة الثلاثة فكلها ترمى الى غرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب . فالطب كل الطب أن يعتدل الانسان فى غذائه وأن يكون نباتيا معتمدا فى تقويم جسمه على النباتات والفواكه الناضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء النقى وتعهد الجلد بالنظافة والحمية التامة والله الشافى . هذا رأى رجال من أقطاب الطب العصرى وهو رأينا أيضا ولكل انسان بصيرة يتحرى بها الصواب والله يهدينا الى سواء الصراط . ولا بأس من تعزيز هذا البحث بايراد رأى عالم ألمانى كبير فى أسباب الامراض فاليك :

﴿ العلامة (كوهن) الالمانى يرى أن لجميع الامراض سببا ﴾
(واحدا وعلاجا واحدا)

ننقل مذهب العلامة (كوهن) الالمانى المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره فى المجلد الاول من كتابه الطب الطبيعى صحيفة (٩٣٣) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو

فهو يقول انه لايوجد الا مرض واحـد يظهر بمظاهر مختلفة . والعلة الحقيقية لهذا المرض هى اجتماع أجسام غريبة فى جسم الانسان ليس لها دخل فى تركيبه وحفظه ، فهى أجسام غريبة وان شئت فقل جراثيم مرضية لم تستطع الأعضاء المفرزة وهى الامعاء والـكليتان والجلد والرئتان افرازها . هذه الاجسام الغريبة يرى (كوهن) أنها تتسرب الى أبداننا من تعاطينا أكثر مما نحتاج اليـه من الأغذية ، ومن تناولنا أغـذية ضارة ومضادة للشروط الفزيولوجية للحياة الانسانية كاللحوم والتوابل والاشربة الـكحولية المخدرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاى الى غير ذلك فهى من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة أخرى تحدث تهييجا للجسم يعقبه الضعف لامحالة . ومن الاجسام الغريبة التى تسبب لنا الامراض فى رأى (كوهن) السموم الصيدلية التى تتناول باسم علاجات والتبغ والسعوط (النشوق) وسم تلقيح الجدرى الذى اذا دخل الجسد قل أن يخرج منه ويكون مصدر جراثيم مرضية له : ومما يوجد الاجسام الغريبة فى البدن مايحمله معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التى تستعمل للتطهير فى البيوت ، ومايتصاعد من عرق الغير والعثير الثائر فى الطرق الخ كل هذه تتسرب الى أبداننا وتمكث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان مما يحدث المواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيما من خلايانا فتمكث فى ابداننا بسوء نوع معيشتنا بدل أن تنصرف فى الدم ومنه تخرج الى الجو بواسطة الاعضاء المفرزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بخضوعه للقانون الطبيعى الذى يدبر كل حياة ان يبعده عنه باعتبار أنه غـير نافع له أوضار به . ولـكن أعضاءنا المفرزة لاتستطيع نظرا لـكثرة المواد ان تفرزها كلها فى آن واحد فيتراكم مايبقى منها فى الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تتجه رويدا رويدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لناموس الثقل وتبعا للوضع العام للجسم إما ذات اليمين أوذات الشمال أو أمام أو خلف . فتبقى هذه المواد غـير محسوس بها أوتصيب صاحبها قشعريرات واضطرابات لايمكن التعبير عنها وقلق عام . وبالجملة تصيبه جميع الاعراض التى تسبق الأمراض الحادة أو الحمية . تلك المواد التى تتخلف فى الجسم هى مواد عفنة أومتخمرة . والتخمر نوع من التعفن سببه التحلل الواقع فى بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخلى أو خارجى أو برودة أو حرارة أو انفعال تحيا هـذه المواد المرضية وتتخمر ثم تبحث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز الليمفاوية للجسم متجهة الى أعلى الجسم والى الجلد أولا . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمددا فى الجهة التى تحل فيها فتولد ورما ظاهرا أو باطنا : وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الاطراف السفلى فتمكث فى الساقين والقدمين . هذه المواد تندفع على الدوام للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والتسرب الى الاعضاء البعيدة عنها كالرأس والعنق والايدى والأرجل والاصابع وابهام القدم . وهنالك تقف لأنها لاتستطيع أن تخرج من مسام الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن المعيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجسدية كأنها لم توجد أوقليلة الفائدة . وقد يكون الجلد على مايرام من تأدية وظيفته ولـكن تدفق تلك المواد عليه فجأة لايمكنه من تصريفها بمسامه دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أومعدوما . والامعاء والـكليتان والرئتان لاتؤدى وظائفها على ماينبغى كما هى الحالة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة فى الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تفسد الشـكل الطبيعى للجسم رويدا رويدا فتجمد الانسجة وتتوتر العضلات بعد أن كانت لينة فى اللمس ويكون توترها ظاهرا محسوسا فى أثناء تحركها . وفى أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة فى الجسم تمددا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويكفى أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينة الذين تمددت أبدانهم بتراكم المواد السمية الغريبة فيها أو ان نتأمل فى الاشخاص النحفاء الذين نجد أنسجتهم متوترة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تميل على الدوام أن تتجه الى الاطراف . والرقبة تـكون كمضيق بين الجزع والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الامراض فما هو الدواء ؟ قال (كوهن) لما كان سبب جميع الامراض واحدا كما رأيت وهو تراكم المواد الغريبة فى أجسادنا من جراء تعاطينا أغذية لاتوافق تركيبنا وتعرضنا للتعب المفرط واستنشاق الغازات الضارة . فليس لها الا دواء واحد وهو ينحصر فى الامرين الآتيين اللذين نتيجتهما قطع الامداد عن تلك المواد السمية وتسهيل خروجها .

(أولا) الاقتصار فى الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع دلك الجسم بفوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية .

الحمامات الجذعية هى أحواض يغمر الانسان فيها جذع جسمه فقط أى من عنقه الى فخذيه . والحمامات الجلوسية هى أحواض تغمر فيها المقعدة مع جزء من الظهر والبطن . والحمامات البخارية هى احاطة الجسم بالابخرة . جميع هذه الحمامات تباع فى محل التجارة .

﴿ ملخص هذا المقام ﴾

هذه هى الأساليب الثلاثة لهؤلاء الأطباء الثلاثة الاول ، فالسبب عند (هيج الانجليزى) هو أن يكون البول حمضيا بمواد لاتلائم الجسم ، وهذه المواد تقف فى فروع العروق فتسدها فيحصل الضغط على القلب وتكون أمراض مختلفة يعطى لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والدواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والفواكه) وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالفول الخ والشاى وماعطف عليه . والدكتور كانتانى كلامه مثل كلام هيج ولكنه أشبه بمن يقول : « يجب أن يكون فى شوارع القاهرة زبالون لحمل الكناسات من البيوت » فالدكتور هيج أشبه بمن يقول : « قذارة البيوت سببها بقاء الكناسة فيها » والدكتور كانتانى يقول : « نعم قولك صحيح ولكنى أقول : إن عدم الزبالين هو السبب فلو وجد الزبال لرفع الكناسات من المنازل والذى يكون سببا فى ايجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضراء والفواكه والبيض مع ترك الخل والمخللات والجبن والمرق والعجينات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل)

والدكتور (سوبرويسكى) يقول : « إن هذه الزبالة تخللت رائحتها جميع طبقات المنزل . وذلك أن المادة الضارة اذا كانت فى الماء فهى فى الدم والعلاج هو أكل النباتات »

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا فى اللبن وما تفرّع منه وكذا البيض ونبذوا مايتعاطاه الناس من التبغ ونحوه . وكوهن الألمانى جعل السبب أعمّ وهى أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد . فهو متحد مع من قبله اجمالا والدواء واحد وهو الأغذية النباتية

أيها الذكىّ : خذ النتيجة التى ساقها الله لنا . كل النبات والفواكه ودع اللحم والقهوة والشاى والخمر والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات

هذا ملخص ما تقدم . أما اللبن ففيه خلاف سببه أن البهيمة ربما كانت مريضة فينتقل المرض الينا من لبنها . هذا ملخص هذا المقام . انتهى الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها (والغرين) وهى الموادّ التى تجعل لونه قريبا من الحمرة وهى أهمّ أغذية النبات والسدود التى تمنع الماء أن يصل الى بعض الأرض)

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤن كلام الأطباء فيتحيرون ويصعب عليهم الفهم . فاعلم رعاك الله أن أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والغرين) الذى فيه وهو المسمى بالطمى فى بلادنا أشبه بالموادّ الغذائية

التى

التى تجرى مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل صحيح وأعضاؤنا كالزروع والأشجار التى يسقيها ماء النيل . فلو اننا سددنا ماء النيل من أى مكان بسدّ أو سددنا أى فرع من فروع النيل فان الماء يرجع الى الوراء وهناك يحصل ضرران كبيران وهما حرمان ما بعد هذا السد من السقى فيحصل تلف فى الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذى قبل ذلك السدّ بطغيان الماء عليه هكذا فى الجسم اذا سدّ عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل افراط فيما قبل هذا السدّ وتفريط فيما بعده فتحصل أمراض مختلفات فى الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا أردنا تلافى اهلاك زرعنا فى حقولنا فتحنا تلك السدود سدّا سدّا . هكذا اذا أردنا الصحة أزلنا الحواجز التى فى تلك العروق وفروعها . وماتلك الحواجز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هيج الطبيب الانجليزى أن حمض البوليك وحمض الاوكساليك والنطرون وغيرها هى أسباب (النورستانيا) والنقطة والروماتيزم وألم الرأس الخ فما خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سدّ فى أى بقعة اختلّ نظام النبات فهلك أكثره إما بقلة الماء واما بكثرته والنبات مختلف وألمنا عليه يكون على مقدار نفعه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفات يعبر عنها بعبارات مختلفات كما يقال فى النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا ولكل واحد من هذه النباتات منزلة عندنا نتألم لفقده بسببها ، واذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حمض البوليك فى أوعية الدم يسبب انحرافا فى العقل واضطرابا فى الحياة » أو قوله : « إن السميات التى تتخلف من المواد المغذية تثبت فى تفرعات الأوعية الدموية وتسدّ الأوعية الشعرية فتقل قوّة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين فى مساقى النيل يمنع الماء عما خلفها ويضرّ بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

واذا سمعت هيج يقول : « أزيلوا حمض البوليك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود من المساقى يشرب زرعكم ويدرّ ضرعكم وتعيشوا الى حين »

واذا سمعت هيج أيضا يقول : « دع الفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبيا الجافة والشاى والقهوة والكاكاو » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لنسقى الزرع فى الأرض »

واذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغفور له (محمد على باشا) لم يكن بها مهندسون فكان الماء يجرى بلا قانون فكثر الجفاف فى وقت وكثر الماء فى وقت آخر فاضمحلت مصر لقلة زرعها ، هكذا نقول فى مزرعتنا ومساقيها وهى أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والدهنيات والخل والمخللات ولبن البهائم المجهولة صحتها وجبنها والمرق والحجيفيات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل من كل ما ذكره (كانتانى) الايطالى أو أفرطنا فى الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكى) الفرنسى ، أو تعاطينا اللحوم والتوابل والأشربة الكحولية المخدّرة من النبيذ والبيرة والعرقى والقهوة والشاى ، أو تداوينا بالسموم الصيدلية ، أو استعملنا السعوط (النشوق) أو أكثرنا الوقوف فى الأماكن التى فسد هواؤها وتصاعدت أبخرتها مثل الاصطبلات أوكان فيها غازات للتطهير فى البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له رائحة ، أو سرنا فى الطريق ذات الغبار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألمانى

أقول : اذا فعلنا ذلك كله أو بعضه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعادتها وصحتها على حسب المصادفة كهيئة الأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون بالمصادفات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضراء والفواكه مع الحركة فى الهواء الطلق كما قاله كانتانى المذكور وفصله الدكتور (سوبر ويسكى) الفرنسى وقد ذكر بعضها وهى المحتوية على القلويات مثل الشكوريا والراوند والاسفاناج والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

فهذه وأمثالها هي القاويات وهناك نباتات أخرى تضارعها فى فائدتها ولكن من طريق طرد مايضرّ الجسم مثل حمض البوليك كالاسفاناج أيضا والكرنب والقنبيط وكرنب بروكسل والبازلة الخضراء التى بها حوامض تعيق افرازحمض البوليك

أقول : اذا سرنا على هذه الطريقة وأضفنا اليها مايقوله الدكتور كوهن الألمانى وقفينا ببعض تجاربه كالحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع دلك الجسم بفوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية

أقول : اذا اتبعناهذا الصراط فى حياتنا (لاسيما اذاقرأت أيها الذكىّ تمام الكلام على تلك الحمامات ونحوها وفوائد أخرى فى ﴿ سورة الشعراء ﴾ عندآية - واذا مرضت فهو يشفين - وآخر ﴿ سورة طه ﴾ عندقصة آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحمامات وغيرها ، وهكذا نظائر أخرى فى ﴿ سورة الحجر ﴾ عند الاشارة لقصة آدم فى أوّلها وهكذا فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ عند آية - ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين - وهكذا عند آية - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ففى هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة وشذرات جيلة فى علم الطب) فاننا نكون فى صحتنا أشبه بالمصريين من حيث نموّ السكان فى هذا القرن إذ صلحت الترع والمجارى بعناية المهندسين وصارالسكان (١٤) مليونا بعد مليونين قديما

﴿ تذكرة ﴾

أيها الذكىّ : هاأنااذا مثلت لك أجسامنا بالأراضى المصرية والنيل كالدم والسدودفيه كالأحماض الضارّة والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين « أمرين اثنين لاثالث لهما » إما انك تعيش كما يعيش أغلب نوع الانسان الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعظوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من انزال هذه القصة وأمثالها وتكرارها فى القرآن ، فاذن كل كما يأكل الناس مقلدا لهم ، واما انك تنظر فى هذه الحياة وتسلك سبيلا آخر بحسب الطب الحديث على مقدار طاقتك ، فهنالك ترجع لحال آدم قبل الأكل من الشجرة . ويظهرلى أن النوع الانسانى مقبل على زمان أجل وأبهج ، فاذا سلكت هذه السبيل الحديثة فاعلم انها هى التى تؤخذ من قصة آدم . فالناس جميعا آكلون مايشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما يضرّ وينفع . وهاهو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والفواكه وهكذا فان هذه النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولاتحتاج الى مايحتاج اليه النيل من المهندسين . واذا أكلت الأطعمة الأخرى كاللحم أوالمخلل أوالسكر وكل ما اشتقّ منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس هوالطبيب يعطيك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملأ جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن السامّة . الله هدانا النجدين فلنتبع أسهل النجدين . وبهذا تمّ الكلام على الفصل الثانى وهوضرب مثل بالنيل وفروعه للجسم ودمه الخ

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى نصائح عامّة من كبار الأطباء وهى ست نصائح منقولة من ذلك الكتاب)

﴿ النصيحة الأولى ﴾

(رأى الاستاذ هندهيد فيما يأكله الانسان فى اليوم)

أهمّ مايجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسألة التغذى فان عليها مدارالحياة والخطأ فى وجوهها الطبيعية يؤدّى الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشدّ الآلام . لذلك عنينا فى هذا الكتاب بالافاضة فى هذا البحث وسنفيض فيه ماوجدناللافاضة موضعا . وقداطلعنا على بحث جليل لأحدأطباء الانجليز نشرته إحدى الجرائد نقلها عنها المقطم فرأينا أن ننقله لقرّاء كتابنا هذا فان فيه فوائد جليلة وقواعد قيمة

قال «المقطم» فى عدد ٨٣٨٩ الصادر فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتى :

« وقد طالعنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يتبين منها أن الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض وما يدخل فى حكمهما من الأطعمة يفرطون فى الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أذى كبيرا من حيث لايدرون . وهذه المقالة مفعمة بالفوائد فآثرنا اقتطاف أهمّ ماورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة فى حفظ الصحة . استهلّ الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشرى من البروتيين (الالبومن) لكى يؤدّى وظائفه حقّ الأداء ؟ والبروتيين اسم جنس للأطعمة النتروجينية أو الالبومنية وهو العنصر الجوهرى فى اللحم الهبر والبيض واللبن والأجزاء الالبومنية فى بعض البقول . والموضوع من أهم مواضيع حفظ الصحة فان الأمراض الناشئة عن الافراط فى أكل البروتيين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فان أمراض القلب والكليتين والكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتيين . فمعرفة مايجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الامور التى تعدّ أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء مجمعون على أن بعض الأمراض الأخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ فى تعيين مقدار (البروتيين) فى الطعام وحسبنا هذا وذاك دليلا على وجوب افراغ العناية فى هذا البحث . وأوّل من بحث فى هذا الموضوع الدكتور (هندهيد) الدنمركى فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتيين فى اليوم تكفى الشخص العادى وتحفظ صحته . وكان المظنون قبلا أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطبيب : « إن زيادة هذا المقدار فى الطعام مضرّ بالجسم »

ولايخفى أن أطعمة البروتيين كاللحم والبيض هى أغلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيرا فى تدبير أثمانها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يدفعون الأثمان الغالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هندهيد فى تجاربه توصلا الى النتيجة التى استنتجها فكان يختار رجالا من الذين يعملون الأعمال اليدوية العنيفة ويكيل لهم الأطعمة ويزنها ويدقق فى وزن مفرزات أجسامهم ويفحص قوّتهم وأعضاءهم . ومن التجارب التى جرّبها انه جاء برجلين اقتصر فى اطعامهما عاما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون أقلّ مايصيب الواحد منهما كل يوم مالايقل عن (٢٠) غراما الى (٢٥) غراما من الالبومن بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذى عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعلوم أن البروتيين قليل جدا فى البطاطس . فاستخلاص المقدار المطلوب من الالبومن فى البطاطس يقتضى ثلاثة أرطال منه فكان الطبيب الدنمركى يطعم كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المرجرين ويمنعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما فى آخر العام من أجود مايكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع (٢٦٤) ميلا فى (٩٩) ساعة أى فى أقلّ من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هند هيد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومن الموجود فى الأطعمة النباتية يغنى فى الجسم عن الالبومن الموجود فى الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومن الذى يحتاج الجسم اليه أقلّ من المقدار الذى كان يظنّ لازما له

(٢) إن الأطعمة التى يقلّ الالبومن فيها تزيد قوّة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطبيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحرز قصب السبق فى محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضعاف مايبلغه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزيوت)

وقال « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدّة الصبر على التعب مايدهش الاوروبيين وأن جراية جنود السخ الهنود وهم من أشدّ جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ أوقية من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم لايأكلون اللحم إلا مرّتين أو ثلاثة فى الشهر ونعم مايفعلون »

ويلخص استنتاج الدكتور هندهيد بقولنا أن قيمة الالبومن النباتى أفضل من قيمة الالبومن الحيوانى ولكن يجب الاعتدال جدا فى استعماله وبكميات معينة وانه يجدر بالناس أن يقلوا من أكل اللحم وأن لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل فى فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندهيد فريدة فى بابها لما أعرناها هذا الاهتمام فقد اتفق غير مرة للعلماء أن أخطؤا فى البحث مدفوعين بعامل الحماسة الى استنتاج مايتوقون الى تأييده . وأعظم التجارب تدقيقا قد لايخلو من الخطأ فيؤدّى الى نتائج مغلوطة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ماتوصل اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الاستاذ تشتندن تعمق فى مثل هذا البحث فاقتنع هو وأنصاره بأن تنقيص البروتيين فى الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا

وقد جرّب الاستاذ تشتندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبى الألعاب الرياضية فألفى أن صحته تحسنت وقوّته زادت بانقاص مايأكل ولاسيما من أطعمة البروتيين ووافقه على ذلك آخرون فكانوا يقوون وتجود صحتهم اذا نقصوا مقدار الطعام الذى يأكلونه

ومما يبعث على الاستغراب فى هذه التجارب أن نتائجها كانت متماثلة فى لاعبى الألعاب الرياضية وفى الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوّتهم ازدادت بانقاص مايأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قياسا على ماتطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشتندن أن هذه القابلية التى نحسبها طبيعية ونعتمد عليها فى الدلالة على مقدار مايجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هى نتيجة عادات سيئة فى الأكل حادت بالانسان عن جادّة الصواب فان القابلية اذا كانت طبيعية لاتسمح للمرء أن يأكل من الطعام إلا نصف القدر الذى يأكله الناس عادة أو ثلثه »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم فى مسألة الطعام هى عدم الافراط فى شئ منه ولكن الخطر كل الخطر ناشئ عن الافراط فى أطعمة البروتيين أى اللحم والبيض واللبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين فالذى يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يعطى من الطعام أكثر مما يطعم من كان قليل الحركة أو كان شغله من الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامّة التى يجدر بالمرء مراعاتها فى طعامه وهى :

(١) الاعتدال فى الأكل من جميع أنواع الطعام التى تقدّم على المائدة ولا تأكل من طعام واحد مرّتين

(٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت

(٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعدّل طعامك بحسب ماترى من نقص الوزن أو زيادته

فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتعن هذه العناية اليسيرة بجسمك فلايحق لك أن تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن تكون من طويلى العمر » انتهت النصيحة الأولى

النصيحة الثانية

﴿ ضرر الافراط فى الأكل ﴾

(مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل)

قال الدكتور دورفيل : « الافراط فى الأكل جرح دام فى جسم الانسانية . وانى لأستطيع أن أؤكد

بانه

بأنه يقتل يوميا أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وانه غالبا سبب هذين الداءين . وقد قال المفكر الكبير تولوستوى وأصاب : اننا لنأكل ثلاثة أضعاف ماتتطلبه أجسامنا فنصاب بأمراض لاعدد لها تقطع الحياة قبل بلوغها أقصى حدّها »

وقال الفيلسوف سنيك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا نقصرها بأيدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكيه) يمزح قائلا لطهاة مرضاة الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكر أيها الأحباب على ماتؤدّونه من الخدم الينا معاشر الأطباء » وكان الفيلسوف سنيك المتقدم ذكره يقول : « إنكم تشتكون من كثرة الأمراض فاطردوا طهاتكم » وقد ذكر الدكتور كارتون فى كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » المصارعين الذين تراهم ممتلئين عضلا ودما من كثرة مايمعنون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوّة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوّتهم المفرطة هذه ليست إلا كنار القش لأنهم كالفلتات الطبيعية أوالنباتات المدفوعة للافراط فى النموّ المعرضة لان تحترق فى يوم من الأيام بحرارة السماد الشديدة الذى هو سبب نموّها غير الطبيعى»

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد ايراد هذه الآراء : « بعض المفرطين فى الأكل ليسوا ممتلئين شحما فنهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى القسمان فى الهلاك بسرعة وان جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المصير ، فترى الناس يحسدون الأوّلين (السمان) ويرحمون الأخيرين (النحاف) فيظنون أن بهم ضعفا أوفقرا دمويا ويزيد الأطباء حالتهم سوأ باعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصف لهم الأطباء اللحوم النيئة المهلكة وزيت كبد الحوت الذى لاتستطيع أن تهضمه أشدّ الامعاء ، فكم من الزمن يجب علينا أن نقضيه فى الصياح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لايفقد دمه كراته الحمراء إلا لأن سم الأغذية يبيدها ويسدّدها ، فاعطاؤه اللحم يزيد فى تسممه الذى هو سبب هلاكه ويقرّبه من حفرة القبر ، من الناس من يفرط فى الأكل ولايصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا ومحياه متلألئا فيعيش السنين الطوال لايشتكى بأقلّ وجع ثم لاتلبث أن تسمع بأنه قدمات وهو فى عنفوان القوّة فتدهش لذلك ولاموجب للدهش فان هذا الأكول لم يكن له فى جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفريط فتمادى فى شأنه فترا كمت عليه السموم فقتلته ولا كرامة ، ولكن من المفرطين فى الأكل من لاتزايلهم الأعراض المرضية فمن زكام الى دمل الى نزيف الى مرض جلدى ، وماهذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كلما تراكمت فيه بهذه الأمراض المتوالية وهو عندى أفضل من الأوّل الذى يعيش صحيحا محسودا سنين معدودة ثم يصعق فجأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط فى الأكل مصابا بدمّل أو بمرض جلدى أو بنزيف أو بغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولامقدارأكله ولا أنواع غذائه بل يسعون فى مكافحة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوأ وربما هلك بين أيديهم » انتهت النصيحة الثانية

النصيحة الثالثة

﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « اذا كان الافراط فى الأكل من الأخطار الكبيرة فان تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التقوّى أوتحسين التغذى أشدّ خطرا على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التى نعتبرها مقوّية توجد لنا قوّة فنحس بسعادة جسمية ولكنها سعادة مؤقتة إذ تنقلب الى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التى يخيل للناس أنها مقوّية هى كضربة سوط تنزل على الحصان المعي فتجعله يجرى قليلا ثم ينحط انحطاطا لاقيام له منه . فمن من الناس ضحايا هذا القرن الذى يقال انه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبذة والفوسفاتات والدقيق المشحون بالازوتات والبرشامات المملوءة

بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي نتعاطاها قسمان : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلالية . وقسم أعدّ للاحتراق فباحتراقها بفعل الاوكسوجين الذى فى الدم تعطينا قوة تسرى فى عضلاتنا وأعصابنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهى تهييج خلايانا الجسمية . من هذا التهييج ينتج التبادل الذى يميز حياتنا . فاذا كان الغذاء الذى نتعاطاه ذاتيا كان تهييجه لطيفا بطيئا مترقيا ولكن اذا كان الغذاء مركزا كان تهييجه قويا فجائيا . فلنفرض أن غذاءنا مكوّن من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فان خلايانا بعد انهضام هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادّتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحتراقية فتأتى بكمية مناسبة أيضا وذائبة من البطاطس والخبز والفواكه فتتأثر خلايانا بتهييج لطيف أى فسيولوجى . ولكن اذا كان الغذاء مؤلفا كما هى عادة معاصرينا من اللحوم والحلاوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره صغيرا اتجهت هذه المواد الى خلايانا مجتمعة فأحدثت فيها اضطرابا غير فسيولوجى يتوهم انه قوة بدنية ولكنه فى الحقيقة ليس إلا خطوة نحو الصدمة النهائية »

قال الدكتور (باسكولت) فى كتابه ﴿ التهاب المفاصل والافراط فى التغذى ﴾ ما يأتى : « التهييج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بتسهيله تمثيل الاصول المغذية ، والتهييج القوى يختصر الحياة بحملها على الاسراع فى عملها بحيث يعتريها التعب والانحلال قبل موعده الطبيعى »

وقال الدكتور (بول كارتون) فى كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » مانصه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة التركز تتكبد تلك الخلايا هجوما عنيفا مميتا مضادا لحياتها الطبيعية وهذا التهييج المضاد للفزيولوجيا يقتضى ردّ فعل فجائيا شديدا من الخلايا الجسدية يفرح به صاحبه فى حينه ولكنه مع الادمان ينقلب مضعفا هادما مولدا للمرض ، هذه المجهودات المفرطة التى يجب أن تعملها خلايانا لتتساوى مع شدّة التهييج الغذائى تخيلها دائما مظهرا كاملا من مظاهر الحياة والصحة ، فكلما لغطت الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكلما صار الأولاد أكثر توردا وسمنا تحت تأثير اللحم والسكر ازداد أهلوهم سرورا بهم ومع ذلك فلاشئ أكثر خدعا من هذه الظواهر الغشاشة ولاشئ أكثر خطرا من هذه النتائج الجميلة التى يتحمسون لرؤيتها غاية التحمس لأن عقباها التى لامناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكر لجسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصيحة الثالثة

﴿ النصيحة الرابعة ﴾

(ضرر السكر الصناعى وفوائد الطبيعى)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كعادة معاصرينا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحكم على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية مميتة ، لقد كان آباؤنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعى وكانوا أبطأ منا انحطاطا فى قواهم ، تقدّم الينا الآن الأغذية السكرية فنتناول منها بافراط ونعطى منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيرا من أحوال الأرق لاسبب لها غير الافراط فى تعاطى السكر ، وذلك سهل التفسير فان السكر أقوى الأغذية الاحتراقية يعطينا ميلا شديدا للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد عالجت حالات أرق مستعصية بمنع المصابين من تناول السكر مساء ، هل معنى هذا الامتناع عدم تعاطى السكر بتاتا ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعى علاج كالعلاجات يضرّ وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزرّاع والصنّاع ، وضارّ لذوى الحياة الجلوسية

كالمؤلفين والسياسيين فلايجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين فى اليوم ، و يجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحتراقية مساء كالنشا والجيليات أيضا ، ثم إن من الاضرار بالأطفال إعطاءهم السكريات فان السكر الطبيعى يكفى لجميع حاجاتنا وهوموجود فى الفواكه حيا وعلى حالة ذوبان ، ولكن السكرالصناعى محروم من الحياة أى من قواه المغناطيسية فهوغذاء ميت . إننا لنعلم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون فى القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيهم ، فقد دلتنا الفزيولوجيا التجريبية على أنه من العبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد اذا لم يعط حياة لايتمثله الجسم بخلاف الحديد الحى المشمول فى النباتات فانه مقوّ عظيم لكرات الحمراء للدم

وماقلته عن السكرأقوله عن الكحول فان المشروبات الروحية خطرة جدا ، يقول لنا الدكتوركارتون فى كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة : « إن المقادير التى تستهلك من اللحم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلاتنس انه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقاديرالكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوى يجتاح سنويا أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠٫٠٠٠ نسمة

الضرر لم يقف عند هذا الحد المادّى بل تناول العقول أيضا ، وحسبى أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ فى سنة ١٩١٠ وزادكذلك عدد المنتحرين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين » انتهت النصيحة الرابعة

﴿ النصيحة الخامسة ﴾

(متى وكيف وماذا يأكل الانسان و يشرب)

(مترجمة من كتاب « الطب الطبيعى » للأستاذ بلز)

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » فى كتابه « الطب الطبيعى » مايأتى :

« أريد أن أعطى نصائح فيما يمس هذه المسائل وهى : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) — ﴿متى نأكل﴾

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرّات فى اليوم حتى تستطيع المعدة أن تستريح فى خلالها ، ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لايجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدية والمخية تزيد عمل المخ فينتج منها نوم غير هادئ ، ومثل هذا النوم لا يكفى فى تعويض مافقده الانسان . وتنتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب اتعابك المخ بشئ من الاشتغالات العقلية كالمطالعة والتفكر والمجادلة والبحث فى السياسة لأنك بذلك تكون وجهت التيار الدموى نحو المخ و يكون النوم أقلّ تقوية للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) — ﴿كيف يجب أن يأكل الانسان ؟﴾

الشرط الأولى فى ذلك أن تمضغ اللقمة جيدا وفى مدة أطول ماتستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أوّلهما لأن إجادة المضغ واطالة أمده هما العاملان الوحيدان فى خلط اللعاب بالمواد الغذائية واللعاب ضرورى للهضم بل هو العامل الأوّل فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيئ عمل المعدة و بغير ذلك لاتستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيموسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدى الانسان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفء للمضغ وهو الأمر النادر فى جيلنا الحاضر ، فاذا أردت أن تحفظ أسنانك صحيحة فحافظ على تنظيفها وابتعد عن الأشربة وعن الأغذية الساخنة فان فى ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الحلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لايداول فى الأكل أوالشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضرّ بالطلاء البرّاق الموجود على الأسنان فيتلفه ويكون من وراء تلفه تآكل الأسنان وسقوطها . ولايجوز الاكثار من الشربة أوالمرق . وينبغى أن يكون الخبز جافا رغير مغموس فى الماء فقد خلقت الأسنان للمضغ فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التى تؤدّى وظيفتها كما يجب تقع فى المرض والانحلال . ويمكننى هنا أن أقول بأن الانسان فى ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان الذى له أسنان ضعيفة بالوراثة لايستطيع تقويتها وارجاعها سليمة ولايتم ذلك فى نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لونجحوا فى تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكواهم من مرض الأسنان . ألاترى أننا قلّ أن نصادف فى عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : «كل على قدر ماتشتهى» هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للأحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التى يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأنى لا أتصوّر أن الطبيعة تعطى للانسان شهية فى الوقت الذى فيه معدته لاتستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشربة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولايتفق مع صحته فيضرّ نفسه ضررا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة لا الموافقة لها ، ألا تنظر للطيور وللحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها مايتبرم عقب الأكل من الافراط فيه

رغما عما يقوله الناس اليوم من أنه لاينبغى لمن أكل وملأ معدته أن يضطجع ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدّة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتمّ هضمه على مايرام ، ومما يجب العناية به أن يتنفس الانسان تنفسا طويلا جملة مرات عقب كل أكل فى الهواء الطلق ليخلط المقدار الكافى من أوكسوجين الهواء بالدم ليتم الهضم على أحسن حال

(٣) — ﴿ ماذا ينبغى للانسان أن يشرب ويأكل ؟ ﴾

يجب على الانسان أن لايتناول إلا الأغذية السهلة الانهضام الخالية من الاصول الضارّة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله المغذية يحتوى على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضرورى لحفظ سلامة المخ ، فقد قال مولخوت : «اذا لم يكن فوسفور فلا فكر» ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لايكتفى بها وحدها فقد كانت فى الأزمان السالفة هى الغذاء الوحيد لكثير من الناس . ولقد كثر اليوم مبدأ الافراط فى العمل وهو أمر مضادّ للطبيعة . وانا لنرى أن هذا الافراط ليس ضروريا بل هو ناشئ من سوء النظام . وفى نظرنا أن نصف هذا العمل يكفى لاقامة أمر الحياة كما يجب واذ ذاك لايحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فلقد أثبت لنا الدكتور (ناتار) و (سوكسى) بصيامهما ورياضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والذى نراه انه لايجوز أن تخلو المائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم فى حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر فى الأطعمة من توابلها لاغذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهيجا ضارّا بالبدن وليأخذ الانسان دليلا على ضرره وتهييجه من اجماع الأطباء على تحريم تعاطيه للمصاب بالحمى . والأغذية التى تضرّ المرضى تضرّ الأصحاء لامحالة وان يكن الأصحاء لايحسون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذى يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد فى القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطؤن خطأ عظيما فى اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوّة ويملؤهم حياة وفتوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثار من أكل

اللحم ضارّ للدرجة القصوى . وأما النباتات فهى الغـذاء الجيد الصالح لحفظ قوّة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البـدنية ، فكما أن الطبيعة تعيد فى كل فصـل شبابها وتستدعى بذلك اعجابنا ، كذلك تفعل النباتات فى أجسادنا فانها تعيد اليها قوّتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاى والبيرة واللحم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتنشطها حتى قد تبلغ بها ضعفى قوّتها ولـكنها تنتهى باضـعافها فلايعود الانسان قادرا على الهضم ، وكلما أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بعـد عن الموافقة لها ولايستردّ سـيرته المعقولة فى موافقة الطبيعة إلا بالتعوّد ، قد يتبرّم الانسان من اخلاف عاداته حينا من الزمان ولـكن متى زال أثر العادة السيئة حلّ محلها أثر العادة الطيبة بما يستتبعه من راحة وصحة وهناء

وعليـه فانى أنصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطى الأشياء مجرّدة فان كل صنف تابله فيه . أما مايشربه الانسان فلاينتظر من مثلى أن ينصح بتعاطى الأشياء الضارّة ولوكان فى الناس من يعزّ عليـه أن يقلع عن عاداته فليصرعليها حتى الممات ولـكنى أخاطب أولاده وأحاول أن أقنعهم بما يجب عليهم أن يبتعدوا عنه . أنا لا أستطيع أن آذن لأحد بتعاطى البيرة ولاالعرقى ولاالنبيذ ولاالقهوة ولاالشاى . فاذا لم تـكن لتستطيع أن تقلع عنها بتاتا فقلل منها ما استطعت . أما المشروب الوحيد النافع للانسان الملائم لصحته فهو الماء الصافى العـذب فاشرب منه ماشئت . والذين لايستطيعون إساغة الماء القراح فهـم مرضى ولايزالون مرضى حتى يستطيعوا إساغته دون سواه

أنا لاأريدأن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولـكنى أريدأن يستفيد الناس من مزايا الاخشيشاب فى الأكل وهى المزايا التى يتمتع بها دوننا المتوحشون . ولاأريد كذلك أن أتخذ من حال الهنود المتبربرين مثالا نحتذيه فى حياتنا فانهم أيضا قد أصابتهم عدوى مدنيتنا فأصبحوا عن الصراط ناكبين

يظهر من حال طبيعتنا اننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فاذا تأمّلنا فى تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فينا ما لآكلة اللحوم من الحيوانات من القابلية لتعاطى اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولامناسر الـكواسر الخ وقد أحكم الله كل ماوضعه فلايصح أن نفرض انه غلط أوحاد عن جادّة الابداع

وعليه فلا أدل للانسان فى أمور عيشه وسـعادته من القانون الطبيعى فهو لايهدينا إلا لما فيه المصلحة ولايزعنا إلا عما فى تعاطيه المضرّة . فاذا خرج الانسان عليـه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وذاق من جراء عصيانه أسوأ الأحوال

فاذا كان الله جلّ شأنه خلق لـكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لايجوز له أن يتعدّاه ساغ لنا أن نجزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . واذا كان الأمر كذلك فلايعقل أن انسانا يستعيد صحته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ماسواها سواء أكان ذلك طفرة أم تدريجا ، ولاعجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهى الفواكه الناضجة اليانعـة ، وقد دلتنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ماينناسب استعداده وهو الأطعمة النباتيـة دون سواها عاش عمرا طويلا مهنأ فى نفسه معافى فى بدنه بخلاف ما لو تعاطى مايخالف استعداده كالعرقى والبيرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحوا من (٩٠) فى المئـة من الناس يعيشون فى شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ماقدّمناه حجة فى أن هؤلاء متعرّضون بهذا السلوك السيء لأفدح المصائب وأكبر الآلام

الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور محتملا فى هذا السبيل الآلام المختلفة وصنوف الضعف والذبول فما أجدره بقراءة المؤلفات الموضوعة فى الطب الطبيعى لينتشل نفسه من وهدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن يتبع نصائحى يجب أن تـكون له ارادة من حديد . ومما آسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعزّ من

أثمن أنواع الجواهر
إن الطبيعة لترينا ، وحال آدم فى الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذى خص بوجدان غذائه حاضرا أينما سار ، بل أنعم الله على الانسان أيضا بهذه المزية وكفاه مؤنة هذه المشاق التى يحملها نفسه فى تحضير الغذاء ، وفضلا عن أن الانسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غذاؤه بعيد المنال كثير التكاليف أيجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمية تمدّ جيش آلامه وتزيد فى ويلاته على غير جدوى . انتهت النصيحة الخامسة

﴿ النصيحة السادسة ﴾

(إراحة المعدة وإعطاؤها زمنا كافيا للهضم)

(مترجم عن كتاب سرّ الصحة تأليف الاستاذ دو فورست)

« أوّلا » يجب اعطاء المعدة زمنا قليلا ترتاح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس أوست ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء مايليها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدى يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات فى أغلب الأحوال

« ثانيا » كل الأغذية يجب أن تكون خارج المعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضرّ الهضم ضررا بليغا

« ثالثا » اذا كانت الأكلات مستوفاة وتعوطيت فى الأوقات التى تكون قوى الجسم فيها على أتمّ ما يكون (أى فى الساعة ٨ صباحا و٣ ونصف بعد الظهر مثلا) فان أكلتين فى اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جلوسية فاذا كانت الساعات التى عيناها لاتوافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات فى اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و (٧) للمصابين بالحمى أو بأمراض أخرى ممن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون فى السنّ والضعاف والأطفال ممن دون السنة يستثنون من هذه القاعدة

﴿ الضلالات الغذائية ﴾

(عن الاستاذ دو فورست أيضا)

« أوّلا » الأكل بين الأكلات : اذا استسلم الانسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمى معدّ للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل فى كل وقت ، مثله فى ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لايدخل شئ الى الفم بين أكلة وأكلة ولوكان تفاحة

« ثانيا » الأكل بسرعة : اجتنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية المزدردة بل بقدر الأغذية التى يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التى تؤخذ جافة تستحيل الى عجينة بواسطة الأسنان واللعاب

« ثالثا » الأغذية الحارّة جدا تضعف المعدة وكذلك السوائل الحارّة جدا

« رابعا » الأغذية التى تدخل المعدة باردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوّة حيوية لايصالها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يبتدئ هضمها

« خامسا » الأغذية الدسمة (المقاوة على الخصوص) المركبة تهيج الشهوة ولكنها صعبة الانهضام جدا ولاتعطى دما جيدا

« سادسا » الفلفل والخردل والقرنفل والقرفة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهيج المعدة والمجموع العصبى وتحدث نزلات وأمراضا عصبية معدية (بكسر العين) وعللا أخرى وتفسد الشهوة بتمويه الطعم الطبيعى للأغذية

«سابعا» الجبن والمحفوظات فى الخل من الأغذية أى المخللات واللحم ومايستعمل نقلا من الأجسام السمة المركبة وخصوصا اذا أدخل اليه من بيكربونات الصودا وقشدة الناوتر (وهى تتخذ مما يرسب فى براميل النبيذ الخ) لايجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولايجوز أن تكون جزءا من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها فى حالة جيدة ، والمنبهات من السوائل والمشهيات والخمر والشاى والقهوة والشكولاتا هى أكثر ضررا أيضا ، أما التبغ فلايجوز أن يدنس جسم الانسان الذى يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصائح الست والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثانى ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء فى بعض المجلات العلمية تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ الفيتامينات ﴾

(موارد الحياة)

تعددت أبحاث العلماء فى الفيتامينات وأنواعها فنشرت الصحف والمجلات فى أوروبا عنها صفحات عدة فآثرت تلخيص أهم ماعرف عنها لقراء « مجلة النهضة » الغراء وفى نشرها فائدة لاتخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه المعلومات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمورد الحياة وقسموها لأقسام : (ا) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها فى موادّ الغذاء الطازج النيء وهو على حالته الطبيعية ، ومصدر الفيتامين فى هذه الأطعمة هى أشعة الشمس التى لاحياة ولاغذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول فى الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الخ

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطبيعى بدون تحضير كالخضر النيئة والفواكه الطازجة التى لاتدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لاتوجد فى صنف واحد من الغذاء بل هى فى أنواع عديدة من المأكل فيجب على الانسان أن يعدّد أصناف مأكله حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولايستغنى عنها ونقصانها من الجسم أوفقدانها منه تسبب أمراضا عديدة خطرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حبس بعض العلماء بعضا من الحيوانات فى مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوى على الفيتامين وهى بعيدة عن نور الشمس فأصيبت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صغارها أصيبت بوقوف النموّ تماما وضعفت قوّة بصرها وهزلت وهذا تماما مايحصل للانسان ويعرف بداء (أفيتمينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجا يحتوى على الفيتامين خلاف الغذاء الأوّل الذى أعطى لها مدة وجودها بالظلمة استعادت قوّتها وشفى صغارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة فى الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة فى العلب والتى فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعا معرّضين لمرض الاسقربوط ولفساد الدم ولين العظام عند الاحداث فعالجوهم جميعا باعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين و بأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماما فى مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلا يعالجون السنين الطوال دون أقلّ أمل فى الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذى يشفى بعصير الليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولا يشفى بملح الليمون أوشربات البرتقال أوالخضار المغلى على النار ، فثبت علميا أن فى المأكولات الطازجة النيئة فيتامين أوموارد حيوية لاغنى للانسان عنها فى غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة فائدة كبيرة فى شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال فجرّبوا استعمال هذه الزيوت نفسها بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقا فثبت لديهم أن فيها موادّ حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والفول والذرة اذا استعملت نيئة وطازجة (كالفريك) تعطى قوّة عضليـة عظيمة كما هي الحال في آكليها من الحيوانات كقوّة الثور على جرّ الأثقال الخ ومتى طبخت أوخبزت تفقد قوّتها الحيوية بنسبة اتلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت التجارب في الانسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تصيب مثل هـذه الأعضاء في الانسان فاستعملوها نيئة وأتت بفوائد جمة ، منها استعمال خلاصة المبايض والغدد الكلوية والدرقية والخصيتين والثديين الخ

وأخيرا ظهردليل قاطع حديث وهو: عالجوا فقرالدم الشديد الذي يصيب الاحداث من الناس عند بلوغهم وعلى الأخص النبات بجميع أنواع العقاقير والعلاجات فلم يجد نفعا حتى وفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير و بسيط جدا ، فقد عالجوا هذا الداء المسمى الكلوروزا وفقرالدم الشديد بالكبد النيئ الطازج المأخوذ من حيوان سليم وعلى الأخص كبد العجل يأتي بفائدة مدهشة عدّوها في العلم معجزة ، ولكن اذا عولج الكبد بالنار فلافائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

و بعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضي بتعديل طرق الغذاء علميا انتهى من مجلة « النهضة النسائية » ؟

ولقد جاء تلغراف في الصحف أن حكيما روسـيا قضى (٢٠) سنة في التجارب أثبتت له أن الانسان يمكنه أن يعيش (١٦٠) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبي ذلك قال: إنك أثناء إلقائك هـذا الموضوع تبينت لي في وجهك آثار آراء تختلج في قلبك ؟ فقلت نعم. فقال فماذا رأيت في هذا ؟ فقلت: الفيتامين في العلم والدين كالفيتامين في الغذاء ، إن الذي جاش بخاطري في أثناء إلقاء هذا المقال هو أن الأمم الاسلامية التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت في الدين مافعله الناس في الطعام من التجافي عن الحقائق والتباعد عن الاصول والاستغراق في مباحث القشور وظواهر الامور

اللهم إنك أنت العليم بما جناه الناس على أنفسهم في طعامهم إذ أماتوا موادّ الحياة بطبخه ونبذ قشوره ومايسمونه السنّ في القمح ، ومايسمونه النخالة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان مايستلذه الناس من مآكلهم التي اصطلحوا عليها هو المفسدة العظمى لصحتهم ، هكذا فعلوا في الدين ، ذلك انهـم لما تبوّؤا العلم والايمان أخذوا يفعلون في الدين مافعلوه في الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولفه لفا وثيقا يحجب عنـه الهواء والشمس وهكذا زجّ الطعام في النار كل ذلك مضعف لصحته هكذا تهافت الناس على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهـم عقولهـم عن المباحث الشريفة أضعف أممهم وأنزلهـم في الحضيض ، وما الاتكال على الكتب الموروثة التي كانت نتائج انصهار العقول الكبيرة في الأمم الاسلامية الغابرة وعدم تعرّض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد الطبيعية إلا كالاتكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام (كالعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة الاسلامية بعد القرون الأولى) وكالاكتفاء بالملابس التي حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهي لاتغني عنه فتيلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس وهذه الطائفة هي التي تتولى قيادة الأمم الاسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرسه دراسة تامة و بها نفهم كلامه وغير هـذا لايفيد

فقال: لقد نطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض في هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان الموازنة مابين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة ومابين الطعام المطبوخ . فقلت: لاجرم أن النار التي بها نطبخ طعامنا ماهي الاأثر من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفحم الحجري المذكور المشروح في أوّل ﴿سورة

سبأ ﴾ وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لاتقاد النار فيه . والشمس هي المنضجة للحبوب وللفواكه . فلما رأى الناس ذلك قديما ظنوا أن للنار في الطعام آثارا كآثار الشمس من حيث الاصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ماهي إلا ابنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام النائبة عندهم عن الكواكب كما هو موضح في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية ـ ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ـ الخ هكذا فعلوا في الديانات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها عقولهم وأوقدوا عليها نيران ذكائهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء انما استمدوا آراءهم من دينهم مع اضافة تفكرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة الناس فيهما وأوقدوهما نارا بطبخ طعامهم ، وهل تريد هذا بيانا أكثر مما في كتاب « الفرق بين الفرق » وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعى جهل جميع المسلمين ، أولا ترى مذاهب الباطنية الموضحة في ﴿ سورة الكهف ﴾ عند آية ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ وهكذا مذهب البهائية في الفرس والأحمدية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعا أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت النار قوته الحيوية إذن فليرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأمر الواجب اليوم على المسلمين جميعا في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لاحياة لكم بعد الآن إلا بأن يكون القائمون بأمركم من علماء وحكماء وأمراء وملوك أحرص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والتمكن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة على أركان الاسلام المعروفة ، فهنالك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الاصول وهنالك يظهر للاسلام رونق فوق مانحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوخ من الطعام كما قدمنا بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار ربيبة الشمس وابنتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والاقتصار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن يضم اليها دراسة نفس القرآن وماصح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقليد المحض وهو أنقص المعلومات ، هذا ولتعجب أيها الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في فحوى قوله تعالى ـ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ ـ الآية وقال ـ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ـ فانظر الى الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فالمسلم يسمع القرآن والتاريخ المنتشر بين الأمم والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها ووقف عند سماعها فهو غبي فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم الطبيعية وهي تجره الى العلوم الرياضية ليدرس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالعقل فلذلك أعقبه بذكر الأفئدة . فانظر الترتيب محكم في الآيتين . ثم انظر لأمة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على ماسمعوا واتكلوا على الشيوخ السابقين وكلامهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا لايفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضيح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر ﴿ آيتان : الأولى ﴾ ـ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ـ ومثلها آية ـ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ـ ﴿ الآية الثانية ﴾ ـ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ـ . فالأولى لتدبر المسموع والثانية لتدبر المنظور والتدبر لا يكون إلا بالعقل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم بقراءة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع القسمين وهم هم الذين يعقلون كلام الله تعالى ويفهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول ـ ولله

عاقبة الامور ـ

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شفيت صدري وشرحته بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

(في قوله تعالى أيضا ـ قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ✲ إلا عبادك منهم المخلصين ✲ قال فالحق والحق أقول لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ✲ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ـ الى آخر الآيات وتمام السورة)

هذه القصة الآدمية الإبليسية جاء في أوّلها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتنعت الآساد والنمور والسباع عن الخضوع للانسان وتناسلت في البراري والقفار والأودية وتعالى بما أحسّ في نفسه من القوّة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يغوي كثيرا من بني آدم ليطيعوه في أخلاقه فيتكبرون و يفعلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فكل هذه من آثار النيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقتهم وهي الحرص والبخل والشح والطمع والاسراف في المآكل والمشارب وما أشبه ذلك ، فهذا النوع من المعاصي سببه ناجم من أصل خلقته وهي المادّة الطينية ، إذن المعاصي كلها «قسمان» قسم جاء من طريق الغواية وهي آثار القوى الغضبية مشاكلة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جبلة الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوّتان مركوزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا و بعض الطيور اللاتي لا تأكل اللحوم وانما تغتذي بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوّة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنسور وكل حيوان كاسر فقد غلبت عليها القوة الغضبية ، والانسان جمع القوّتين وزاد عليهما قوّة الحكمة والعلم والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأوّل سارع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وتقتله بطنته وتذله شهوته وتستهويه هاويته ويذوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كررت في القرآن لتذكيرنا بما كان عليه أسلافنا القدماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تنزل بنا الرزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد لهذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم تر الى أن بعض العوائد التي لا تزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجلات التي تصدر في دار الهلال بمصر في زماننا ما نصه :

﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولاسيما القاطنين منهم في أعالي النيل وما جاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنوج أفريقية منهم الى أهالي الخرطوم والساكنين في شمالها الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينتسبوا اليهم ويكرمون النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرأة والشجاعة الكبيرة التي يكافحون بها الطبيعة والوحوش الكاسرة القاطنة في بلادهم كالاسود والفهود والقردة الوحشية والنمور العادية والثعابين القاتلة ذات الجسم الهائل والشكل المخيف وهذه الشجاعة تكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى ينتصروا عليها و يدفعوا شرّها عنهم وعن أطفالهم

على أن كثيرا منهم يخرج للصيد في الصحراء فاذا مالاقى فيلا أوثعبانا عظيما أخذ يطارده حتى يتغلب عليه

و يصطاده

و يصطاده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له ولمن عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرنى أحد الضباط انه كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانيين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنحته والظلام مخيما على الطريق وهما فى وسط غابة مزدحمة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما يحسان تحت أقدامهما بلحم طرى" فالتفت الضابط المصرى الى زميله السودانى وسأله : ماهذا يافلان ؟ فنظر الضابط السودانى الى الأرض و بعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبا ثم أمره بالابتعاد وسل" سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تنز" من مكانها فزا فاتحة فيها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع فضربها ثانية وثالثة وهوثابت فى مكانه لايتزحزح حتى قضى عليها وصارت جثة هامدة . و بعد أن تحقق من موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعا وشواها كلها وأخذ يلتهمها التهاما

ومن عادة السودانيين أن يأكلوا الفيل أيضا فيصطادونه ويجعلونه طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقلة ماعندهم من الحيوانات المستأنسة كالخراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا ولاسيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الإبل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بتسعة قروش أوعشرة . ولبعضهم طريقة خاصة فى شى" الخروف أوغيره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعا يدهنون تلك القطع قبل دخولها النار بالفلفل . و بعد تمام شيها يأخذون فى أكلها حارّة و يضيفون فوقها أثناء الطعام بعض التوابل مما يزيد فى حرارتها وحرافتها . ولا تطيب لهم لذّة الطعام إلا اذا كان مضافا اليه جانب من الفلفل والتوابل و يعتقدون أن فى ذلك صحة وعافية وقوّة

واذا تزوّج شخص عملت له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعيف البنية . ولكن بعض الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل و بعده . وطريقتها أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على هيئة شبكة وهوعارى الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تضع فيه المرأة بخورا خاصا يتصاعد دخانه حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه و يتناول بعض الأطعمة المغذية كالفراخ أوالحمام و يمكث على ذلك بضعة أيام يكتسب بعدها قوّة ونشاطا

و بمناسبة الزواج نقول إن بعض القبائل يجرون الزواج عند شيخ القبيلة و يسمونه فى عرفهم (سلطان القبيلة) وتجرى صيغة العقد بين الزوج ووالد الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما فى المصاهرة ثم يدفع الزوج قدرا من المال الى والد الزوجة فيأخذه ويشترى به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين الزوج والزوجة مايوجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وتعدّد الزوجات منتشر فى قبائل السودان . ولكن لايجد الرجل فى ذلك ماينغص عيشه بكثرة منازعات الزوجات فانهنّ كثيرا مايكنّ على وفاق ووئام . والرجل السودانى يحب أهل زوجته حبا يقرب من العبادة ولعل" هذا فى الأكثر هو السبب الذى ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانيين التعاون فى الشدائد والقناعة التى تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن فى غيرها مايوجب النزاع . ومعظم أكلهم الذرة العويجة أوالدخن يصنعون منه (المريسة) وهى طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن سرقة بعضهم بعضا وقليلا ماتقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه فى الطريق و يذهب لقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كما هى لم ينقص منها شئ . وفى المواسم الشهيرة كعاشوراء ونصف شعبان يمدّون طعامهم أمام منازلهم و يسمونه عشاء الميتين والغرض منه اطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ماجاء فى المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين

اذا عرفت هذه القصة عجبت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفاضلة المفقود أكثرها فى الأمصار

العامرة والمدن العظيمة فى بعض بلادالاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ماستسمعه من « اخوان الصفاء » فى المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان و به تفهم أن علماء الاسلام منذ ألف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظما فى العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرون النوع الانسانى بما وقع فيه من الانهماك فى الشهوات الذى كان هو السبب فى ذلهم ذلا لا يختص بالحياة الأخرى فى جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس فى هذه الحياة الدنيا وان كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد عجل لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقها العذاب فى نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر الى آماد وآماد بعد الموت وهذا نصه :

« قال الملك : يامعشر الانس قد علمتم وسمعتم ماقال وفهمتم ما أجاب ، فهل عندكم شئ آخر ؟ فقام انسى آخر أعرابى وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على اننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيأ . قال نعم . قال وما هى ؟ قال طيب حياتنا ولذيذ عيشتنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما هؤلاء معنا شركة فيها بل هم بمعزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها تبنها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كسبها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرغفان والأقراص والجرادق من السميد والملتوت والكعك وغيرها ولنا ألوان الطبيخ من السكباج والاسفيداج والمضائر والهرائس والجوذيبات وألوان الكواميخ وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلاوى والخبيص والقطائف واللوز بيج ، ولنا ألوان الأشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجبين والجلاب والفقاع ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والماست والدوغ والسمن والزبد والجبن والكشك والمصل ومايعمل منها من ألوان الطبيخ والملاذ والطيبات والمشتهيات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بمعزل عنه وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يترنم فقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارئ المبرآت مركب السموات ومولد المولدات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدرى أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ فى حرامها عذاب وفى حلالها حساب وهم فما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكد أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم ومايلقون فى ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحرث والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والدياس والتذرية والكيل والقسمة والوزن والطحن والعجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاساة الدخان وبناء الديكدان ومماكسة القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء فى اكتساب الأموال والدراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والذهاب والمجىء فى الأسفار البعيدة فى طلب الأمتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتكار والانفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فان كان جمعها من حلال وأنفقها فى وجه الله فلابد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه فى غير وجه

الله

الله فالويل والحساب والعذاب اذلابد من القوت والثياب مثل مالابد من الموت والحساب ونحن بمعزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سمائها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة فى غلفها وسنبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين فى الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولاعناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولانحتاج الى كدحوات ولاعناء ولاسقى متعب لأرواحنا ولانحتاج الى بذر ولاحصاد ولادياس ولاطحن ولاخبز ولاطبخ ولاشواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أكلنا قوتنا يومنا بيوم تركنا مايفضل عنا مكانها لانحتاج الى حفظه ولانحتاج الى خازن ولاناطور ولاحارس ولااحتكار الى وقت آخر بلا خوف لص ولاقاطع طريق ننام فى أماكننا وأوطاننا وأوكارنا بلا باب ولاغلق ولاحصن آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأنتم عنها بمعزل وأيضا فان لكم بكل لذة ذكرتم من فنون مأكولاتكم وألوان مشروباتكم فنونا من العقوبات وألوانا من العذاب مما نحن بمعزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام والسرسام والطاعون واليرقان والدبيلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكرة والرمل وعسر البول والجرب والجدرى والثآليل والدماميل والخنازير والحصبة والجراحات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من الكى والبط والحقنة والسعوطات والحجامة والفصد وشرب الأدوية المسهلة الكريهة الرائحة ومقاساة الحمية وترك الشهوات المركوزة فى الجبلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمات للانفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته فان أول الناس أول ناس - وعصى آدم ربه فغوى - ان الانسان كان ظلوما جهولا - ونحن بمعزل عن هذه كلها فمن أين زعمتم أنكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأنتم مادمتم فى الحياة صحيحى البدن ففى تعب وكد لتحصيل الالتماسات والمشتهيات وما دمتم مرضى ففى عقوبة وحسرة وبعد الموت فى العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجملة فمن الموالى ومن العبيد منا ومنكم قال الانسى قد يصيبكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل مايصيبنا ليس هو شئ يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديك والدجاج والبهائم والأنعام أو من هو أسير فى أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه فى أمر مصالحه فامامن كان منا مخلى برأيه وتدبيره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ماتعرض له الامراض والاوجاع وذلك انها لاتأكل ولاتشرب الاوقت الحاجة بقدر ماينبغى من أجل ماينبغى من لون واحد قدر مايسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمتنع من الافراط فى الحركة والسكون فى الشمس الحارة أوفى الظلال الباردة أو السكون فى البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل المأكولات غير الملائمة لمزاجها فاما الذى يخالطكم من الكلاب والسنانير ومن هو أسير فى أيديكم من البهائم والانعام فهى ممنوعة من التصرف برأيها فى مصالحها فى أوقات ماتدعوها طباعها المركوزة فى جبلتها وتطعم وتسقى فى غير وقته أوغير ماتشتهى أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولاتترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو مايعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نسائكم وجواريكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن أكثر ماينبغى من ألوان الطعام والشراب التى ذكرت وافتخرت بها فتتولد فى أبدانهن من ذلك اخلاط غليظة متضادة الطباع فيؤثر ذلك فى أبدان الاجنة التى فى بطونهن وفى أبدان أطفالهن من ذلك اللبن الردىء ويصير سببا للامراض والاعلال والاوجاع من الفالج واللقوة والزمانة واضطراب

البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة وماذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما أنتم مرتهنون بها معرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع ومايعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم ورداءة اختياراتكم ونحن بمعزل من هذه كلها وشيء آخر ذهب عليكم أيها الانسي تأمله وانظر فيه قال ماهو قال ان أطيب ماتأكلون وألذ ماتشربون وأنفع ماتتداوون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فباى شيء تفتخرون علينا وأما الملبوسات الجيدة التي لكم أيضا فهي من لعاب أضعف حيوان وأما أكل لب الثمار ولب الحبوب فنحن مشاركون لكم فيها عندادرا كها رطبة ويابسة فبأى شيء تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل كانا يأكلان من تلك الثمار والحب بلا كدّ ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استئثار ولا جني ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما واخرجا من هنالك عريانين مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقعا في برية قفر لاماء فيها ولا شجر ولا كنّ فبقيا فيها جائعين عريانين يبكيان على مافاتهما من النعم التي كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض والقطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لايحصى عددها الا الله مما قد ذكرنا طرفا منها قبل فلما توالدت وكثرت أولادهما وانتشروا في الارض برّا وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الارض من أصناف هذه الحيوانات أماكنها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبغيتم وطغيتم عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أنتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة وأما الذي ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وماليس لنا من الأعراس والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والتحيات والتهنئات والمدح والثناء والحلي والتيجان والاسورة والخلاخل وماشا كلها مما نحن بمعزل عنها فان لكم أيضا بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفنونا من المصائب وعذابا أليما مما نحن بمعزل عنها فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المآتم وبدل التهنئة التعزية وبدل الالحان والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والايوانات العالية القبور المظلمة والتوابيت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الحبوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدستدان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلي والتيجان والخلاخيل والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطير والنكال وماشا كل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهمّ وحزن ومصيبة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقيا وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وايواناتكم ومنادمتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الانهار وسواحل البحار والطيران على رؤس البساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون بها من حملها واصلاحها وبيعها وشرائها وجمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين ثبت لكم انكم أرباب ونحن عبيدلكم انتهى من اخوان الصفا

﴿ تذكرة ﴾

مما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لى فى أوّل شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أنى أصابنى زكام وامساك وسعال فى آن واحد ، وقد قرأت فى الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الانسان الطعام والشراب يوما وليلة ويصبّ الماء الحارّ الذى يطيقه على رأسه ويسرع بلفها فى كساء حالا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليلة ولكنى سمعت قبيل القيام من النوم قائلا يقول : « ليكن ذلك ٣١ ساعة » فأخرت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تعاطيت الطعام وأخذت أستحم بالماء المسخن كل يوم ثم أتبعه بالماء البارد فذهبت الأمراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم فنجالا واحدا مملوأ بالزيت الحار الدفيء صباحا قبيل الأكل ، فلأحمد الله على صحة هذه التجربة ، وهاأنا ذا أعيش على الخضر والفاكهة مدة سنتين قد أحسست فيهما بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين ؟

﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء فى مجلة « الدنيا المصورة » مانصه

﴿ رجل وامرأة فى جزيرة مقفرة ﴾

من أنباء برلين ان الدكتور بول ريتر كان يمنى نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطرح مظاهر المدنية ويتجرد من أسبابها ويعيش عيشة الفطرة الاولى فى مكان قفر لم تطأه أقدام بنى الانسان . ولكن مالبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش فى جزيرة مقفرة وهى جزيرة شارلز داروين احدى جزر ارخبيل جالاباجوس على بعد سبعمائة كيلو متر من سواحل اكوادور فى أمريكا الجنوبية ولم يصطحب معه فى منفاه الاختيارى الا امرأة واحدة من صديقاته . ومرت الأيام بآدم وحواء الجديدين وهما بعيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر اوجين ماكدونالد رئيس احدى البعثات الامريكية فى جزائر المحيط الباسفيكى . وكان الدكتور ريتر ورفيقته الفراو هلدا كروين قد غادرا هامبورج فى شهر يونيو الماضى ووصلا الى ميناء جواياكيل فى جمهورية اكوادور فى اكتوبر الماضى ومن هناك اشتريا زورقا شراعيا وأقلعا فيه الى تلك الجزيرة النائية حتى وصلاها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء فى جنة الفردوس . وقد نفذا مشروعهما بدقة . وكان الدكتور ريتر قد عوّد نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان فى أيامه السابقة عند اقامته فى برلين يعيش فى منزله عاريا مجردا من ثيابه واذا خرج من منزله خرج فى ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه فى بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلال القمح والخضروات . وكانت زوجته لا تستطيب هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدنية وأطايبها بل هجرته وراحت تعيش فى فيلا منعزلة فى بادن حيث أقامت مع أهل زوجها . و إذ ذاك اتصل الدكتور ريتر بامرأة أخرى وهى الفراو هلدا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقدمت الى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الاولى . وكانت هذه السيدة متزوجة وسعيدة فى زواجها . ولكن الدكتور مالبث أن فتنها بآرائه ومذهبه واستولى على لبها بحديثه الخلاب وأغراها على أن تطالع كتب نيتشه الفيلسوف الالمانى ولقنها تعليمات البوذية ومالبثت أن أصبحت مريدة له مشتعلة بمحبته تطيعه طاعة عمياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدن فى صحبة

امرأة أخرى لم تعارضه فى ذلك بل طلبت له التوفيق فى رحلته . وكان قد قرأ فى بعض قصص الاسفار شيئا عن جزيرة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجهازات والادوات العلمية التى تلزمه فى رحلته حتى صرف كل ما يمكنه فى شراء هذه الاشياء واقترض مبلغا من المال على حساب الميراث الذى يناله بعد وفاة أبيه . ولم يكن يخشى الاشيئا واحدا وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طقما صناعيا . وسافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيعيشان عرايا مثل آدم وحواء فى هذه الجزيرة التى ستصبح لهما جنة عدن . ثم اختفت أخبارهما الى أن اكتشفهما أخيرا رئيس البعثة الاميركية عائشين فى سعادة وغبطة وهناء . انتهى ما جاء فى المجلة المذكورة

اللهم إنى أحمدك حمدا كثيرا على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا مالم نكن نعلم وشرحت صدورنا الى تطبيق آى القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابليس فى سور كثيرة لتذكرنا بما انتاب هذا الانسان من الضعف والوهن والأمراض بسبب مجاوزته لفطرته التى فطرته أنت عليها

فياعجبا : كيف نرى هـذا الانسان يفرح ويفتخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لذته منوطة بذلته . اللهم إن هذه الحال لها بعض الشبه بحال المسيح الدجال الذى من دخل جنته فهو فى النار ومن دخل ناره فهو فى الجنة ، الناس جميعا مغرمون بكل مالذّ وطاب ، وهم جميعهم إلا القليلا منهم يرون ذلك هو عين السعادة مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بطنة ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سنن واحد لا اختلال فيه . الناس جميعا مستلذون بما العذاب نتيجته ، فاذا استلذ الشرهون بكثرة المآكل فالعذاب واقع ماله من دافع فى هذه الحياة ، واذا كثر الاسراف فى الملابس وحفلات الزواج أعقبه الخراب العاجل أو الآجل ، واذا جاءت الأمم المستعمرة وقالت للناس : « هانحن أولاء جئنا لنرقيكم ونسعدكم » كانت نتيجة ذلك إكثار الجهل واذاعة الفسوق والعصيان وشرب الخمر ، لافرق فى ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرهما من البلدان . ألم تر الى ماحدث فى زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوّعين المتبعين لغندى زعيمهم يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البزازين ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوّعون الجند أمامهم شاكى السلاح ليمنعوهم ويأخذوهم الى السجون . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولكنهم يريدون لهم الشرّ والعذاب

فما دخل المستعمر قرية إلا عمها سائر المعاصى والمعاصى محبوبة للنفس ، إذن هى فى ظاهرها جنة وفى باطنها نار ، فالمسيح الدجال وان لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهـذا الانسان ، فالانغماس فى اللذات سواء أكانت مآكل أومشارب أوملابس أو وعودا برّاقة بالرقىّ من الأمم المستعمرة ، كل ذلك نتيجته الهلاك والدمار والعذاب

اللهم أنت حبستنا فى هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأنزلت فى القرآن قصة آدم وابليس لتذكرنا بفطرتنا وهانحن أولاء نظنّ أنفسنا اننا أرقى من المتوحشين فى نظرنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بعوائدنا وأحوالنا وجهلنا . اللهم ألهم المسلمين أن يفكروا فى نظام أرقى من هـذا النظام الحالى فيكون الناس ألفة واحدة نظيفة من الغشّ والخداع والبطنة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمدنيات ويقلّ المرض والطب والقضايا والقضاة ـ إنك سميع عليم ـ انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ نور النبوة فى هذا الزمان ﴾

(فى الفيتامين والطيارات)

وفى قوله تعالى أيضا ـ قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ـ

جاء فى الحديث الشريف : « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال ﷺ « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبوداود والترمذى ، وهذا الحديث والذى قبله من كتاب « تيسير الوصول » المتقدّم ذكره

وجاء فى الجزء الثالث من ذلك الكتاب مانصه : « أمّتى مثل المطر لايدرى آخره خير أم أوّله » أخرجه الترمذى وصححه . وانما ذكرت هذه الأحاديث فى هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أيها المسلمون : إن انتشار الطيارات فى الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوّى بين مسلمى مصر و بلاد شمال افريقيا ومسلمى الهند والصين والعرب وهذا آت قريبا ، ومتى تواصلوا ظهرت عجائب النبوّة . ألاترى أنهم فى الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التوادّ بينهم ولاذلك التألم . ألم تر أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فان الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حولهم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون فى شمال افريقيا فانهم أبوا أن يعينوا اخوانهم ، ألم تر أن المسيحيين فى اسبانيا اجتاحوا بلاد الأندلس ولم يحرّك المسلمون الآخرون ساكنا ! أين الاسلام إذ ذاك ؟ أفلست ترى أن هذا الزمان أى زمان الطيارات التى ستعم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم الكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولاجرم أن المسلمين فى المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويعينهم على ذلك الطيارات بالرحلات والجولات فى الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذى السلك والذى لاسلك له ، فهؤلاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم فى الصين بما يصيب أخاه فى السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هى وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية فى الأقطار النائية تكون أيضا سببا لتبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامّة ويصبح أهل الأرض كلهم كأنهم أمّة واحدة و يعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذن أشبه بالطير من وجوه ﴿ أوّلا ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما نتج من الأرض بغير طبخ ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانيا ﴾ ان الانسان صار يطير كما يطير الطير ﴿ ثالثا ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس فى حاجة الى مدّ يده لغيره ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفورا للجميع ، أوليس هذا هو معنى قوله ﷺ « لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »

ولاجرم أن هذا هو الذى يظهر من أسرار الفيتامين ، فالطيور تقتات بالحب الذى لاضرر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادّة الحياة فابتلى بالأمراض فاحتاج زيد الى عمرو فشرعت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للأمم الاسلامية فهى التى أشار لها حديث الصدقة إذ قال ﷺ كما فى الجزء الثانى من كتاب « تيسير الوصول ، لجامع الاصول » فى الفصل الثانى فى الحثّ على الصدقة إذ قال ﷺ « تصدّقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقة فيقول الذى يعطاها لوجئتنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلاحاجة لى فيها فلايجد من يقبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائى

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليأتينّ على الناس زمان يطوف الرجل فيه

بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها منه » أخرجه الشيخان

فياليت شعرى . أيتها الأمم الاسلامية : لم نزلت هذه الأحاديث ؟ انها نزلت لتثير فى المسلمين الحية حمية الاسلام فنجعل هذه الحوادث نصب أعيننا ونسعى ونجد لبلوغ هذه المنزلة الرفيعة . نحن المسلمين قد تفرقنا فى بقاع الأرض ، فنحن فى كل قطر من أقطارها . فنحن فى أمريكا وآسيا وافريقيا وأوروبا واستراليا . فلنعمم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التوادّ والتراحم . ولنعمر أرض الله مع الأمم حتى تعم البركات والسلام ومتى عمّ ذلك لم يكن للصدقة معنى، وهنالك يظهر سرّ التوكل وتصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . و بالجملة فأمام أمم الاسلام ما يأتى :

(١) تعميم الطيران كالطير والبرق السلكى والذى لاسلك له

(٢) وهذا يترتب عليه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار فى الجسد بالأعصاب وفى الأمم الاسلامية بطرق المواصلات

(٣) فاذا عمروا أرض الله مع الأمم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرىء قوته من غير ادّخار كالطير

(٤) هنالك تردّ الصدقة ولا تقبل

(٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بنار كان الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأمم المستقبلة . أيتها الأمم الاسلامية : هذا هو الذى فهمته فى حديث التوكل ومن حديث الصدقة

(٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سرّ حديث الترمذى المتقدّم الذى شبهت الأمة فيه بالمطر لا يدرى آخره خير أم أوّله ، فهنالك نفهم سرّ هذا الحديث لأن الأمم الاسلامية التى ستظهر بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله ستعرف نعم الله وتفهم هذه الدنيا ، ومتى اتصفوا بالصفات الخمس المتقدّمة كانوا خير أمة أخرجت للناس . فهم يكونون كالصدر الأوّل من الصحابة والتابعين الذين ملؤا الأرض نورا وعلما وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فههنا ست معجزات نبوية أقبلت عليها الأمم الاسلامية وهذا التفسير جعل مقدمة لهذه الحال الشريفة

(٧) وهناك معجزة سابعة وهى ان المسلمين متى شاركوا الأمم فى بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب البحث العلمى أن المآكل التى تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصحّ من التى دخلتها الصنعة وأكثر تقوية لأجسامهم واطالة لأعمارهم فانهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى التغالى فى طهى الطعام الموجب الادّخار . واذن يتركون أخذ الصدقة لاسيما اذا صارت الكرة الأرضية كلها على وتيرة واحدة فى استخراج الخيرات وكان لكل امرىء عمله الخاص به كالطير

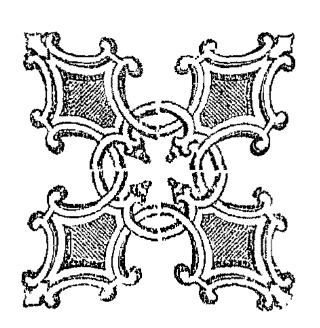
(٨) ولست فى حاجة أن أذكرك أيها الذكىّ بما تقدّم كثيرا فى هذا التفسير من أن هذه الحال هى التى ستأتى فى قوله تعالى — حتى تضع الحرب أوزارها — وهى الحال العيسوية التى فيها تكون الأمم كلها فى حال سلام كما قاله المفسرون

(٩) فهذا هو التوكل الذى أشارت له النبوّة . وهذه هى الانسانية الصادقة فى هذه الأرض . ولما كان الصحابة رضى الله عنهم قد أمروا أن ينشروا الدين وكانت الأمم الأرضية إذ ذاك غير صالحة للسلام العام أنزل الله آيات الجهاد وأباح الغنائم للمجاهدين . ولاجرم أن الغنائم قد أعانتهم على اصلاح الأمم على مقدار الطاقة فى زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وجعلوا تلك الغنائم موقوفة على الشهوات فانحطت تلك الأمم وظهر سرّ حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه فى تفسير ﴿ سورة الأنفال ﴾ وغيرها . إذن للأمم الاسلامية التى جعلت الغنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

بالسيوف

بالسيوف بعد العصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكله وستكون الأمم التى تفهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقاما وأعلى كعبا فى الاسلام ومن يعش يره

(١٠) إن الأمم التى ستتصف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيما يشبه حنث إبليس فى حلفه فى هذه الآية إذ يقول ـ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ـ إذ يكثرفيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى منه . إن الجهالة المحيطة بكرتنا الأرضية كلها (ا) يعبر عنها باغواء إبليس ـ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ـ وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادخار والحسد وهذا يفتح باب العداوات والشرور والحروب (ب) ويعبر عنها بتزيين الشيطان ـ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ـ (ج) وبالازلال ـ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ـ وههنا خرج الناس فى مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطبيعى فانتابتهم الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فانهم أرغموا أن يعيشوا عيشة كلها ضنك وضيق بسبب العادات الموروثة فى طعامهم الذى يتأنقون فيه ومساكنهم وملابسهم وعاداتهم وهم جميعا يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وماهم بخارجين منها ولهم عذاب الذل المقيم بها فى الحياة وبنتائجها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزمر

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى — قل ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم — الى قوله تعالى — من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون — فدنية)

(آياتها ٧٥ — نزلت بعد سبأ)

﴿ هذه السورة ثلاثة أقسام ﴾

« القسم الأوّل » فى تفسير البسملة

« القسم الثانى » من أوّل السورة الى قوله — لقوم يؤمنون — وفيه التوحيد والاستدلال بعجائب السموات وخلق الأنعام والانسان والنبات والينابيع الأرضية ونزول المطر واختلاف الزروع وعجائبها وهكذا

« القسم الثالث » من قوله تعالى — قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم — الى آخر السورة . فيه هيئة النفخ والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

﴿ القسم الأول فى تفسير البسملة ﴾

بالرحمة قامت السموات والأرض وانتظم العالم وبهر الوجود ، فهى كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات مايليق له ويوافى طبعه ويوافق هيكله وهو من الرحمة العامّة أيضا ، هكذا جميع الرحمات تنال المخلوقات منها على حسب استعدادها . وكما أن علماء الطب فى زماننا كما تقدّم مرارا فى هذا التفسير ، يقولون انهم قدّموا للفيران طعام الارز وأبقوها فى الظلمات أياما فضعفت أجسامها وأخذت تقترب من الموت سراعا ، ولما قدّموا لنفس الفيران البرتقال فأكلته وهى فى الظلام لاتقابل ضوء الشمس قويت وانتعشت وصارت ترتع وتلعب . فاستنتجوا من ذلك أن الأرز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فأما البرتقال فانه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الغذائية فقالوا : « إن الارز أكله غير صحى . أما أكل البرتقال فهو مقوّ جدا » والأوّل لم يستفد من ضوء الشمس إلا قليلا والثانى استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوّة حيوية عظيمة منه تنتقل الى الانسان . وقد قالوا إن ذلك فى الارز المقشور . أما الذى بقشره الملاصق للحب فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور الفواكه التى يمكن أكلها مع الفاكهة نافعة صحية للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادّة الحياة جعلها الله فى ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن فى الأغذية وعلى قدر ماخزن فيه من ضوئها تكون نتائجه فى حياتنا ولذلك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس المعرّضة لضوئها أصح وأقوى من المغطاة المحجوبة عن الشمس لأن سرّ الحياة يمتصه الجسم من ذلك الضوء . ولاريب أن استمداد القوّة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوّة وأنفذ وأتمّ من أخذها من الطعام

أقول : كما ان علماء الطب قالوا ذلك ووضح فى غير هذا المكان وهذا فى رحمة خاصة . فهكذا نقول فى الرحمة العامّة فهى تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوابل لها من المخلوقات

فاعجب (ألهمك الله الرشد وأنعم عليك بنعمة العلم وهداك الصراط المستقيم) من طفل لايشعر إلا بما حواه جلده من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من حوله له مسخرون . فلايرى فى أمه إلا أن ترضعه

ولافى أبيه إلا أن يداعبه ويلاعبه ولافى اخوته وأخواته إلا أن يضاحكوه . فهو لايهتم بغير شؤن نفسه . فاذا ترعرع وكبر وصارت له زوجة وولد اتسعت رحمانه ، فبعد أن كانت لاتتعدّى محيط دائرة جسمه أخذت تسع أسرته و بنيه ، وقد يسبغ النعمة على الأهل والجيران بل البلدة بل الأمّة ان كان ملكا بل الأمم كلها إن كان عالما عام النفع . إذن كما اننا رأينا البرتقال امتصّ من الشمس (الفيتامين) قوّة الحياة أكثر من حب الأرز وكانت نتائجهما على مقدارما استفدنا منهما ، هكذا استمدّت نفس الصبي واستمدّت نفس الرجل من الرحمة العامّة (التى أحاطت بظواهر العوالم و بواطنها كما أحاط النور بظواهرها) رحمة خاصة فكانت عند الصبي لاتعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتتسع الدائرة شيأفشيأ حتى ربما بلغت المشرقين وماهى إلا استمداد من تلك الرحمة العامّة كاستمداد الغذاء مادّة الحياة سواء بسواء

وكما ان من الناس من يعيشون و يموتون ولايعقلون من الحياة إلا مايعقله الصبي فى مثالنا ولايهتمون إلا بدائرة أجسامهم ، فحكوماتهم وممالكهم وتعليمهم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا يبالون بالمنفعة العامّة وانما تأتى عفوا من حيث لايقصدون ، هكذا فى نوع الانسان قوم آخرون هم فى الذروة العليا ، علموا من العلم ماحرك هممهم الى المنافع العامّة ، فنفوسهم أشبه بالشموس وعلومهم وأعمالهم أشبه بأضوائها ونتائجهم أشبه بنتائج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر فى الشرق والغرب لاتجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأمم اليوم أقرب الى المادّة ولكن لم يرفع رأس الانسانية إلا أناس وجدوا فى أنفسهم ميلا الى العلم والكشف فهاموا به هياما وانقطعوا له انقطاعا وحبسوا نفوسهم وصبروا على البلواء إيقانا بما هم قائمون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله فى العصور المتأخرة وذلك فى الامور الجزئية من كشف أمر طبيعى أوكيماوى أوفلكى . وفوق هؤلاء وهؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعا الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها وانتهت الى الذروة فصاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لايريدون بالتعليم والتبليغ جزاء من القوم الذين أرسلوا اليهم ولاشكورا . كلا . ولقد ضرب الله لهم مثلا فيما نشاهده فى منازلنا . فانا نرى الأم ترضع ولدها واذا سئلت عن ذلك قالت لاأريد إلاحياته ولامطلب لى وراء ذلك فهذا منها إخلاص وهذا الاخلاص جعل فيها غريزة لاتقدر على دفعها . هكذا الأنبياء و يليهم المصلحون من المؤمنين . ففتش فى نفسك أيها الذكىّ فان رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم انها قد اقتبست هذه الرحمة من الرحمة العامّة واعلم انك نافذ الكلمة وان رأيت نقصانا فسيكون نفعك وآثارك على مقدار ماوصلت اليه من الاخلاص

اذا فهمت هذا فافهم بعض سرّ البسملة فى أوّل سورة الزمر . انها مسبوقة بذكر الاخلاص وما أشبهه مرّتين فى ﴿سورة ص﴾

(١) ــ إناأخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ــ

(٢) ــ إلا عبادك منهم المخلصين ــ

(٣) وقد ذكر بعدها فى سورة الزمر ــ فاعبد الله مخلصا له الدين ــ

(٤) ــ ألا لله الدين الخالص ــ

(٥) ــ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ــ

(٦) ــ قل الله أعبد مخلصا له دينى ــ

ومن هذه الست انه أمر أن يعبد مخلصا الدين لله . وأن يعلن انه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة مع الاخلاص . فهذه الثلاثة من الست المتقدّمة

اذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسملة فى آخر ﴿ سورة ص ﴾ – قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين – واذا كنا نرى المرأة لاتتكلف فى ارضاع طفلها ونعرف الفرق بين إخلاصها فى ارضاعه و بين تكلفها فى إرضاء زوجها الذى تكرهه مثلا ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء فى إخلاصهم فى تعليمهم الأمم و بين أولئك الذين يعيشون فى جلودهم و يحملون الناس كأنهم خلقوا لفائدتهم . المخلصون لايبتغون أجرا على عملهم . فنفس العمل مسرّتهم ولذتهم وسعادتهم وان كانوا فى السجون أوفى النفى كما ترضى المرأة بالسجن والنفى ولاترضى بالامتناع عن ارضاع ولدها ، فهذا مثل تقريبى لآية – قل ماأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين –

هذه الآية نزلت لنعتبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجدّ فى العلم حتى يحسّ فى نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، ولن يكون فى القلب الحبّ العام إلا بمعاودة النظر فى هذه العوالم كرة بعد أخرى فهنالك تترقى عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا اخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المسلمين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) واعداد العواطف للحب

(٣) واعداد اليدين للعمل

اذا علمت ذلك فانظر فى آيات هذه السورة تجدها قد أحاطت بما يعمله المخلصون من المسلمين ﴿ أوّلا ﴾ لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرضين وتكويرليلهما ونهارهما وهذا فى آية – خلق السموات والأرض بالحق – الى – ألاهو العزيز الغفار –

فماذا يقرؤن فيهما ؟ يجدون فى هذين اللوحين محوا واثباتا ، ضوء يمحو الظلام ثم ظلام يعقب الضوء إذن هنا لوحان فيهما محو واثبات كألواح الصبيان فى المكاتب و يرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيحب الانسان مالا وولدا وفتاة جميلة فيجد المال فنى والذرّية يعتريها المرض أوالموت والمعشوقة نحل جسمها أوساء سلوكها أوكبرت سنها و يبس جلدها ، أو يجد نفسه أصيب بأمراض منعته هذه اللذات كلهامع وجودها إذن لافرق بين الظلمات والأنوار و بين الصور المتتاليات فيما نحبه على الأرض ، فلاجميل إلاقبح ولاشابّ إلا كبر ولاصحيح إلامرض ولاغنىّ إلاافتقر ولاحىّ إلامات ولاحبيب إلاأعرض ، وكم غدر الأحباب وأساء الأبناء وأدبر المقبلون وآذى المحسنون

هنالك يقولون : إن هذه الألواح قد استفادت هذه الصور الجميلة من عوالم وراءها كما استمدّ البرتقال قوّة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استمدّت نفوسنا رحمتها من رحمة عامّة . فلننظر إذن ولنقس مالم نعلم بما نعلم . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوّة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوّتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوّة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوّة لم تكن كامنة فيه بل هى اكتسبته من الشمس . إذن فلتكن هكذا نفسى . فاذا كانت طبيعة الأرض عجزت عن أن تعطى البرتقال مثلا و بقية الثمار الفيتامين واحتاجت تلك الثمار الى عالم فوق أرضنا وهى الشمس فاستمدّت منها قوّتها هكذا نفوسنا المخلوقات فى أجسامنا لم تكن فيها الرحمة من نفس المادّة الأرضية هذه التى عجزت أن تمدّ الفاكهة بالفيتامين بل رحمتها استمدّت من رحمة تعم ظواهر المادة و بواطنها ونسبتها الى نفوسنا كنسبة ضوء الشمس الى أغذيتنا وفواكهنا . فاذا احتاجت مادّة الأرض الى ضياء الشمس لتمدّ البرتقال بمادّة الحياة فلتكوننّ رحمة الأم لولدها مستمدّة من رحمة عامّة عجزت عنها المادّة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرقى وأعزّ من قوى الأغذية

واذا صح هذا القياس وان كان اقناعيا فليصحّ القياس الآتى وهوأن هذين اللوحين الأرضى والسماوى

وما

وما صور بينهما من مخلوقات نرى لهنّ جمالا بديعا فى الأنوار وفى الصور الجميلة والوجوه الحسنة والأزهار والزروع فنفرح ببعضها ونعشقها ونهيم بها غراما ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأمس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم وراءها من يرسمها وينقشها ويرقشها ويجندرها ويحسن صورها ويعلؤها بالروعة والجمال ليعطينا دروس الجمال ويلهمنا العواطف ويعلمنا الحب ، ثم لايبقى جميلا أمامنا بل هو يهدم الأرض والسموات ومافيهما . إذن لماذا هذا ؟ ليقول لنا : «أنتم عرفتم أن مادّة الفيتامين فى الغذاء لم تكن من المادّة بل من ضوء الشمس وعرفتم أن الرحمة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه الرسوم والأشكال ولم تبدع هذا الجمال ، إذن الجمال عندى أنا فليكن حبكم لى حبا راجعا الى جمال فوق مارأيتم ، لقد رأيتم آثار الرحمة وأغرمتم بآثار الجمال والنقوش والعلوم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها آثار الجمال لانفس الجمال ، فارتقوا فى الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالى ، هنالك ترون جمالا لاحدّ له وتحبون حبا لانهاية له « ربّ الدار أحبّ الى الزائر من نفس الدار» وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة المجندرة المزوّقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتغريكم بأن تروا من نقشها وصوّرها فأحسن صورها ، فاذا سمعتم قولى ــ الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون ــ فاعلموا أنى أنا الذى أصبتكم بهذه المصائب لأنى أربأ بكم أن تعيشوا فى هذه العوالم التى ليس لها عندى منزلة أكثر من منزلة الألواح للصبيان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدرسوها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبعد أن أريتكم الجمال حرمتكم منه وحرمتكم من كل ماتحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولابد من نقلكم الى عالم آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحقّ بها وفوق كل جميل أجمل منه ــ وفوق كل ذى علم عليم ــ

ليس على الأرض محبوب إلا لخصلة من خصال خمس : أن يكون جميلا أوعليما أوشجاعا أومحسنا أو بينه وبين المحبّ له سرّ مجهول غير ظاهر ، ولاجرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لابقاء لها فى الأرض فمن أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثار أنا خالقها والىّ ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة منى ظهرت والىّ ترجع لتوجهوا حبكم الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوّة ــ وان الى ربك المنتهى ــ

« من ذا الذى يرى عنايتنا التامّة بالحشرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أختها وهكذا الذبابة أربعة آلاف عين وألهمناهنّ كل مايحتجن اليه فى الحياة ! من ذا الذى يرى هذا ولايزداد لنا حبا وبقدرتنا وعلمنا إعجابا ويتمنى لقاءنا» والى هنا تمّ الكلام على اللوحين : لوح الأرض ، ولوح السماء فى آية خلق السموات والأرض ﴿ثانيا﴾ هذه الطائفة درسان : درس خلق الحيوان والانسان . ودرس خلق النبات وانزال الماء فى قوله تعالى ــ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ــ وههنا ذكر الأنعام وعجائب الخلق والاحكام والرحمة الخ وفى قوله ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ــ الى قوله ــ إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب ــ فههنا أظهر المحاسن الباطنة والأنوار الروحانية فى ابداع الخلق الذى لايعرف إلا بالعلم والحكمة وماتقدّم أكثره فى الجمال الظاهر ﴿ثالثا﴾ هذه الطائفة ليلها قيام وصلاة وفكر وعلم حبا لله وشوقا اليه ــ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ــ الخ ﴿رابعا﴾ هم صابرون ولهم مسرات فى الدنيا كما لهم فى الآخرة ــ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا ــ الخ ﴿خامسا﴾ من أخلاقهم التعقل والحكمة فلايقبلون قولا إلا بعد نقده واستخلاص الحقيقة منه ــ الذين يستمعون القول ــ الآية ﴿سادسا﴾ هم خلفاء الله قوّامون على عباده يبشرونهم بالرحمة ويخوّفونهم النقمة ــ قل ياعبادىَ الذين أسرفوا ــ الى قوله ــ ثم لاتنصرون ــ ﴿سابعا﴾ هذه الطائفة تنال الرضا والعلم وانشراح الصدر والهدى وأن الله يكفيهم وذلك فى آية ــ قل هل يستوى الذين يعلمون ــ الخ وآية ــ وان تشكروا يرضه لكم ــ وآية ــ أفمن شرح الله صدره للاسلام ــ الخ وآية ــ الله نزّل أحسن الحديث ــ الى قوله ــ ذلك

هدى الله يهدى به من يشاء ــ وآية ــ أليس الله بكاف عبده ــ الخ ﴿ ثامنا ﴾ يكون جزاؤهم أن يكونوا فى غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحييهم وهنالك يرون ماهوأعلى وأجلّ وهونهاية النهايات إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فتكون لذتهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقدمتها اللذة الحسية فى الغرف التى فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقدّمتان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة فى الآخرة إلا بمقدّمات فى الدنيا بل من لم يدرك بعضها فى الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الذكر اللفظى يراد به أن يكون وسيلة للتعقل . ألم تر كيف يقول الله تعالى ــ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ــ الخ فالذكر اللفظى مقدّمة للفكر والتفكر هو المقصود ومقصوده هوجمال النظام العام ، والعامّة يكتفون بالحمد والتسبيح اللفظيين وينتظرون الثواب فى الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هى التى يدخل فيها أكثرالناس فتكون العبادة لها مقابل وهوثواب الآخرة وهؤلاء يقلّ حظهم العقلى ، أما أولئك المفكرون العارفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة اللقاء والنظر لوجه ربهم ومقدّمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما فى هذا التفسير أو أكثره من العجائب كاف لايجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يسعدون فى نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصلا فى الدنيا وهوالابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأمم وهم خلفاء الله فى أرضه عليهم يعوّل الناس فى دنياهم وفى طريق آخرتهم والانسانية المستقبلة مدارها على أمثال هذه الطائفة

واذا شئت زيادة البيان فاقرأ ماتقدّم عن « اخوان الصفاء » فى جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين فى هذه الحياة الدنيا انهم يفرحون بالوقوف على الحقائق فى عجائب المعادن والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا نقلت جملة عن الامام الغزالى هناك فى نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء فى ﴿ سورة السجدة ﴾ من الكلام على جسم الانسان وموازنته بالعوالم وماجاء فى ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ــ من أن معرفة العجائب هى نهاية اللذات لهذا النوع الانسانى ، وما هذه العجائب إلا آثار الرحمة المذكورة فى البسملة فى أوّل السورة ، وتلك الآثار بمعرفتها يكون الحب والحمد المذكور فى آخرها . فالرحمة أوّلا والعلم والحب والحمد آخرا وهذا من عجائب القرآن

ألست بهذا أيها الذكىّ تفهم سرّ النبوّة إذ روى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم عليه السلام فقال لى : يامحمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »

ولاجرم أن العلوم والمعارف المنطوية فى التسبيح والتحميد هى أعلى الجنة وهذا من عجائب النبوّة . اذا عرفت هذا فاسمع ماجاء فى كتاب « تيسيرالوصول لجامع الاصول » تحت العنوان الآتى مانصه :

﴿ فصل فى الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحولقة ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أوخلتان لايحصيهما رجل إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله دبر كل صلاة عشرا ، ويحمده عشرا ، ويكبره عشرا فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قال : فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان واذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة مرة فتلك مائة باللسان وألف فى الميزان فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة قالوا كيف لانحصيهما يارسول الله ؟ قال يأتى أحدكم الشيطان وهو فى صلاته فيقول : اذكر كذا وكذا حتى ينفتل فلعله أن لايفعل ويأتيه فى مضجعه فلايزال ينوّمه حتى ينام »

أخرجه أصحاب السنن

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يارسول الله لاأستطيع أن آخذ من القرآن شيأ فعلمني مايجزيني ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر ولاحول ولاقوّة إلا بالله . قال يارسول الله هذا لله فماذا لي ؟ قال : قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني . فقال : هكذا بيديه فقبضهما فقال ﷺ أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » أخرجه أبوداود بتمامه والنسائي الى قوله « ولاقوّة إلا بالله »

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه . فقلت له في ذلك ؟ فقال أخبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفرالله وأتوب اليه فقد رأيتها ــ اذا جاء نصر الله والفتح ــ السورة » أخرجه الشيخان

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبّ اليّ مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذي

وعن يسيرة مولاة لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قالت : قال لنا رسول الله ﷺ عليكنّ بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير واعقدن بالأنامل فانهنّ مسؤلات مستنطقات ولا تغفلن فتنسين الرحمة » أخرجه أبوداود والترمذي واللفظ له

وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما أصرّ من استغفر ولوعاد في اليوم سبعين مرة » أخرجه أبوداود والترمذي

وعن أغرّ مزينة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفرالله في اليوم مائة مرّة » أخرجه مسلم وأبوداود ، وفي رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إني لأتوب الى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرّة » وللبخاري والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرّة » قوله (ليغان) أي يغطى ويغشى والمراد به السهو

وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله ﷺ نفعني الله تعالى بما شاء أن ينفعني منه ، واذا حدّثني رجل عنه استحلفته فاذا حلف لي صدّقته ، وانه حدّثني أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول مامن رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ويصلي ركعتين ثم يستغفرالله تعالى إلا غفرله ثم قرأ ــ والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ــ الآية » أخرجه أبوداود والترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قال لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذي

وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من دخل السوق فقال لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفي رواية عوض الثالثة « وبنى له بيتا في الجنة » أخرجه الترمذي

وعن جويرية زوج النبيّ ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : مازلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » أخرجه الخمسة إلا البخارى ، وقوله زنة عرشه أى بوزن عرشه فى عظم قدره ، ومداد كلماته أى مثلها وعددها ، وقيل المداد مصدر كالمدّ

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذى

وعنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لاحول ولاقوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فمن قالها ثم قال « لامنجا من الله إلا اليه » كشف الله عنه سبعين بابا من الضرّ أدناها الفقر . أخرجه الترمذى . وبهذا تمّ الكلام على القسم الأوّل فى تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين ؟

﴿ القسم الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَ صْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ
تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ *
لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ
زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ *
أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً
رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ * فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ *
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَلَيْسَ اللَّهُ
بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(تنزيل الكتاب) وهو القرآن كائن (من الله العزيز الحكيم) أى لامن غيره (إنا أنزلنا اليك الكتاب) ملتبسا (بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك والرياء (ألا لله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) أى الأصنام قالوا (مانعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى) أى قربة فانهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض فيقولون الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان فكانوا يجيبون بما تقدم (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) من أمر الدين (إن الله لايهدى) أى يرشد لدينه (من هو كاذب) فيقول ان الأصنام تشفع (كفار) باتخاذه الآلهة (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) اختار (مما يخلق مايشاء) يعنى الملائكة ثم نزّه نفسه فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) فى ملكه الذى لاشريك له فيه ، فقهره مطلق

فى المخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج الى الولد . كلا . فقهره عام فى العالم العلوى والسفلى ، أما فى العالم العلوى فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل) والتكوير اللف واللىّ يقال كار العمامة على رأسه وكوّرها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار فى تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض . ألا ترى الى الأرض وقد دارت حول نفسها وهى مكوّرة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق الى الغرب يلف حولها طاويا الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتفّ حولها طاويا النهار ، فالأرض كالرأس والظلام والضياء يتتابعان تتابع أكوار العمامة ويلتفان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب مايعلم به أن القرآن يرشدنا الى كروية الأرض أوّلا ويرمز الى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلاليل ولانهار هناك وانما هما فى الأرض فتكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) أى الى منتهى دوره أومنقطع حركته (ألا هو العزيز) الغالب على كل شئ ومنه الشمس والقمر (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة . وأما العالم السفلى فقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أى خلق الله نفس آدم وجعل منها حوّاء وجعل منهما سائر الناس ولم يخلقهم بلاعناية بل أنزل الماء من السماء وأنبت الزرع والشجر وخلق الإبل والبقر والغنم والمعز من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرا وأنثى فتكون كلها ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تتغذى بالنبات والشجر النابتة بالماء النازل من السماء فكأنها كلها نزلت من السماء . وقيل ان هذه الأزواج الثمانية نزلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الحدس والتخمين أن أصول المخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضى والأمر فى هذا غير معلوم فنكله الى الله تعالى . فالعقول البشرية لاتطيق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الانسان والأنعام فى الأرحام ويظهر العجائب فى ابداعهما فقال (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) الذى هذه أعماله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم (فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره على أن الله لم يكلف الناس بالعبادة إلا لرقىّ نفوسهم فأما هو فغنىّ عن عبادتهم وهذا قوله (إن تكفروا فان الله غنىّ عنكم ولايرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الانسانية والعالم كله لارتقائه ونشوئه فلذلك قال — ولايرضى لعباده الكفر — الذى هو مانع من ارتقاء النفوس وان كان بارادته لمانع قام بنفس حقائق تلك النفوس تعلقت الارادة به على ماهو عليه (وان تشكروا يرضه لكم) لأنه على مقتضى سننه القويم العادل وصراطه المستقيم (ولاتزر وازرة وزر أخرى) أى لايؤخذ أحد بذنب الآخر (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (إنه عليم بذات الصدور) فلايخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مسّ الانسان ضرّ دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه بالدعاء لايدعو غيره (ثم اذا خوّله) أى أعطاه (نعمة منه) من الله (نسى ما كان يدعو اليه) أى نسى الضرّ الذى كان يدعو الله الى كشفه (من قبل وجعل لله أندادا) وهى الأصنام (ليضلّ عن سبيله) أى ليردّ عن دين الله تعالى (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) وهى عامّة فى الكفار (أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أى بل أمّن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله — آناء — أى ساعاته ، وقوله — ساجدا وقائما — حالان من ضمير قانتا ، وقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بعمل يجب عليه (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) بعد أن ذكر الله تفضيل المطيع على العاصى وذلك فى القوّة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوّة العلمية فنفى المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع

العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحـد بل بجميع العلوم ، ولاجرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لاتتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحكمية وعلوم يستتبعها عمل كعلم الفقه وعلم قوامه العمل كجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم وقل . فالنجار والخائط والناسج كل هؤلاء صناع والعمل فى صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندس وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ماعرف . وعليه تكون الأمم العالمة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل تابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولاجرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بلفظة تداولت على ألسنتهم وهى انهم مؤمنون . ومتى قال الانسان آمنت وأسلمت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له الفضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العالمة بما هو من طباعها وماتقدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التى قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها واتكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أوالفقه وتركه نذالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبحاله المنزلية الى حرفة الحدادة أوالبرادة فقام الثانى وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثانى أفضل من الأول لأنه قام بما يقدر عليه ولوكان أقل فضلا مما يقدر عليه الآخر الذى لم يقم بما هو فى امكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التعقل والتفكر ودخل فى عدد العجماوات بذلك الاهمال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما فى طاقتها وهو قصر ولذلك قال تعالى ـ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ـ أى عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطلوها وأناموها وهذا نزول من المقصرين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لاقدرة له على الصناعات ولا العلوم وقد سهل الله له الرزق ولم يجشمه المشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير ميسور كرزق الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فاذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده ولكن هذه الآية تعمم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخصص كل فيما خلق له ـ لايكلف الله نفسا إلاوسعها ـ فليقم كل فرد من الأمة بما يوانى طبعه . فحرام على رجال الحل والعقد فى مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس وبلاد المغرب أن يبقوا مكتوفى الأيدى بل عليهم أن يعمموا التعليم ثم ليختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها ويراعى فى ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحينئذ يتخرج فى كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم والصناعات جميعها ويتم النظام كما تم النظام فى تزاوج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا فى الزوجين تقريبا فى كل زمان ومكان . هكذا خلقت الغرائز ـ ولكن أكثر الناس لايعلمون ـ . إن الغرائز خلقت فى الناس على قدر الحاجة فقل الأذكياء للحكمة مثلا وكثر أصحاب الأعمال الجسمية ليتم نظام المدن (إنما يتذكر أولوا الألباب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم ونفوس غيرهم وسيأتى فى اللطائف مزيد لهذا (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى للذين أحسنوا حسنة فى الدنيا كالصحة والعافية ، فجعل الله الحسنة فى مقابلة الاحسان ، فاذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، واذا استقام وترك الذنوب واذا فعل البر والمعروف واذا قام بالطاعات ، كل ذلك إحسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات فى الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفى الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه الاستقامة فى بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد التى فيها معصية الى بلد لامعصية فيها (إنما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجرا لايهتدى اليه حساب الحاسب . وعن على رضى الله عنه : «كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا» ويروى « ان أهل العافية فى الدنيا يتمنون لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل » وقوله (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى أمرت باخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالاخلاص فى الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقتدى به غيره (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه الى اتباع ملة آبائه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون ذلك إخافة لأمته اذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أى لا أعبد سواه وهذا الحصر لا يستفاد من قوله ــ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ــ وأيضا ذكر هذا ليرتب عليه قوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالضلال (وأهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (ألا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى خسرانهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرانهم (ومن تحتهم ظلل) أى لهم أطباق وسرادقات من فوقهم وفراش ومهاد من تحتهم وهى من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم فى النار فهى ظلل بالنسبة لمن تحتهم فراش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (يخوف الله به عباده) ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولاتتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها) بدل اشتمال (وأنابوا الى الله) ورجعوا الى عبادته بالكلية وتركوا ماسواه (لهم البشرى) فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز الصراط . وعند دخول الجنة . وفى الجنة . ففى هذه المواطن السبعة يبشرون بالسعادة والرضوان ويسعدون سعادة بالروح والريحان (فبشر عباد) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة وهى انهم (يستمعون القول) فى الدين وغيره (فيتبعون أحسنه) بحيث يكونون نقادين فيميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقدمون الواجب على المندوب فى الدين والمندوب على المباح . واذا جنى عليهم وقدروا على العفو قدموه على القصاص . واذا رأوا طريقين فى أمور الحياة قدموا ماهو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة فى الزراعة والصناعة كاستعمال الطيارات فى النقل فى الحرب والغواصات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل مابه يرتقى نوع الانسان . فهؤلاء يبشرهم النبى ﷺ بأمر ربه أن يسودوا فى الدنيا وتثنى عليهم الأمم والأجيال المقبلة . واذا ماتوا بشرتهم الملائكة فى المواقف كلها فتتصل البشارة لهم فى سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أى المنتفعون بعقولهم ، فانظر فى هذا التعبير وكيف يقول إن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالعقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يختارون خير الأمرين فى دينهم ودنياهم . أقول : ولو لم يكن فى القرآن إلا هذه الآية لكفت فى ارتقاء المسلمين فى هذه الحياة الدنيا . ألا ليت شعرى كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأمم قد ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا فى هذا العصر من يرقون هذه الأمة من أبنائها ــ ولتعلمن نبأه بعد حين ــ . ولما كان الاستعداد الانسانى هو الذى اليه المرجع فى رقى الانسان وانحطاطه وهو تابع للقضاء والقدر ، فاذا سبق بعذاب على امرىء لم يكن للهداة قدرة على اصلاحه أعقبه بقوله (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أى أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال فأنت تنقذه . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار ووضع ــ من فى النار ــ موضع الضمير إيماء الى أن دعاءهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار المحققة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : للكفار ظلل من النار وللمتقين علالى بعضها فوق بعض (تجرى من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدهم الله ذلك (وعد

الله لا يخلف الله الميعاد)

﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

(والارتقاء الى أعلى الدرجات)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخاله ينابيع فى الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لصدر المؤمن للاسلام وذم الذين قست قلوبهم ، ومدح القرآن وانه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضا فى الحسن ولاتمل تلاوته ، تضطرب منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فناسب أن يذكر نعم الأرض ،كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحببتم الغرف التى فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ اذا كان كذلك وهو حقا مافطرتم عليه فانظروا أنهارى فى أرضكم وتجبوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجارى والعروق التى تخللت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأنبتت الزرع والكلأ والخصب ونفعت نفعا كثيرا ، اذا فكرتم فى ذلك فان قلوبكم تنشرح للحكمة والعلم وتستنير بصائركم بالأنوار الربانية ، فاقرؤا القرآن فهو أحسن الحديث لفظا ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والتمتع بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزروع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكر والجسم بالغذاء والدواء » فانظر كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسبابا لجنات الآخرة وغرفها . أنظر كيف كان التفكر فى جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فياليت شعرى كيف أعرض المسلمون وغفلوا . جنات فى الدنيا أمروا بالتفكر فيها ولاتفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعمك كما ذاقوا مرارة النقمة والاذلال ــ إنك أنت السميع العليم ــ

ذلك قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فسلكه) فأدخله (ينابيع فى الأرض) عيونا ومسالك ومجارى كما يرى للانسان عروق ومسالك فى جسده أى حال كونه ينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة و بياض وكونه برا وشعيرا وسمسما ودواء وغذاء الى ما لاحصر له (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام كل ماتفتت من نبت وغيره (إن فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بحكمة الصانع (لأولى الألباب) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لهم انهم يتفكرون فى هذه العجائب

﴿ لطيفة فى المياه والينابيع ﴾

(الماء الصالح للشرب)

أعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتويا على ماينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضا والمغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

ومما يلزم فى الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا
(٢) وطعمه خفيف
(٣) ومذيب لمقدار من الهواء
(٤) ومذيب للصابون
(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لاتزيد الأملاح فى الماء عن (٥٠) سنتى جراما فى اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة فى الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج اليها والأغذية لاتحتوى على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمغنسيوم المركب أيضا ومركبات من الكلور ومن الفلور ومن السليس انظر كيف جعلها فى الماء الذى نشربه ونحن لاعلم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه شرطا لانتفاعنا بالماء . فاذا نقصت هذه المواد قلّ انتفاعنا بالماء . واذا زادت كانت المياه ضارّة بنا ولم تصلح لشربنا

﴿ المياه المعدنية ﴾

انظر الى الينابيع فى الأرض كيف جعلها الله لتنويع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو فى الأنهر جاريا ساقيا للزرع اذا هو فى مجار تحت الأرض يجرى والناس من فوقها لايعلمون وانما يحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك المجارى فيجدونها مختلفة الصفات وبها يتداوون ومنها يشربون . وكثيرا مايستخرجون من تلك المياه أملاحا نافعة فى الصنائع

(١) — ﴿ المياه الحارّة : مثل ماء فيشى ﴾

ومن المياه ماتكون حرارتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارّة وذلك كمياه فيشى التى درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التى فيها

(٢) — ﴿ المياه الغازية والمياه الحمضية التى تفور بتعرّضها للهواء ﴾

تلك مياه فيها حمض الكربونيك ذائبا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تفور متى تعرّضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

(٣) — ﴿ المياه القلويه : ماء فيشى ﴾

يكون فيها مركبات الصوديوم و بعض مركبات الكربون

(٤) — ﴿ المياه الكلوريه ﴾

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكلور مع البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم وهكذا

(٥) — ﴿ المياه الكبريتية ﴾

مثل مياه مدينة حلوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

(٦) — ﴿ المياه الحديدية ﴾

كمياه (أورتزا) فيها حديد متحد بالكربون

فتعجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى ـ فسلكه ينابيع فى الأرض ـ وتعجب كيف كان فى تلك الينابيع حديد أوكبريت أوكلور والكلور قد علمت فيما مضى انه أحد العنصرين المركب منهما ملح الطعام . أوكربون وهو المادة الفحمية أوغيرهما من المعادن

انظر كيف تسمع الناس فى مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشى أو بماء حلوان أو بالمياه الكلوريه وهم غافلون . لقد صرّف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف نوّع الماء لنستشفى به ! ينظر

الانسان فيرى الماء قد تخلل باطن الأرض وجرى فى عروقها ومجاريها ومرّ على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كلوريه . فيظن لأوّل وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى اذا نظر نتائجها من أنواع الأدوية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى — فسلكه ينابيع فى الأرض — أى ان تلك المنافع التى ترونها فى ماء حلوان وفى ماء فيشى وفى ماء كرلسباد المحتوى على مركب من الكبريت والصوديوم وأمثالها لم تكن مصادفة بل أنا الذى أدخلتها فى الأرض وأمررتها على تلك العناصر وجعلت ذلك للمداواة من الأمراض المختلفة . وانما فعلت ذلك لتتفكروا لتتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضى

فهذا هو معنى قوله تعالى — إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب — فأولوا الألباب هم الذين يعقلون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادّية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالمسلمون اليوم عالة على أوروبا فى هذه المياه وغيرها . فلاهم درسوها وعقلوها . ولاهم استخرجوها وانتفعوا بها . والأمران متلازمان وانما يقلدون الفرنجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء فنسج المسلمون على منوالهم وناموا . فليبين قارئ هذا التفسير للناس عجائب الدنيا حتى يدرسوها وينتفعوا بها ويرتقوا الى الله بالتأمل فى محاسنها . أما الاتكال على الفرنجة فانه عار وأى عار . فأين أولوا الألباب إذن فى الاسلام وأين تذكرهم ؟

لابد انك أيها الذكىّ انشرح صدرك لما رأيت فى الماء من العجائب ولما أدركت من الحكم العجيبة ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى بيان وبصيرة أى أفمن دخل النور قلبه فانشرح وانفسح للاسلام لما يرى من تلك البدائع والعجائب المهيئة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لغفلته وجهالته ✲ وورد أن علامة ذلك الانشراح الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، وقوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) دليل على المحذوف الذى قدرته فى الجملة السابقة . وقوله — من ذكر الله — أى من ترك ذكر الله (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزّل أحسن الحديث) حال كونه (كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وما أشبه ذلك كما تتشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان (مثانى) تثنى وتردّد قصصه وأنباؤه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وهذا ايضاح لكونه متشابها ، فكما انك تجد فى جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان المواد التى تركب منها بلا خطأ ولا خلل فلاهواء ولاماء ولانبات إلا وأنت واجد فى كل جزء منه الأجزاء التى تركب منها وذلك دليل على الاتقان وعدم الخلل والخطأ ، هكذا الكلام الصادق المسوق لغرض واحد تراه أينما حللته يرجع الى الامور التى اذا ركبت وأدرجت فيه تنتج الغرض الذى سيق له الكلام

﴿ حكمة ألمانية ﴾

قال لى أحد الأصدقاء يوما وقد كان فى بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهى : « يجب على المؤلف أن يظهر فى كتابه كما ظهر الله فى مصنوعاته » فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرمى اليه وقد مزج الفكرة بنفسه بحيث يتصرّف فى القول والمعنى تصرّف الله فى المادة حتى انك لترى مقدّماتها ترمى لغايات معلومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفعل فيه فعل الجسم الانسانى فى التصرّف فى الطعام وفعل النحلة حوّلت رحيق الأزهار الى عسل بهيئة منظمة بحيث يحوّل مايقرؤه ويفكر فيه الى صورة ترسمها نفسه كما يحوّل النبات صور العناصر الأرضية الى الهيئة النباتية فتضيع سائر صفات العناصر وتحدث صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور فى الآية ولذلك قال

تعالى ــ ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ــ وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألفت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السير والأحكام ولكنك لم تصقل ذلك بصقالك أنت كانت تلك القصص والأحكام غير متسقة ولامنظمة ونفرت منها النفوس ولم تؤدّ الى الغرض المطلوب كما اذا بقيت الموادّ الأرضية والهوائية مفرّقة غير متحدة فى الصورة النباتية فانها لاتؤدّى المقصود من النبات بل هى تراب وطين مثلا تستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتشمئز وتأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لولم يكن القرآن متشابها بالمعنى الذى عرفته ولولم يكن متشابها مثانى على وتيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار فى القلوب كما لايحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وعلى المؤلفين فى أمة الاسلام أن ينحوا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة له فانها لامحالة تحدث أثرا فى نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى ــ وما أنا من المتكلفين ــ فان المتكلف فى القول لايؤثر فى سامعه ولايحدث فى النفوس خوفا ولارجاء لأن القول مصحوب بآثار نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان فى نفسك والا فلايفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فماله من هاد) يخرجه من الضلالة الى الحق

﴿ ذكر عذاب الظالمين فى الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه صيانة لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون فى النار وغلت أيديهم الى أعناقهم فانهم لايتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قيل لهم فوضع الظاهر موضع المضمر (ذوقوا ماكنتم تكسبون) أى وباله (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) أى من الجهة التى لايخطر ببالهم أن الشرّ يأتى من جهتها (فأذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لوكانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لوكانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلهم يتذكرون) أى لكى يتعظوا (قرآنا عربيا) منصوب على المدح مستقيما (غير ذى عوج) بريئا من التناقض (لعلهم يتقون) الكفر والمعاصى

﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون (ورجلا سلما لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل تستوى صفتاهما وحالاهما (الحمد لله) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لايعلمون) فيشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابد والمعبودين له بعبد اشترك فيه شركاء فتنازعوه واختلفوا وكل واحد يدّعى انه عبده و يستخدمونه فى مهن شتى وهو متحير لايدرى أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يداويه ، فهو أبدا فى حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لامفرّق

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد فى الكفر والايمان يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا فى الدنيا ، وذلك انه

لاسعادة إلا بجمع الهمّ على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لاتكاد تحصر وخطيئاته وسيئاته ومايعتوره من مصائب الدهر كل صباح وكل مساء ، فاذا تفرّق همه على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش فى غاية الشقاء وانما يسعد الانسان اذا عمل كل مافى طاقته ثم هو يكل نتائج الأعمال الى الله وما نابه من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بأنها أجنحة يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على النقمة موجهين لغرض واحد ، فتى نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل متى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام فى غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ماهو عليه كان النظام خطأ ، فاذا أيقن الانسان بذلك لكثرة الدراسة العلمية والتفكر أصبح لايحزن على فائت ولاينتظر غائبا ولا يبالى بمستقبل ولاماض ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما ينالها الانسان فى هذه الحياة ، بل تمرّ غالبا كبرق خاطف أو كفواق ناقة أو جلسة خطيب ، ثم يغلب الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقلّ من تلازمه فى أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) أى بصدد الموت أو فى عداد الموتى (ثم إنكم) أى إنك واياهم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذّبوا ويعتذرون هم بما لاطائل تحته ، ويقول التابعون للرؤساء أطعنا كم فأضللتمونا ، وتقول السادة أغوانا الشياطين وآباؤنا الأوّلون ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقاتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بانهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا انها فى المسلمين أيضا . وفى حديث البخارى أن النبى ﷺ قال : « من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أومال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولادرهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه » وفى مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع . قال إن المفلس من أمّتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »

﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذّب بالصدق) وهوماجاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتفكر فى أمره (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنزلة والمقام أى يكفيهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذى جاء بالصدق وصدّق به) الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدّق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحى والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لهم مايشاؤن عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولايجزيهم بمساويها ، أو يجعل لهم محاسن أعمالهم مثل أحسنها فى زيادة الأجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكارى للتقرير أى جنس العبد فيشمله ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقوله تعالى ـ إنا كفيناك المستهزئين ـ وقوله (ويخوّفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك إياها . وأيضا بعث ﷺ خالدا ليكسر العزّى فقال له سادنها أحذركها

إن لها شدّة فعمد اليها خالد فهشم أنفها . فكأنهم لما خوّفوا خالدا خوّفوا من أرسله وهوالنبي ﷺ (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه مما لاينفع ولايضرّ (فماله من هاد) يهديه الى الرشاد (ومن يهد الله فماله من مضل) إذ لارادّ لفعله كما قال تعالى (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه

﴿ تقرير الآية السابقة باللاحقة ﴾

وهى قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله) لوضوح ذلك بالبرهان (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادنى الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه) أى أرأيتم بعد ماتبين لكم أن الله هوخالق العوالم كلها . ان آلهتكم إن أراد الله أن يصيبنى بضرّ هل هنّ يكشفنه (أو أرادنى برحمة) بعافية (هل هنّ ممسكات رحمته) مانعاتها عنى حتى تأمرونى بعبادتها (قل) يامحمد (حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن الكل منه تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالكم أى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهذا تهديدلهم (إنى عامل) فيما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون ☆ من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أنتم (ويحلّ عليه عذاب مقيم) دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضلّ فانما يضلّ عليها) أى فان وباله لايتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) أى وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت

﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أى يقبضها عند انقضاء أجلها وهوموت الأجساد (والتى لم تمت فى منامها) ومعنى ذلك انه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) فلايردّها الى البدن (ويرسل الأخرى) وهى النائمة الى البدن عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو وقت الموت ☆ روى عن ابن عباس انه قال : « إن فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن فى ذلك) التوفى والامساك والارسال (لآيات) على كمال الحكمة والاتقان وشمول الرحمة وعمومها (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفناء الأجساد وما يعتريها من السعادة والشقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حينا بعد حين الى انقضاء الآجال ☆ وعن علىّ كرّم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة » ☆ وعن سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها »

﴿ لطيفة فى معجزات القرآن فى هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ماقيل عن الأرواح فى هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى حال النوم » ومن موافقته للعلم الحديث ، فهاك مقالة لروح مستحضرة فى المجامع النفسية . قالت ماملخصه : « اذا نام الانسان انطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما فى اليقظة فتتذكر شيأ من ماضيها وتكشف بعض المستقبل وتناجى الأرواح الأخرى فى هذا العالم وفى سواه ، ألاترى الى الأحلام البعيدة التصديق انها ذكرى أماكن وأشياء كان رآها الانسان

أوسوف يراها فى عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالبا وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشدّ جهلكم يابنى آدم ، تجهلون أسهل الامور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وماهى أحلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تدعون انكم تعرفون كل شئ ، إن النوم يحلّ النفس قليلا من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعد الموت من بعض الوجوه وكل من كان أكثر استحضارا واستذكارا لما رأى فى المنام يكون أسهل انحلالا عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العلوية وينتفعون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار (يريد سيدنا محمدا ﷺ فى القرآن) . قال : وكلامى هذا عن الأرواح العلوية ، وأما عامة الناس الذين تبقى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياما على حالة الاضطراب الملاومة لكم فى الاستحضار للميتين حديثا فهؤلاء قلما ينتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكم من امرئ يقابل امرأ فى النهار فيرى فى قلبه انقباضا . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحاديثه وقت النوم فوجده يبغضه . ويرى آخر فيقابله بلهف وشوق نهارا . لماذا ؟ لأنه قضى معه وقت الرقاد ساعات فى صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن للنوم أثرا فى حياتكم اليومية وأنتم لاتشعرون . ثم قال : فالنوم للأرواح العلوية التى فى الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدّى الى السماء حتى يوافيها الأجل وتعود الى مقرّها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان مارآه وقت الرقاد . فلستم تحلمون دائما لأنكم لاتتذكرون دائما مارأيتموه وانما تذكرون مايعرض لكم فى حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشاغل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التى يراها الجاهل والعالم على حدّ سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حذف منها جمل متعدّدة فما بقى منه أصبح لاسياق له . وتستخدم الأرواح الشريرة أحيانا الأحلام لتنكيد الأنفس الضعيفة » انتهى ملخصا

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفكار أومشاغل ازدحمت واما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لامعنى لها واما مغامز شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنتفع وان لم تعلم شيأ عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للاموات هى عينها ماقرأته عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوبا للأرواح معجزة للنبيّ ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن أرواحنا تحادث أرواح الأموات . عقولنا لادليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهانحن أولاء نرى مطابقة العلم الحديث ومحادثة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المعجزة وهذا معنى قوله تعالى ــ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ــ

ثم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) هى الأصنام (قل) يامحمد لهم أتتخذونهم شفعاء (أولو كانوا) أى الآلهة (لايملكون شيأ) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم (قل لله الشفاعة جميعا) أى لايشفع أحد إلا باذنه فلتكن العبادة له لأنه هو الشفيع فى الحقيقة لأنه هو الآذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) لاملك لسواه (ثم اليه ترجعون) فى الآخرة (واذا ذكر الله وحده اشمأزّت) نفرت وانقبضت عن التوحيد أواستكبرت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (اذاهم يستبشرون) يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) فهو موصوف بكمال العلم والقدرة (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين * عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها » وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال : آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية . وفى حديث مسلم انه ﷺ يفتتح صلاته

اذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم اهـ

ثم قال تعالى (ولوأنّ للذين ظلموا مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) وهذا فى مقابلة ـ فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرّة أعين ـ (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى وأحاط بهم جزاؤه ، ثم اعلم أنّ قوله تعالى ـ واذا ذكر الله وحده اشمأزّت ـ الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فاذا مسّ الانسان ضرّ دعانا ثم اذا خوّلناه نعمة منا) أى أعطيناه إياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما أوتيته على علم) أى على علم منى بوجوه كسبه أولأنى أستحقه ، فمثل هؤلاء القوم اذا ذكر الله وحده اشمأزوا واذا ذكر سواه استبشروا مع انهم اذا مسهم الضرّ ذكروا من اشمأزّوا من ذكره ، واذا آتاهم نعمة ادّعوا انها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هى فتنة) أى امتحان له أيشكرأم يكفر فكيف يدّعى انه أوتيها على علم (ولكنّ أكثرهم لايعلمون) ذلك (قد قالها الذين من قبلهم) أى قال انما أوتيته على علم كقارون ومن معه فانه قالها ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى فى ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ومايجمعون منها (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إنّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وانه القابض الباسط . انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف القسم الثانى من السورة ﴾

(١) فى قوله تعالى ـ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ـ الخ
(٢) وفى قوله ـ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ـ الى قوله ـ فى ظلمات ثلاث ـ
(٣) وفى قوله ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب ـ مع قوله ـ فبشر عباد ☆ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ـ ومع قوله ـ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ
(٤) وفى قوله ـ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع ـ الخ
(٥) وفى قوله تعالى ـ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى ـ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ـ)

إن هذا المقام قد سبق شرحه فى هذا التفسير فى ﴿ سورة البقرة ﴾ وفى سور كثيرة بعدها فارجع اليه تره سهلا مبسوطا على قدر مايحتمله هذا الكتاب

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى ـ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ـ)

هذا المقام مشروح مبسوط فى أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع اليه وفى سور بعد ذلك ، ولكن لابد من ذكر مايناسب المقام فى مسألة خلق الجنين فى بطن أمه الذى هو فى ظلمات ثلاث فأقول : لأذكرلك فى خلق الانسان خمسين حكمة :

(١) جعل أعضاءه قطعا لاقطعة واحدة ليسهل له الاعمال بها فجعلها على مقدار الحاجة من قصير وطويل ومستدير ومجوّف ومصمت وعريض ودقيق

(٢) جعل بينها مفاصل فقدّر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطاوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفى العظم وألصق الطرف الآخر بها كالرباط

(٣) ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقرا غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق

(٤) فبهذا صار الانسان يقدر على تحريك شئ من جسده دون غيره فلولا حكمة تلك المفاصل لتعذر عليه ذلك

(٥) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد ألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس فنها ستة تختص بالقحف والباقى فى الأسنان وهى ٣٢ وفى اللحى الأسفل والأعلى

(٦) وجعل الرقبة مركبة من سبع خرزات مجوّفات مستديرات منطبقات على بعضها متصلة بالظهر وعظم العجز والعصعص ، ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف واليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها اتصلت ببعضها وهى ٢٤٨ عظما سوى العظام الصغيرة التى جعلت ليحشى بها خلل المفاصل

(٧) وخلق العين لها أشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق فى غير وقتها

(٨) الأشفار جمال للعين

(٩) شعرها لايزيد ولاينقص ، فلو زاد لأضرّ بالعين وكذلك لو نقص

(١٠) فى مائها ملوحة لتقطيع مايقع فيها

(١١) الحاجبان جمال للوجه أيضا

(١٢) وستر للعين

(١٣) شعرهما كشعر الأهداب لايزيد لئلا يكون تشويها وان نقص ذهب الجمال وقلت الفائدة للعين لأنه يحجب الضوء ويقلله

(١٤) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما ونقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجمال فى طولها أوفى قصرهما فعل الانسان مايراه مناسبا للوسط الذى عاش فيه . لما كان كذلك جعلا قابلين للزيادة والنقص . فاذن جمال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجمال الرأس واللحية يوكل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره

(١٥) الشفتان ستر للفم وهما كباب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه

(١٦) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان

(١٧) هما تفيدان الجمال ولولا ذلك لشوّه الخلق

(١٨) هما تعينان على الكلام
(١٩) اللسان للنطق والتعبير عما فى الضمير
(٢٠) ولتقليب الطعام ولالقائه تحت الأضراس حتى يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه
(٢١) الأسنان مفرّقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقى
(٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
(٢٣) جعلت صلبة
(٢٤) جعل فى الأضراس كبر وفيها مايشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هوالهضم الأوّل
(٢٥) الثنايا والأنياب لتقطيع الطعام مع الجمال
(٢٦) بيض لونها مع حمرة ماحولها
(٢٧) تساوت رءوسها كأنها الدّر المنظوم
(٢٨) فى الفم نداوة محسوسة لاتظهر إلا فى وقت الحاجة فلوانها ظهرت وسالت لكان تشويها للانسان فجعلت ليبلّ بها الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنت ولاألم
(٢٩) فاذا لم يكن أكل ذهب من الريق ماكان زائدا وبقى ماهوللترطيب
(٣٠) الذى بقى للترطيب يبل اللهوات والحلق لأجل الكلام ولئلا يجف ولوجفّ لهلك الانسان
(٣١) الذوق جعل فى اللسان ليعرف مايوافقه ويلائمه فما وافقه قبله واجتنب مالايوافق ، ولولا ذلك لم يفرق الانسان بين الملائم وغيرالملائم فيموت ، فالذوق كخفيرالنحل الذى يجعل عند باب الخلية ليمنع الأجنبى عن الدخول
(٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
(٣٣) شقّ السمع وجعل فيه رطوبة مرّة لتحفظه من الدود ، ويقتل أكثر الهوام التى تريد أن تلج الى السمع
(٣٤) حفظ الأذن بصدفة تجمع الصوت فتردّه الى صماخيها
(٣٥) وفيه زيادة حسّ لتحسّ بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
(٣٦) وجعل فيها تعاريج لترديد الصوت ولتكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فيتنبه صاحبها من النوم . وهناك معان عجيبة فى الأذن تقرؤها فى ﴿ سورة آل عمران ﴾ فارجع اليها تجد هناك شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فانما هى ظواهر
(٣٧) جعل الحنجرة مهيأة لخروج الأصوات ودوّر اللسان فى الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت فى مجار مختلفة تختلف بها الحروف لتسع طرق النطق
(٣٨) جعل الحنجرة مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يتشابه صوتان
(٣٩) هكذا خلق بين كل صورتين اختلاف فلم تشتبه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان : فبالأوّل يميزالسامع بين كل صوتين . وبالثانى يميز بين كل صورتين
(٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضارّ . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع الخمس . وقسم الأصابع بأنامل . وجعل الأربعة فى جانب والابهام فى جانب فيدور الابهام على الجميع . فالابهام يدورعلى الأربعة والأربعة مختلفات طولا وقصرا فصلحت للقبض والاعطاء
(٤١) إن بسطها كانت طبقا يضع فيه مايريد

(٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها
(٤٣) إن ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له
(٤٤) وان بسطها وضمّ أصابعه كانت مجرفة
(٤٥) خلق الأظفار على رؤسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لاتضعف
(٤٦) يلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لاتتناولها الأنامل لولاها
(٤٧) يحكّ بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فلوعدمها وظهرت به حكة لعجز عن دفع مايؤلمه ولايقوم غير الظفر مقامه فى حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولارخو كرخاوة الجلد ، فلذلك صلح للحك
(٤٨) والانسان يهتدى بظفره الى موضع الحاجة فى الحك ، أما غيره فلايهتدى لذلك إلابشق الأنفس
(٤٩) يطول الظفر ويقصر كما تقدّم فى شعر الرأس واللحية ليبقى منه مايحتاج اليه لحاجته ويقص الباقى وهذه يقدّرها الانسان باختياره وهو الذى يراعى الحاجة فى ذلك
(٥٠) كل ذلك قدّره الله للانسان وابتدأ خلقه فى بطن أمّه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا فهما لحار من هذا الوجود الذى لم يعرفه ولم يعهد مثله وهو مع ذلك يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولا وموضوعا معصبا بالخرق ومسجى فى المهد وهو فى أشدّ الحاجة الى ذلك لضعفه فلاتهنأ له حياة ولاتحسن تربيته ، فلما خلق غير مميز سهل الأمر وأعطى التمييز شيأ فشيأ حتى يكون رجلا كبيرا

فهذه نبذة من آلاف من الحكم التى أودعها الله فى خلق الانسان ذكرناها لتكون تذكرة لك فى هذا المقام ولينشرح صدرك بالعلم وليعطيك صورة من الملاحظات الدقيقة ولترى اننا مغمورون فى حكم وعلوم وعجائب وطول الأنس بها واعطاؤها لنا دفعة واحدة هو الذى أذهلنا عن تعقلها ، فما أجمل العلم وما أبهج الحكمة ـ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر إلا أولوا الألباب ـ

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ الخ وقوله ـ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ـ وقوله ـ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ـ)

تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل البشرى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعل للمحسنين حسنة فى هذه الدنيا والمحسنون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطلوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم والعلم لايكون مفيدا إلا اذا تولاه النقاد وبحثوا فيه ، والا فكيف يتبعون أحسنه أى كيف يتبعون أحسن القول الذى سمعوه إلا ببصيرة نقادة . اذا تمّ ذلك فان هؤلاء محسنون أحسنوا الاختيار . والمحسنون هم فى هذه الدنيا حسنة

يا أمّة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذى أنزله على نبيه ﷺ :
(١) فعلى المسلمين أن يكون لهم لجان تبحث فى الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء أخصائيين فى العلوم المختلفة
(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التى عرفتها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون فى المستقبل ثم يميزون بعقولهم النيرة وبصائرهم النقادة ماهو أكثر نفعا للامة فيأمرون باتقانه

واستعماله ومالیس كذلك فيتركونه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم مافوق هذه الغبراء وماتحت الثرى من علوم الطبقات الأرضية وما فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درّية وما بين ذلك مما كان ومما يكون

(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين فى هذه الدنيا حسنة وهذه الحسنة ليست عند المسلمين الآن ولكنهم فى زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقرؤن ، ونعمة ربهم يتقبلون فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى — لا يكلف الله نفسا إلا وسعها — فى سورة البقرة ، فهناك بسط للمقام أوفى ، ولأكتف بهذه الجوهرة :

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون — ﴾

إن هذه الآية تفتح باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التى ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، خذ لذلك مثلا : هذه دولة اليابان منذ سنين غلبت الروسيا وكانت الأولى لا تبلغ فى العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الأسيوية التى تعدّ بمئات الملايين أقل علما وصناعة من أوروبا والكثرة العددية لا تغنى عنها شيأ ، هذه بلاد جاوه وسومطره وماحولها من جزائر الهند الشرقية قد احتلتها هولنده التى تعدّ على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعدّ بعشرات الملايين ولكن القليل غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى — قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث — وليس معنى هذا أن هؤلاء خبثاء وهؤلاء صالحون وانما ضرب لنا الآية هنا مثلا لا نصا فهنا الاختلاف بالقوّة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون — . إذن ليست الكثرة بمغنية فتيلا أمام العلم ، فهاهوذا الانسان قليل العدد أخضع الحيوان مع كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات المفترسة قليل والحيوانات التى خلقت لغذائها كثيرة الذرّية . فإذن قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصى ☆ إنما العزّة للكاثر

لا يصح إلا اذا اتفق الخصمان سلاحا وعلما ، أما اذا فاق أحدهما فى علمه وصناعته فهنالك يختل الميزان ويصدق عليهما قول الله تعالى هنا — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون —

اللهم أنت المعلم ولو أردت تعليم المسلمين لقيضت لهم عقولا فاهمة تقول لهم إن الفعل هنا لم يذكر معموله فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاظنا بالحرب والاحتلال) من أمة اليابان الذين قلدوهم وارتقوا مثلهم ، فهلا كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس من المخجل المعيب أن الجهل اليوم لا ينطبق إلا على أمة أنزل الله فى كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم لا يسمعون ، ويقرؤنها وكأنهم لا يقرؤن ، هذه الآية تليت علينا فى كتابنا المقدّس فلم نعمل بها ولكن اليابان استخرجت معناها من عقول علمائها وعملت به فارتقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين الأمم وقد آن أوان مجدهم ورقيهم والحمد لله رب العالمين

ثم اعلم أيدك الله أن الأمم الاسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصحهم لم يجاروا الأمم فى رقيها . أولا يعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت فى عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت نهضتها مصاحبة لنهضة مصر فقد دخلت العلل فى تعاليمها فوقفت أمدا وهاهى ذه تريد ارجاع سنة الرقىّ كرة أخرى . وقد جاء فى جريدة الاهرام هذه السنة مانصه :

﴿ المحصول الأدبى فى ألمانيا ﴾

دلّ الاحصاء فى ألمانيا على أنه يوجد فى كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة فى ألمانيا (٢٤٨٦٠) كتابا فى سنة ١٩٢٧ فنزل هذا المقدار فى سنة ١٩٢٨ الى (٢٢٩٥١) كتابا ومع ذلك فان ألمانيا لاتزال أكثر الأمم انتاجا للكتب . ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد فى الأدب و٢٣٠٠ فى الفنون و٢١٠٠ فى الدين و٢١٠٠ فى كل من السياسة والعلوم والاقتصاد الخ اه

واذا أردت أن أكتب فى معنى هذه الآية وجب أن استحضر كل ماتقدّم فى التفسير . إذن كل ماتقدّم وماسيأتى تفسير لها ، فقضية العلم والجهل قضية الحياة والموت بعينها ولكن لابد من ذكر نبذة فى الطب ، وأخرى فى الاقتصاد ، وأخرى فى التعليم العام إيفاء لبعض الحقوق التى تقتضيها الآية ، فههنا ثلاثة فصول :

﴿ الفصل الأول فى نبذة فى الطب ﴾

جاء فى جريدة الاهرام فى يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالى مانصه :

خطر يهدّد الصحة

(٣٩ مصابا من طعام واحد)

كثيرا مانقرأ فى الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج ! إذن كيف تكون الوقاية فى موضوعنا هذا والفقراء عديدون والجهلاء أكثر ؟ مساكين الناس وخصوصا الفقراء منهم ولاسيما الجهلاء والأطفال الذين يضطرهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات المعروضة للبيع فى الطرقات والحوانيت المعرّضة للأتربة والميكروبات وهى التى جهزت وطهيت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالبا سما زعافا يودى بحياة الكثير أحيانا أوعلى الأقل يجعلهم تحت العلاج أياما

نعم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون ضحية هذا الاهمال ، نعم مساكين هؤلاء الباعة أيضا لأنهم لم يعرفوا للنظافة معنى ولم يقدّروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وغباوتهم وخصوصا اذا تركوا وشأنهم فهم أحرار فيما يعملون كأن أرواح الناس وسلامتهم ليست بشئ فى نظرهم ماداموا يربحون حتى ولوكانوا يعرفون الحقيقة فاذا طفت فى شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامّة العظيمة أوسرت فى حاراتها فانك لاتعدم رؤية هذا يبيع البقلاوة أوالبسبوسة قد سترها الذباب ، وذلك يعرض الكسكسى أوالكشرى قد غطى بطبقة من الأتربة والأوساخ . ولست فى حاجة الى التعرّض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التى يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات . وحسبى فى ذلك أن يستعيد القارئ صورة من هذه الصور التى يراها أحيانا ولاسيما فى الأحياء الوطنية الفقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير ، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والمحافظة على صحتهم ومنعهم ابتياع وتناول تلك المأكولات المضرّة لراحوا ضحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم فى الصباح ويتناولون طعام الافطار فى الخارج ، ولكن هذا البائع لم يعدم أناسا كثيرين يعرض لهم مأكولاته . وكان يوم أمس يوما تجلت فيه صورة صحيحة من هذا الضرر الذى يهدّد صحة الناس ويجعلها فى خطر إذ كان يبيع كشريا كما هى عادته فلم يلبث من تناول قليلا من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مغشيا عليه وآخر لايملك نفسه من القئ ، وثالثا يتلوى من المغص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يعثرون على المصابين فى مختلف الشوارع المجاورة فحملوا بعضهم الى الجمعية والآخر الى مستشفى قصر العينى . ولقد كانت عربات اليد تستعمل فى نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالى وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله . وقد بلغ عددهم جميعا تسعة وثلاثين رجلا وأطفالا وأكثرهم تحت العلاج الآن فى مستشفى قصر العينى وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع ليسألوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتى نظيفة وهاهو انظروا الىّ وأنا آكل منها ، وهنا تناول هـذا البائع من طهيه فلم يكد يستقرّ فى جوفه حتى ظهرت عليه أعراض التسمم ولحق باخوانه ، والبوليس ينتظر شفاءه لاتمام التحقيق معه ، ولعله لوسئل بعد ذلك لقرّر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرنى هذا الحادث بحادث يضارعه فى الاسكندرية إلا ان البائع كان مغربيا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعالجوا هذا الموضوع شأنهم فى كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ فى الحياة اهـ

فياليت شعرى : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضارّ يمنع من تناوله . ثم انظر ماجاء أيضا فى « مجلة طبيب العائلة » تحت العنوان التالى مانصه :

﴿ مضارّ الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا مرّ بمدرسة فى الصباح قبل موعد الدخول أوعصرا عند انصراف التلاميذ الصغار بصر بهم مجتمعين حول بائع الحلوى يتنافسون فى الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التى تحط مع الذباب على الحلوى المعرّضة للغبار ولما هو أشدّ فتكا من الغبار . وليس الأمر قاصرا على هذه الجرائيم وحدها وانما هذه الحلوى فى ذاتها تضرّ بالأطفال أبلغ الضرر ولوكانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادّة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسىء الى نموّه الطبيعى وتفسد عمل الأجهزة التكوينية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وعلينا أن نحثهم على تناول الفواكه فهى تحتوى المادّة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد الخ وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسود بين فترة وأخرى دون الاكثار منهما

ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة بغرائزهم ويفضلونها على الحلوى عادة فحرىّ بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعته الصحية فضلا عن ملاءمته لأمزجتهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاى يضرّ بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاى من صنف ردىء لأنه يحتوى فى هذه الحالة على حامض التنيك الذى يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاى جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله

﴿ قائمة الأكل فى المستقبل ﴾

يعرف الناس ماتشتمل عليه قائمة الأكل التى تقدّم فى الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف فى ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكيماوى الانكليزى الشهير الى أن فطوره سيكون شعاع الشمس وغداءه كمية من الهواء وعشاءه قدحا من ماء البحر . وعلى ذلك لن يخشى أهل المستقبل أن يعوزهم مافى الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبحون فى غير حاجة اليه . وسينسون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للانسان ثلاث معدات ليهضم الغذاء الذى تقدّم ذكره وان يكن يرى لأوّل وهلة أنه بسيط وليس يحتوى على مادّة جافة أوصلبة ولكن الانسان لن يلجأ الى التغذية بالتحليل الكيماوى إلا بعد عهد مديد فان البرازيل وحدها إذا أصلحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفى حاصلاتها ثانى سكان الكرة الأرضية . ويوجد فى أفريقيا من الأراضى ما يكفى لأكثر من سكان الأرض الحاليين بعدّة ملايين . فاذا ازداد السكان فى الكرة الأرضية بحيث لم تف بحاجياتهم الحاصلات الزراعية أمكن الاتجاه الى التغذية الكيماوية . ويوجد فى الأرض المواد التى تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى ماجاء فى المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين . تم الفصل الأوّل

ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ماتقدم فى ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أتستبدلون الذى هو أدنى - الخ وآية ﴿الأعراف﴾ - وكلوا واشربوا - الخ وفى ﴿سورة الحجر﴾ عند التلميح بقصة آدم وفى ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفى ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - واذا مرضت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكرك بما يكفيك فى تلك المواضع فارجع اليها إن شئت

﴿ الفصل الثانى فى الاقتصاد وفى جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لذلك إلا بالعلم ، ولقد مضى فى هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فاقرأه فى ﴿سورة ابراهيم﴾ فانك تجد تقصير المسلمين فى أرضهم وجبالهم وأنهارهم للجهل ، وتجد هناك مسألة البحر الميت الذى فيه ثروة تزيد على ماعند المسلمين فى الكرة الأرضية ، والجاهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منتنة حقيرة ولكن العلم هو الذى أفهمنا ذلك ، فالعالم يرى البحر الميت سعادة والجاهل لايعقل ذلك . إذن لايستوى الرجلان والمسلمون اليوم هم الأمة التى بقيت وحدها فى الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلابد من تعميم التعليم وذلك هو الفصل الثالث الآتى قريبا

فلأذكرلك أوّلا التعليم فى جامعات أوروبا حتى نعرف كيف نرقى المعاهد الدينية فتشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب فى فوائد التعليم الاجبارى ، ثم ما كتبوه فى توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

﴿ الفصل الثالث فى التعليم ﴾

﴿ فى الجامعات الأوروبية ﴾

(حديث مع مدير جامعة لوزان)

جاء فى جريدة الاهرام فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ مانصه

رأيت أثناء رحلتى الصيفية أن أعرف شيئا عن أحوال الطلبة المصريين فى أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو ماض فى الزيادة عاما بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنويا وأحيانا شهريا من خريجى المدارس العليا والخصوصية ومن موظفيها وعمال ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التى بدت من الطلبة ومن ولاة أمورهم لاشباع استعدادهم من علوم أوروبا وآدابها ولغاتها ومنتدياتها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم فى أوروبا من تعليم ومسكن ومعيشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف أولولاة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين فى أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتلوهم من يتعلمون القانون ، ثم يجىء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عددا قليلا من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يطردهم أولياء أمورهم من مصر اليها لاللعلم . ولكن لامضاء الوقت فى اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم اهمالا يبلغ من بعضهم انه يعيش فى باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والتفاهم باللغة الفرنسية . ولايعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أى شخص فى شهر أوشهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يضر سمعة مصر . لأنه النفر الذى يغشى الاندية والمجتمعات والملاهى . أما الأكثرية المكبة على التعليم فهى لاتختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أساتذتها . فلايعرف الجمهور الاوروبى الناضج عنهم شيئا . ولذلك لاتستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تشريف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديد رغبتهم فى التعليم لايكون معهم المال الكافى للدخول فى الجامعات والاستمرار . أولايكون معهم التحصيل العلمى اللازم

للدخول فى الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة بغير استفادة ، مع اتعاب ادارات البعثات المصرية والمفوضيات والقنصليات فى اعانتهم ونصيحتهم وكتابة الخطابات عنهم الى وزارة المعارف للتصرف فى شأنهم . كما أن الطلبة الفقراء يشغلون أنفسهم بارسال خطابات للأمراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون معونتهم ونادر جدا جدا أن يجاب ملتمسهم . و يلاحظ أيضا ان طلبة مرضى بعلل باطنية أو وقتية يأتون الى أوروبا فيزدادون ضعفا و بعضهم يموت أو يعود ضعيفا هزيلا . لهذا ألفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف وصحة وافية والا كان الذهاب مضيعا لاخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبى فى أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالحالة فى مصر اذ يستطيع الاجنبى المعدم أن يشتغل و يعيش بسهولة لا يجدها المصرى نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا المحل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهى فى قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . و يلاحظ ان جامعات أوروبا قديمة فى انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطوّرت الى أن صارت جامعات مدنية . ولو أن الازهر دارج النهضة الفكرية فى مصر لكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا لمشروعات اصلاحية للازهر تارة تعتبر متطرفة وطورا تعتبر مجحفة بالدين . حتى صار الازهر فى حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بينما كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . فى سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الاكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت فى البناء المخصص الآن لكليتى الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفى المدة التى سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة فى نظامها ليس المقام متسعا لبيانه . بعد ذلك قسمت الاكاديمية الى ثلاث كليات : كلية للاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيف أساتذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسيولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجين

أما جامعة لوزان كما هى اليوم فقد أنشئت بأمر عال فى ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عدل بقانون فى ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسى الأساتذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ ـ كلية اللاهوت البروتستانتى ٢ ـ كلية الحقوق ٣ ـ كلية الطب ٤ كلية الآداب ٥ ـ كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمى .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحسابية والطبيعية ومدرسة الصيدلة ومدرسة المهندسين و يبلغ عدد أساتذة الجامعة الآن ١٢٩

وقد أنشئت كلية الآداب فى سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهى على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستمر الفصول ستة أسابيع فى يوليو وأغسطس . وتعطى شهادة للطلبة المستمعين المواظبين

وللجامعة جمعية عمومية من جميع الأساتذة . وهى تعين رئيسها الذى يكون مديرا للجامعة مدة سنتين و يختار عادة المدير بالدور بين عميدى الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأساتذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . والمدارس الملحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كمدير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوى ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضى كبير متواضع فى مستهل العقد الخامس من حياته قابلنى فى الجامعة خصيصا مع أنه كان فى أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط الدخول فى جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هى نفس الشروط اللازم توفرها فى الطلبة السيويسريين . انما الطلبة الاجانب الذين لم يتلقوا تعليما جامعيا منظما مثل تعليم جامعتنا يجب أن يمضوا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لمنصب الاستاذية ؟

ج : اذا خلا كرسى استاذ بالجامعة فان مجلس الدولة (هنا مجلس المقاطعة) يختار أستاذا خلفا له من الاشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليما فائقا فى المادة التى كان يدرسها الاستاذ السابق

س : من الذى يتولى الانفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالانفاق على الجامعة . على أن للجامعة ايرادها الذى يبلغ حوالى مائة ألف فرنك فى السنه

س : مادرجة اقبال المصريين على جامعتكم وماهى المواد التى يفضلونها وما أحوالهم ؟

ج : منذ سنين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعية منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاما بعد عام . ويبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

✡✡✡

﴿ فوائد التعليم الاجبارى ﴾

جاء بجريدة الاهرام فى يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ مانصه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولعا بالتعليم العالى حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتحداه يوما كبار رجال التعليم فسألوه عن التعليم الأولى ، فأجاب :

لو جبرنا على أن نختار أهون الشرين ، الغاء التعليم الاولى . أو ابطال التعليم العالى فى الكليات والجامعات لتخيرنا الثانى بغير تردد . خير لنا أن يكون مجموع افراد الامة . رجالها ونساؤها ملمين بالقراءة والكتابة . مستنيرين قليلا . من أن نحصر العلوم العالية فى فئة قليلة . ونخلق من خريجى الجامعات أقلية من افراد أرستقراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن نترك سواد الأمة جاهلا كالدواب وتثقف طبقة غنية تثقيفا عاليا ، كما هى الحال فى بعض بلدان أوروبا (فى ذلك الحين) ان كل أمة تنشد الديموقراطية والنجاح قبل الغاء الامية . تعرض ذاتها للمات عظيمة وتجعل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الاوّلى على بساط البحث والمناقشة . فى مؤتمر التعليم الدولى الذى عقد فى فندق كارلتون بارك فى جنيف هذا العام (عقب مغادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور منرو . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر الفلبين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشدّ اهتماما بالتعليمين الثانوى والعالى منها بالاولى . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوة طبقة من المتعلمين الذين تولوا الزعامة فى تلك البلاد . بين شعب أغلبيته الساحقة تمرغ فى حماة الجهالة وأكثريته تقتله الامية . ولايشك أحد فى أن استغلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طعمة له . من أكبر الاسباب فى تأخر الشرق وانحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة قالتها آنسة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقعا فى نفسها من أقوال الرجال . فى مؤتمر الاتحاد العالمى للتربية الذى عقد أيضا فى جنيف عقب المؤتمر . سابق الذكر . ألقت الدكتورة مرغرينا كامبس الاسبانيولية . خطابا ضافيا عن الامية والمحافظة على القوانين ادلت فيه بارقام ناطقة عن البلدان التى يزداد فيها ارتكاب الجرائم بنسبة الامية . وأشارت الى هولندا

والدانمرك

والدانيمرك والسويد والنرويج التى انعدمت فيها الامية منذ عهد بعيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم لدرجة أن فى كثير من ولاياتها لم تنعقد محاكم الجنايات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استتباب السلام والهدوء والسكينة . مما يحدو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك الممالك أقرب الى الملائكة منهم الى بنى الانسان

(٣) وخطب فى الاجتماع عينه دكتور هرمن ليو المندوب الصينى عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه دكتور ريان الاميركى فبحث فى موضوع الامية وتأثيرها فى الكساد الاقتصادى وابان أن تعليم الجمهور القراءة والكتابة أنجع الوسائل لتحسين الحالة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين فى الامة تؤثر فى المتعلمين من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم و يقتل معلوماتهم ولايقوى فيهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آخر ان المدرسة القروية ينبغى أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية فى القرية . كما ينبغى أن يكون معلموها زعماء القرية يرشدون الاهالى الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة فى غير أوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع أهالى القرية للبحث فى شؤنهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاهدت بين مندوبى المؤتمر الذى ألقيت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمى . وكان بين الحضور أيضا الآنسة سنيه غزى ناظرة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ مرسى قنديل ناظر مدرسة سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكروا للقراء شيئا عما فاتنى تدوينه من هذه الاقوال وقد فاتنى أن أذكر أن مندوبا هنديا أراد أن يدافع عن بنى جنسه الذين تغلب فيهم الامية . فأغرق فى الدفاع واسترسل فيه الى حد أنه خيل الى الاذهان انه يحبذ الامية ولا يرحب بالتعليم الاجبارى فاحتد عليه الرئيس وحنق السامعون . وقد مثل الدور عينه فى مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لى حظ حضوره فى الدانمارك . كما علمت من أحد الاساتذة المندوبين عن وزارة المعارف بمصر. تقول الآنسة من انى أريد نشر التعليم بلاقيد ولاشرط (تقصد التعليم الاجبارى طبعا) فذكرنى قولها بكلام وزير معارف روسيا الذى أصدر سنة ١٨٢٤ منشورا يقول فيه . «العلم نافع فقط اذا كان كملح الطعام . يؤخذ منه كميات قليلة جدا . فاذا زاد التعليم وكثر التنوّر انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على الدولة

(٦) وقد فات الوزير المحترم أن الاستعارة تعوزها الدقة والضبط . لأن الملح فى الطعام ينبغى أن يؤخذ حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يفهم منه أن عشرة فى المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين فى المائة لايتذوقونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش فى أوائل القرن التاسع عشر فهو معذور . اما نحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثلث الثانى من القرن العشرين . فما عذرنا ؟ (اقرأ التعليم فى روسيا قديما لمؤلفه دار لنجتون)

(٧) كان غليوم الثانى امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولى رغم انتشاره فى بلاده . وكان من أقواله المأثورة «ان الديموقراطية فى التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لمبادئ الدين والمسيحية» واليوم أصبحت ألمانيا بعده ديموقراطية فى السياسة والاجتماع . فى التعليم والعمل والحياة بجميع مناحيها انتهى

وههنا لابدّ من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعدّ له فأقول : «لاريب أن الله عزّ وجل ماخلق أمة إلا ولها نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه وهذا النظام لاأشك انه يكفل سعادتهم فى الدارين ، ألاترى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقس عليه جميع مايحتاجه الناس فى حكمتهم وصناعاتهم فان بحثوا وجدوا فى ذرّيتهم كل ماينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة

فعرفها الناس ولكنه ستر الغرائز والأخلاق الكامنة لنبحث عنها بأنفسنا . وليعلم الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص نقصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية ولا المنافع المادّية فيجب البحث فى استعداد التلاميذ مع تعميم التعليم وليمتحن كل تلميذ امتحانا خاصا وليوضع فيما خلق له حتى ينفع أمته . ويجب أن لايراعى إلا الاستعداد فابن النجار والجار ربما صلح لادارة الجموع أو للفلسفة أو للطب . وابن الغنى والأمير ربما لايصلح إلا للامور الصناعية . فليوضع كل فى مركزه ثم لتخصص كل أمة فيما استعدّت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ الذى ألفته ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى — ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض —)

قد تقدّم فى التفسير اللفظى بعض عجائب الينابيع :

(١) اعلم أن فى جوف الأرض مياها دلت عليها الينابيع العذبة التى تخرج من قرار البحر فى كثير من محال مشهورة بذلك

(٢) وأيضا تنقذف مياه من جبال النيران عند ثورانها

(٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياه من داخلها

(٤) إن بعض الأنهار تفيض ولاترجع بعد ذلك أصلا فأين ذهب ماؤها ؟ لاشك أنه حبس فى باطن الأرض

(٥) الأرض قد تبتلع جبلا وتظهر بحيرة عظيمة فى محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن ؟ إنه كان فى باطن الأرض

(٦) الآبار الارتوازية التى حول (مود ينه) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رءوسنا أيضا ﴾

فنه السحب والضباب ويكون ثلجا لايتحرّك فيتوّج رءوس الجبال الشامخة ويغشى جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافة . هذه جعلت مخازن لاتنفد فتكون دائما مددا للينابيع والعيون والنهيرات والأنهار

﴿ أسباب الينابيع ﴾

(١) الآثار الجوّية المائية

(٢) ذوبان الجليد والثلج

(٣) رشح المياه

(٤) فعل القنوات الشعرية الأرضية

(٥) جرى المياه جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض

ويوجد فى معظم المحال أحواض صغيرة متفرّقة منعزلة عن بعضها تأتى اليها من جوانبها مياه الأراضى القريبة لها فى قنوات صغيرة تحت الأرض . فاذا فاضت عليها تلك المياه أرسلتها فى قناة واحدة متصلة بحافة من حوافيها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لايكون هناك حوض وانما يخرج من الصخرة تيار يختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

جدا ولذلك تسمى بحسب مايحدث فيها فيقال ينابيع حارّة أو باردة وطبيعية ومعدنية ومحللة وماصة ومحجرة ومقطعة ودورية ومخطة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيماويون والطبيعيون والأطباء بدراستها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائط نفيسة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلمون نائمون . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(فى قوله تعالى _ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون _)

قال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين _ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون _ قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبى سعيد الخدرىّ ولكنه ذكر يوم حنين . وقال ابراهيم مثل ذلك فى مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطبق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا مانزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أى كما يختصم أهل الديانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المتشاجران من المسلمين . هذا هو الذى قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أعلم بكتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اقتتلوا . ولعمرى إن هذا شئ يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اقتتل المسلمون ومات بعضهم وتولى الحكم بنوأمية فماذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقا وغربا وانما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذى يفصل بينهم . أما نحن فواحسرتاه غلبنا الفرنجة فياليت الأمر كان قاصرا على عداوة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اننا اقتتلنا حتى خضعنا جميعا لغيرنا ، فاذا اختصم الصدر الأوّل عند الله فكيف تكون حالنا نحن والفرنجة يجوسون خلالنا ويمنعون العلم عنا ويبعثون فى بلادنا الفساد والضلال والخلاعة والفسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أتدرى لم ذلك ؟ ومن المسؤل ؟ المسؤل هم العلماء والملوك والأذكياء ، سيقف العلماء بين يدى الجبار والعامّة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقية وقلت لكم إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون . أيها المسلمون : فماذا صنعتم ؟ تركتم جبالى فلم تدرسوا مافيها ، وبحارى فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضى فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العامّة : يار بنا ان علماءنا قالوا لنا هذه علوم الدنيا لاعلوم الدين وقالوا لنا كفاكم أن تعرفوا مابنى عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهنتكم فى الدنيا بدخول الأجانب فى بلادكم وسأعاقبكم على تفريطكم . أتحتجون بعلم الفقه وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفايات والعقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفقهون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وأسماع وأبصار ؟ أظننتم أنى أقول _ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض _ لاكتفى منكم فى ذلك برؤية النظر . واذا كان النظر البصرى كافيا فأىّ فرق بين الانسان والحيوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظر الخليل فى ملكوت السموات والأرض كنظر العامّة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أعطيتكم أرضى وأريت لكم سمائى فلم تنظروا ولم تفكروا وقلتم بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا . ألم أقل _ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له ومالهم

من دونه من وال »
هذا ما يقال لمن مضى من بعض الملوك والعلماء . فأما فى المستقبل القريب فللإسلام شأن غريب وأمر عجيب وسعادة وأى سعادة — ولتعلمن نبأه بعد حين — وبهذا تم الكلام على القسم الثانى من السورة

✡ ✡ ✡

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أن هذه اللطائف الخمس كنت كتبتها أيام الكتابة العامة لهذا التفسير . ولكن أثناء طبع هذه السورة قد فتح الله عز وجل بعجائب و بدائع وحكم جليلة فى هذه الآيات ومابعدها . ولما كنت معتادا أن أكتب مايستجد من الفتح رأيت أن أكتب لطائف أخرى أجل وأبدع لهذه الآيات السابقة ومابعدها بعد تمام تفسير السورة قريبا فتدبره اه

﴿ القسم الثالث ﴾

قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي ٱللهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ * بَلِ ٱللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ ٱللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ وَجِيءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

دعا رسول الله ﷺ الناس الى دين الاسلام فقال بعض المشركين قد زنينا وقتلنا وانتهكنا الحرمات فاذا أسلمنا فكيف يغفر الله لنا ومن هؤلاء وحشيّ فانه قال إن من قتل أوزنى أوأشرك يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضا عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفرمن المشركين أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا . وأيضا قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شئ من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولاتبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبطل بالكبائر والفواحش فمن أصاب شيأ من ذلك كنا نقول هلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشي وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكفّ الصحابة رضي الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل ياعبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم) أي تجاوزوا الحدّ بارتكاب الكبائر (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته أوّلا وتفضله ثانيا (إنّ الله يغفرالذنوب جميعا) بالتوبة فان لم تكن فبالتعذيب في الآخرة وذلك للمسلم ويغفرها بمجرّدالاسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هوالغفور الرحيم) ولما كان خيرالأمرين : وهما التوبة والتعذيب في الآخرة : أوّلهما أردفه بقوله (وأنيبوا الى ربكم) أي توبوا اليه (وأسلموا له) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهرالآية المتقدّم ربما يجعل بعض النفوس تغتر بظاهرها أردفه بما يوجب الاحتراس في مثل هذا المقام وعدم الاتكال ، فالدين وان كان واسعا قدحدّد الله فيه لكل امرئ درجة ، فاذا أباح لنا أن نأكل مانشتهي من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن يتساوى المنغمس في الحلال المرتطم في لذاته المباحة ومن هو منفق للمال متصدّق به خادم للجميع بل الأوّل أشبه بالحيوان وأقرب للأنعام وكونه مسلما لايمنع من نقص درجته ، ان الأوّل لايذكر بجانب الثاني ومع ذلك فهو في رحمة الله الذي وسع في ملكه الكلاب والخنزير والنمل والنحل وما أشبهها مع الانسان في الأرض بل ذلك يعدّ كمالا في ملكه لأن الملك الذي خلا من الناقص ناقص ، فما مثل المسلمين يوم القيامة إلا كمثل تلاميذ المدرسة فيهم السابق واللاحق والضعيف . وليس انتساب الضعيف البليد الى المدرسة بمانع من رسوبه في الامتحان واعتباره متأخرا . كلا . بل قال الله تعالى ـ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ـ فأيّ نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكفاك هذا المثال إيضاحا لحال الرجل المقصر في المسلمين ولذلك حضّ الله على الأخذ بالأحسن فقال : لاتتكلوا على المغفرة وتقعدوا كاسلين بل اجتهدوا

وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم المغفرة فلايحملنكم ذلك على الاتكال لأن هـذا يقعد بهممكم وينزلكم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالى . فقد يكون المسلم فى أسفل الجنة و بعض عبيده أوخدمه أوالمساكين من قريته قد طاروا الى العلالى أونظروا وجه ربهم . فلاتتهاونوا فى عمل الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه فتتداركون بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (ياحسرتى على مافرّطت فى جنب الله) أى قصرت فى جانبه أى فى حقه وطاعته فالجانب كناية فيه مبالغة ✲ قال الشاعر

أما تتقين الله فى جنب وامق ✲ له كبد حرّى عليك تقطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه و برسوله و بالمؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لوأن الله هـداني) أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (أوتقول حين ترى العذاب لوأن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فردّ الله عليه قائلا (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت ليست من الله وتكبرت عن الايمان بها الخ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولدا أوشريكا أوقالوا الأشياء الينا إن شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودّة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين ✲ وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى (بمفازتهم) بفلاحهم و بالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المفازة فقال (لايمسهم السوء ولاهم يحزنون ✲ الله خالق كل شئ) من خير وشرّ وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرّف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائنهما واحدها مقلاد أومقليد ومن ملك مقاليد الخزائن تصرّف فيها كما يشاء فهوكناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) مقابل قوله ــ وينجى الله الذين اتقوا ــ (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى أعبد) أى أجهلت فغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان . فتأمرونى جملة اعتراضية (أيها الجاهلون) بالتوحيد ثم هدّد الله المشركين موجها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطنّ عملهم . وقوله (ولتكوننّ من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساد مسدّ جواب الشرط (بل الله فاعبد) ردّ لما أمروه به (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد أى ماقدّروا عظمته فى أنفسهم حقّ تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لايليق به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهنّ مجتمعات مع عظمتهنّ لايبلغن إلاقبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنهايقبضها قبضة بكف واحد والسموات مطويات بقدرته ، والقصد التنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليـه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم (ونفخ فى الصور) المرّة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خرّوا مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وملك الموت ، وحملة العرش أونحوهـم (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهـم (ينظرون) يقلبون أبصارهم كالمبهوتين (وأشرقت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرّب لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما لايضارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أواللوح المحفوظ الذى فيه جميع أعمال الخلق (وجىء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لايظلمون) بنقص ثواب أوزيادة عقاب على ماوعدوا به (ووفيت كل نفس

ماعملت)

ما عملت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شئ من أفعالهم . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أفواجا متفرّقة بعضها فى أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها (وقال لهم خزنتها) توبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من نوعكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى كلمة الله بالعذاب علينا وهى الحكم عليهم بالشقاوة (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) والمخصوص بالذم جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) أى سيقت مراكبهم كالوفود الى الملوك (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) فزتم ونجوتم وطهرتم وصلحتم (فادخلوها خالدين) وجواب اذا تقديره دخلوها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) مكننا مما استقررنا عليه نتصرّف فيه تصرّف الوارثين فيما ورثوه (نتبوّأ من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل منا فى أى مقام أراده من جنته الواسعة (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أى حوله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) ملتبسين بحمده أى ذاكرين له بوصفى الجلال والاكرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق فبعضهم يدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة باقامتهم فى منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

(١) فى قوله تعالى ـ إن الله يغفر الذنوب جميعا ـ الخ

(٢) فى قوله تعالى ـ وماقدروا الله حق قدره ـ الخ

(٣) فى قوله تعالى ـ وأشرقت الأرض بنور ربها ـ الخ

(٤) فى قوله تعالى ـ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق ـ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى ـ إن الله يغفر الذنوب جميعا ـ)

هذه الآية للتنبيه على أنه لايجوز للعاصى أن يظنّ أنه لاخلاص له من العذاب فان ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبائر ، وكذلك من أمن مكر الله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يتب فأمره لله إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى ـ وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ـ)

فى حديث رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فقال يامحمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال ـ وماقدروا الله حق قدره ـ الآية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى ــ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ــ)

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء فى الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يضارون فى نوره كما لايضارون فى الشمس فى اليوم الصحو

كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شئ والعدل التام بالميزان العدل ، ولعمرى إن ماذكر من ذلك فى عالم الآخرة هوالذى يشاهده العقلاء والحكماء فى الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم وعالم أو بين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسمواتنا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محجوب بحجاب غليظ عن أعين أكثرالناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضعاف البصائر فاذا تجلى الله لهم فى عالم بعد هذا أدركوا أن كل أفعاله موزونة ، وهل لك أيها الذكى أن أذكر لك قلا من كل من ذلك الاشراق الذى تجلى به الله فى هذه الدنيا على المفكرين وحجبه عن أكثر الغافلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقر وظلم وعدل ، وتفاوت فى الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضعة ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فاذا أشرقت البصائر أدركت الحقائق فظهرت للمبصرين ، وفى هذا المقام جواهر :

(١) ــ ﴿ الجوهرة الأولى : عدل الله فى عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد تقدم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحلله فى بنيته تحليلا تاما ويأخذ الكربون أى المادة الفحمية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشقه ويدور فى الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب فى جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحلله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويظن العالم (بروفيار) أن مقدار مايخرجه النبات من الاكسوجين يسد مايحتاج اليه الحيوان تماما ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألاترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل أوليس هذا هو نور الله المشرق ؟ يراه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس ــ ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ واذا امتحنوا طالبا أعطوه مسائل من العلوم فمتى أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالما فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وان كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا فى الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذى نعيش فيه ، نعيش فى الدنيا فنرى اننا لانحيا إلامع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لوكنا نحن والحيوان فى الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لا نبات يحلل الكربون الذى يخرج من تنفسنا ويتراكم جيلا بعد جيل فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لذلك الكربون وارساله ما كان مركبا معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها الذكى : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يمر على هذا مر النسيم على الحصباء أوالصرصر على الفضاء . يقرأ كثير من الناس العلوم ولاينظرون نظرة عامة . فالعلوم فى عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لايجمع بينها ولايرى لها صورة جميلة فى نفسه منقوشة على صفحات قلبه يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

(٢) — ﴿ الجوهرة الثانية : العدل بين البرّ والبحر فى النبات والحيوان ﴾

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعنابا وبساتين وأعشابا وجنات ألفافا وزهرا باهرا وجمالا ظاهرا وعجبا عجابا . ينظرون البحر فلايرون إلا ماء أجاجا وأمواجا ثقالا لانبات فيه ولاشجر ولاحدائق ذات ثمر . لكن بعد التأمل والبحث يرى فى البحر كما فى البرّ حقول ومزارع نضرات وأشجار باسقات عجيبات . ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لترى العدل قائما بين الماء والتراب والبحر والبرّ

لوانك ذهبت الى المحيط الهندى والى المحيط الهادى (الباسفيكى) لرأيت هناك شجيرات المرجان الحية ذات الأغصان والفروع مغبرة أومصفرة تسرّ الناظرين أوحمراء كالقرنفل أوزرقاء كالزمرد تتلاعب بها الأمواج وهى لطيفة المزاج لدنة الأعطاف ثم لاتلبث بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها شكل الخاتم أوشكل الحلقة وهى مكوّنة من تلك الأشجار اللينة الأعطاف التى تراكمت وصلبت وصارت صخورا مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء البهجة المناظر السارّة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتخلب لبّ الحكماء . وترى هناك أمرين بديعين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسر على شواطئ جزيرة المرجان وهى زرقاء سوداء لفرط عمقها وأمر الحوض الذى هو وسط الجزيرة الذى يضرب ماؤه الصافى الى الصفرة والخضرة معا . ماء المحيط متقلب يرتفع و ينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد فى وسطها ساكن . وهذه الجزر يقل ارتفاعها عن الماء وسواحلها مكسوّة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرجان الذى تبنى منه الشطوط المرجانية لايعيش على أعمق من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فنها مجموع جزائر تبلغ (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهى جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هى المسماة (بلكاديف) والثانية هى المسماة (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البرّ والبحر فكان نبات فى البرّ ونبات فى البحر ولكن لاتظنّ من قولنا نبات اننا نقول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة فى حال واحدة معا تكون على هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهى حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

(٣) — ﴿ الجوهرة الثالثة : العدل فى خلقة العيون وعدمها وهومن نورالله فى أرضنا ﴾

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولاحيوان إلا وهومحتاج الى العيون ، ولكن ظهر أن من الحيوان ماتكون العين بالنسبة له حملا ثقيلا ولاثمرة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة والقامة مقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القرارية . فضوء الشمس معدوم عندها لأنه لايصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتى قامة وماتحت ذلك فهوظلام حالك . ولذلك لايرى أثرللعيون فى كثير من فصائلها . ومن السرطان نوع يكون له عيون وهوعائش قرب سطح الماء . فاذا عمق مسكنه وصار مابين (١٠٠) قامة و(٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه وقد يبقى له منهما موضع الأثر . ومايعيش منه على بعد (٥٠٠) قامة الى سبعمائة قامة يعدم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عدمت عند عدم الحاجة اليها إذ لاضوء تبصر به وكيف ظهرت فى الحيوان عند اقترابه من ضوء الشمس وعدمت عند عدم الضوء — إن ربك حكيم عليم —

(٤) — ﴿ الجوهرة الرابعة : السمك ذوالمصباح ﴾

وهل أتاك أيها الذكىّ نبأ السمك الذى يعيش فى قرارالبحار فى الظلام الحالك الذى لا تصله الشمس

وهو مع ذلك ذوعينين كاملتين محجبتين تامتين . فانظر كيف يبصر بهما ولاضوء هناك . وقد قلنا إن الضوء لايعدو مائتى قامة فكيف وهو فى أبعد الأغوار ولاضياء هناك . فانظر كيف أبدع الله لذلك الحيوان ماأبدعه لنا على هذه الأرض . ألم تر اننا فى ظلمة الليل نوقد المصابيح الكهربائية والزيتية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لنستضىء اذا احتجنا الى الضياء ونكف عن الاستضاءة اذا أردنا النوم والسكون فيكون الضوء تحت ارادتنا بأفعالنا . أما فى النهار فالضوء عام بغير ارادتنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ؛ أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به الفريسة . و يظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجئ له ليبهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به الفريسة و يطفئه اذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه مايعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتنص العيون والضوء الذى تحت ارادته ليكشف القنيصة ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولاصيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس فى حاجة لذلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا لأعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشبهان بما أعطى السبع من البراثن والأنياب المحددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت فى هذا التفسير أن الحيوانات المفترسة فى البر والبحر رحمة لحفظ البر والبحر من التعفن بالرمم التى تموت فيكون الوباء العام كما أوضحناه مرارا فى هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى ــ وأشرقت الأرض بنور ربها ــ فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولايدرك هذا النور وهو العدل والنظام فى هذه الدنيا إلا قليل وأكثر الناس عن هذا الجمال معرضون

فياليت شعرى كيف يكون كتابنا هذا مقتضاه ونرى المسلم لايقرأ علم التوحيد إلا على نمط مبهم غامض . ألاترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجمال بعيد عن هذا المثال . يقول الله ــ وأشرقت الأرض بنور ربها ــ ويقول ــ إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح ــ والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظر الجميل البهيج

فهذا هو الاشراق النورى فى الأرض وهو نظير الاشراق يوم القيامة فى عالم الأرواح . واذا أشرقت الدنيا على هذا النمط وقد أدرك هذا الاشراق حكماء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أصفى وأبهج وأعدل فهناك فليكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أصفى وأنقى بالعلم والتهذيب والأخلاق كانت الى الوقوف على الحقائق أقرب و بالعلم تعرج الى العلالى والمعارج . ولامعنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان فى الدنيا أكثر علما وشوقا له كان فى الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروجا . وهذا هو :

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى ــ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ــ)

فى هذه الآية ذكر الملائكة وانهم حافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ملتبس بحمد الله وانهم فى مراتبهم التى يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتى فى سورة حم المؤمن وهى ﴿ سورة غافر ﴾ أى فى أوّلها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم الكروبيون يسبحون مع حمد ربهم وأن أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وجميع الملائكة يغدون و يروحون بالسلام عليهم الى آخر ماسيأتى ، فذكر فى هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات الملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لفرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

للعرش

للعرش ووصول أرجلهم للفرش الاحاطة بالعوالم كلها علما وتدبيرا بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم انهم يتلقون الأوامر عنهم فرجع الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو الذى أوجب ذكرهم هنا للمناسبة ، ألاترى أن ماقبلها فيه أن الأرض أشرقت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقوا اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وحمدوا الله إذ أورثهم أرض الجنة ، فههنا حمدان : حمد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا ـ الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض ـ الخ فهذا حمد على شيئين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وحمد الملائكة يحمدون الله حمدا ليس خاصا بأمر يرجع الى أنفسهم أوصدق الوعد معهم . كلا . بل هو حمد على تربية العالم كله علويه وسفليه . وهذا الحمد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين حمدهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أنزلوا مراتبهم وحمدوا محامد عالية شريفة

يجلس أهل الجنة فى الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأنهم مدبرون للعالم وأهل الجنة فى ركن منه وهى الجنة ، والعالم الروحى أرقى من العالم الجثمانى وأجمل فلذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظر الاحترام

إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم فى قوله تعالى ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ . فأهل الجنة من العامة والعلماء بعد الملائكة فلذلك كان حمدهم راجعا للنظام العام . وكلما كان الانسان فى الدنيا أغزر علما بجمال هذا العالم كان أسرع رقيا فى درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلاقرب لله إلا من حيث ازدياد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

(فى آخر سورة ص وأوّل سورة الزمر)

من قوله تعالى ـ ما كان لى من علم بالملإ الأعلى ـ الى قوله ـ فأنى تصرفون ـ

سبحانك اللهم وبحمدك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذى أنعمت بنعمة العلم والعرفان وشرحت صدورنا و يسرت لنا ظهور بعض الحقائق العلمية التى أغفلت عنها أمم وأمم

تبين لى أن أمم الاسلام المستقبلة قد أذن لها أن تعرف من العلم مالا يعرفه كثير ممن سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إن حقائق العوالم والأسرار الكامنة فى القرآن كانت تكشف لأفراد فيكتمونها وجوبا و يموتون واذا كتبوا عنها فان ذلك كان تحت ستار . أما اليوم فانى أرى أن الحقائق ستنجلى للأمم المستقبلة الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم ـ خير أمة أخرجت للناس ـ ونظرة فى المحاورة الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

فى يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضر لدىّ صديق الذى يباحثنى فى هذا التفسير فقال : إن آخر سورة ص وأوّل سورة الزمر فيهما مشكلات حيرت عقلى وأدهشتنى ! إن هذا التفسير قد تجلت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما يأتى :

(١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له ـ فقعوا له ساجدين ـ

(٢) وإذ خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر

(٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ

ولكنه أذله بما يأتى :

(١) أباح لإبليس أن يغوى أكثر ذرّيته

(٢) وحكم على ذرّية آدم أن يكونوا مع إبليس وذرّيته فى جهنم و يملؤها من الفريقين

(٣) ثم إنه فى الرحم يكون فى ظلمات ثلاث

فهو فى الرحم فى ظلمات ، واذا خرج الى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، واذا مات دخل أكثر بنى آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : فى الرحم ، وفى الحياة ، و بعد الموت . فالظلمات متتابعات على هذا الانسان . ظلمات جسمية فى الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت فهذه أمور مشكلات واذا قرأنا ماتخلل هذه الظلمات وجدنا رحمة واسعة إذ جاء فيما بين السورتين « بسم الله الرحمن الرحيم » وهى آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكلة . وكيف تذكر الرحمة هنا والمقام فيه الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرّية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة فى أوّل السورة ؟ هذه مشاكل علمية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الحمد لله . إن بيانك الذى أردت به إيضاح الاشكال أفادنى حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما . أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بنى آدم فى ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين فى الدنيا وهم معهم فى جهنم وأن هذا كله ينافى الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول اذا علمت أن الله لولم يفعل ذلك لم يكن رحيما بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لانقمة وما نظنه فى بادئ الرأى نقمة هو فى حقيقته نعمة لكن بعد الدرس والعلم والله جلّ أن يعطى النعمة لمن لايستحقها وهل يستحق إدراك الحقائق إلاالدارسون . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم ناصعة واضحة وهل يفهمها إلاالعارفون أو يدركها إلا المفكرون الذين درسوا من كل فنّ طرفا . فقال : لقد شوّقتنى الى الجواب وادراك حقيقة هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله الى الطفل فى بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع فى الحجب الثلاث : فى الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلوانه تعرّض للشمس لم يعش بل لوظهر للهواء مجردا من ضوئها لم يعش . فالله عزّوجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة واذلالا وانما منعه ذلك رحمة ورأفة وتحننا فلاحدّ لهذه الرحمة ولولا هذا لم يترببّ فى بطن أمّه . وأنا موقن انك ماذكرت هذا فى الاعتراض إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التى سببها إغواء الشياطين للانسان والا فأنت تعلم وجميع العقلاء يعلمون أن هذه الظلمات فى الرحم نعمة . فالذى دعاك لذكرها انماهو التنبيه على أن هذه الحجب تذكرنا بالحجب العقلية التى تعتريه بعد خروجه الى الأرض وهو يعيش مع الناس . قال حقا هوكذلك . فقلت : وماذا تقول اذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل للاذلال رأيته أنا ضرب مثل للأنعام . فقال : أنا لم أفهم ماتقصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله حجب الجنين فى الرّحم فى ظلمات ثلاث وقد اتفق العقلاء أن هذا رحمة لانقمة ، ذلك لأن الجنين لايقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعا لضعفه فأنت انتهزت هذه الفرصة وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه من النعم . إن هذا الجنين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به اذا خرج الى الأرض حجب بنحو (١٦) ظلمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، ومايقرب من مائة ظلمة عقلية محافظة على عقله والا لاختلّ نظام تفكيره ، فاذا رأينا الجنين حفظ بهذه الظلمات الثلاث فى الرحم فالرجل يحفظ من الهلاك الجسمى بظلمات تبلغ (١٦) ومن الهلاك العقلى بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجنين لوتعرّض للجوّ لمات ، هكذا الطفل والمراهق والبالغ والشيخ إن كان جوّالأرض ليس فيه طبقات من الغبار والذرّات التى تحجب ضوء الشمس وتلطفه وتخففه ثم تكون سببا لانتشاره لكانت الحياة لاتطاق ، فأنواع الغبار والدخان الخارجات من الأرض المعتمات لهذا الجوّ ماهى إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطق الحياة على الأرض ولم ينتظم ضوء الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولاصبح ولاوقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتغرب فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلاتطيق العيون رؤية قرص الشمس صباحا ولامساء ويكون الضوء فجائيا

والظلام جثمانيا . فهذه الحجب والظلمات فى الجوّ نسبتها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنين ومثل ما قلنا فى ظلمات الجوّ النافعات فى انتشار الضوء الموزّعات له على الكرة الأرضية المصلحات لحال أهل الأرض نقول فى وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من تهافت الذباب على طعامنا وشرابنا مع اننا نأكل العسل الذى نشأ من خلايا النحل . فنسبة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدّنا عن الاطلاع على الحقائق فجأة ونحن لانطيقها كنسبة ظلمات الجوّ البالغة (١٦) ظلمة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقلّ فى أكثر النهار عما يمكن أن يصل الينا فوق ألف مرّة . إذن ضوء الشمس لابد أن يخفّ بحجب حين يصل لنا والعلوم والمعارف التى يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التى استعدّت لها نفوسنا بشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا فى إهلاك أرواحنا لأنها لاتقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لاتحتمل عيوننا ضوء الشمس من غير أن يلطف بظلمات الجوّ وكما لايتحمل الجنين أن يعيش إلا فى ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به إيقانا تاما . وهذا هواليقين الذى أعلنه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أوّلا . فقل لهم جميعا إن الله أذن باظهار الحقائق

إن مافى الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رحمة لأنه لولاه لم تتحمل العقول شموس المعارف العلمية التى تستعدّ لها النفوس الأرضية بفطرتها . وكما أن الطعام الذى كثرت مادّة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا داوم امرؤ عليه فان عاقبته تكون هلاكا له غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخذت تهجم على الحويصلات هجوما شديدا فتظهر القوّة وحسن الشكل وحمرة الخدّ ورونق الجسم ثم لايلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بثور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العلل . واما أن يكون ضعيفا فلايقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئه الموت بكرة أوعشيا

هذا ماتقدّم فى هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب فى العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هذا شأنه هكذا العلوم والمعارف فهى أغذية للروح وللروح استعداد خاص كما للجسم . فكما أن الأغذية اللبنية واللحمية والبيضية قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدّم هكذا العلوم التى تصل للعقل فجأة تهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها (وفيها أغذية غيرمركزة بل هى داخلة فى ضمن موادّ أخرى) تدخل على الحويصلات الجسمية بلطف فلاتزعجها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيأ فشيأ تدريجا تكون مقبولة ولاخطرفيها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وقدخففت بالغبار فى الجوّ هكذا الأنوار الإلهية التى يرسلها الى عقولنا لابد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأوّل حجبنا أجسامنا فهى ظلمانية ثم شهواتنا وأنواع شرورنا التى تحيط بنا احاطة الغبار والدخان فى جوّنا بعيوننا ، وكما أن الغبار والدخان ظاهرهما عذاب وباطنهما رحمة ، هكذا وسوسة الشياطين التى لاتكون إلا تبعا لشهواتنا هى نعمة باطنا نقمة ظاهرا ، وأضرب لك مثلا : لقد ظهر فى أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهولم يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه فى العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب يجهلونه فانهم كلما قالوا له : الجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس الكلية فطلبوا علماء الطب من أقطار الأرض فبحثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لايتحمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا النمط ، فهؤلاء جاؤا الى الأرض ليوقظونا الى أمثال هذه الحكم ولنعرف أن حياتنا كما أن فيها ذبابا وحيات وعقارب لايذاثنا فيها نحل ودود قز وأنعام لاسعادنا ، وأن النقيضين لابد منهما ، وأن النعم التى

لانقم معها مجهولة مكفور بها والضد يكون سببا فى ظهورضده . وأنا أيها الصديق أرى انى قد استوفيت هذا المقام وأنا أحمد الله حمدا كثيرا ولعلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هـذا البيان فلم أسمعه فى حياتى منك ولامن سواك ولكنى لا أترك القول يمرّ بلافهـم ببعض ماتقدم . ماهى الظلمات التى فى جوّنا ؟ وكيف تقول إن الغبار والدخان تصنعان حجبا فى الجوّ تبلغ (١٦) حجابا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقلّ فوق ألف مرّة ، كل هذه ألغاز لاتحلّ إلا بالايضاح . فقلت ياصاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أى علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحا وافيا لنفرح بالعلم ونسعد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش و يموت ولاحظ له من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فانه هو يرى أن هذه الدار أشبه بالقصور المسحورة فان مشاهده أشدّ غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التى تمثل فيها الوقائع الحر بية والطبيعية وغيرهما فشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر الى الكواكب ليلا والشمس فى وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر الى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تجدها بعيدة عنا وهذا عجب كيف تبعد الشمس فى الشروق والغروب وتقرب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس فى دائرة منتظمة و بعدها من جميع الجهات متحد فى اليوم الواحد فهل تبعد عند الصباح وتقرب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى فى دائرة بل فى خطوط منكسرة ولاقائل به

(٢) ثم انظر الى الشمس صباحا فاننا نقدر أن ننظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر اليها وقت الظهر فاننا لانستطيع النظر اليها مع قربها منا فى رأى العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت نراها قريبة منا والشمس نراها بعيدة صباحا ومساء كما تقدّم مع ان الشمس بيننا و بينها بسير النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، و بيننا و بين الكواكب آلاف وملايين السنين بسير الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساحرة لعقولنا غريبة الأطوار عجيبة الأحوال

هذه هى الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهـذا لايفهم إلا بالنظر فى علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أوّلا و بالنظر فى علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانتشاره على الأرض ثانيا ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأوّل » فى شرح الهواء « الفصـل الثانى » فى انكسار الضوء فى علم الطبيعة « الفصل الثالث » فى آثار ذلك الانكسار فى علم الفلك . فقد جاء فى كتاب الاصول الوافية فى علم القسموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسنى بك

﴿ الفصل الأول فى علم الهواء ﴾

تحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضرورى لوجودنا وعلى أى ارتفاع يرتقى اليـه يوجد الهواء دائما لكن من المحقق أن هذا الهواء لايمتد الى غير نهاية فى الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوّا . و يتكوّن من الجوّ والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبه اليها و يشترك معها فى جميع حركاتها

و يظهر ان تركيب الجوّ ثابت فى جميع الأقطار وفى جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الاكسيجين والازوت بنسبة ٨٠ و٢٠ حجم من الاكسيجين الى ٢٠ و ٧٩ من الازوت و بنسبة ثقل قدره ٢٣ جزأ من الاكسيجين الى ٧٧ من الازوت . ويحتوى خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك

وللجوّ جميع خواص الغازات . ومرونته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الانسان وذلك لأن الهواء جسم ثقيل كباقى الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثف وأكثر انضغاطا من الطبقات العليا التى تحمل ثقلها و بالاقتراب من نهاية الجوّ يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المرونة جدا

وحرارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° فى كل ١٥٠ مترا أو ٢٠٠ مترا من الارتفاع لغاية ٧٠٠٠ مترا

تقريبا ويظن أن التناقص بعد هذا الارتفاع أقل من ذلك وأن الطبقات الأخيرة ذات حرارة لاتنخفض عن – ٦٠°

وأما ثقل الجوّ فيمكن تعيينه على وجه التقريب بالاعتبارات الآتية وهي أن الضغط الجوى يتزن بعمود من الزئبق ارتفاعه ٧٦ سنتيمترا أو بعمود من الماء ارتفاعه ١٠ر٣٣٤ مترا وبناء عليه فالضغط الكلى على سطح الأرض أعنى ثقل الجو يعادل ثقل عمود من الماء قاعدته سطح الارض وارتفاعه ٣٣٤ و ١٠ مترا وبفرض أن نصف قطر الارض المساوى ٦٣٦٦١٩٨ مترا رمزه نق فثقل الجو مقدرا بالطونولاته يكون

٤ ط نق ٢ × ٣٣٤ و١٠ = ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٥٢٦٣ تقريبا

وهو يعادل ثقل ٥٨٥٠٠٠ مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلو متر واحد

﴿ الضوء المنتشر ﴾

وللهواء الجوى مزية أخرى مهمة للغاية هي أنه الواسطة فى نور النهار قبل أن ترسل لنا الشمس أشعتها وذلك لأن أجزاءه تعكس الأشعة الضوئية التى تسقط على سطحها فى جميع الجهات سواء أتاها هذا الضوء من الشمس مباشرة أو من انعكاسات سابقة وهذا مايسمى بالضوء المنتشر أو المتفرق

فاذا لم يكن جوّ فان جميع النقط الأرضية التى لاتكون مستضيئة بالشمس مباشرة والتى لاتتلق الأشعة التى تعكسها المادّة الأرضية تصير مغمورة فى ظلمة تامة ولون السماء الازرق الذى هو لون الهواء منظورا من سمك عظيم لايرى وتصير السماء حالكة السواد ويمكن وقتئذ رؤية النجوم والسيارات وقت الظهر والانتقال من النهار الى الليل يحصل دفعة واحدة بمجرد غروب الشمس لاتدريجيا كما هو الحاصل كما أن النهار يمحو ظلمات الليل بمجرد ظهور الشمس ثانيا فى الأفق

﴿ ارتفاع الجوّ ﴾

اذا كان الجوّ متجانسا سهل حساب ارتفاعه وذلك انه لما كان أخف من الزئبق بقدر ١٠٤٦٠ مرة فان سمك طبقة الهواء التى تتزن بعمود من الزئبق ارتفاعه ٧٦ سنتيمترا تصير بداهة ١٠٤٦٠ × ٧٦ و٠ أو ٧٠٥٠ مترا تقريبا ولكن ذلك انما هو نهاية صغرى لان كثافة الهواء تأخذ فى النقص كلما ابتعد عن سطح الارض والحسابات التى أجراها المعلم (بيوت) المؤسسة على ارصاد غيلوساك وغيره تعين للجو سمكا قدره ٤٨٠٠٠ مترا وهو تقريبا $\frac{1}{١٣٣}$ من نصف قطر الارض

﴿ تعتم الضوء بالجوّ ﴾

شكل القبة السماوية المنحط – اذا كان الجوّ شفافا للغاية فان الاشعة الضوئية التى تمرّ منه لايعتريها أدنى عتمة مهما كان اتجاهها لكن ليس الامر كذلك . فان الهواء يعتم الأشعة التى تمر منه شيأ فشيأ وتأخذ هذه العتمة فى الازدياد بالطبع بازدياد كثافة طبقة الهواء فالشعاع الذى يأتى من الأفق يمر من طبقة من الهواء أكثف من التى يمر منها الشعاع الذى يأتى من السمت بقدر ست عشرة مرة ولهذا السبب يمكننا أن ننظر الى الشمس فى الافق ونتحمل ضوءها بدون أن يحصل خطر لابصارنا والابخرة الكثيفة الموجودة دائما فى الاجزاء السفلى من الجوّ تضعف الضوء أيضا وعلى رأى (بوجيه) ضوء الشمس فى الافق أقل منه فى السمت بقدر ١٣٥٠ مرة

والضوء الذى يأتينا من الاشياء الارضية الموضوعة فى الافق أو من الكواكب فى لحظة شروقها ضعيف جدا بالنسبة للضوء الذى تبعثه لنا الكواكب الكائنة بجوار السمت ولذلك نرى هذه الكواكب أقرب الينا من تلك . ولهذا يظهر شكل القبة السماوية منحطا انتهى ما أردته من ذلك الكتاب

وأقول بهذا عرفنا تركيب الهواء وارتفاعه وكثافته وغيرها :

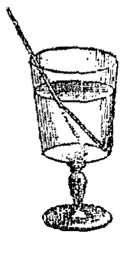
(١) فالارتفاع يقرب من (٤٨) كيلومترا
(٢) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأوّل (٧٧) جزأ والثانى (٢٣) وثقله (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر
(٣) وحرارته تنقص درجة فى كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا و بعدها تصير الحرارة (٦٠) درجة
(٤) وطبقة الهواء فوق الأرض أكثف من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
(٥) وضوء الشمس فى الأفق أقل منه فى السمت (١٣٥) مرة
(٦) والضوء الآتى من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جدا من الضوء الآتى من الكواكب التى تقرب من سمت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
(٧) وعليه تظهر قبة السماء منحطة
(٨) والهواء الجوّى هو السبب فى انتشار الأضواء صباحا ومساء
(٩) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهارا وترى النجوم ظهرا
(١٠) ولولاه لانتقل الناس فجأة من الظلام الى النور وبالعكس

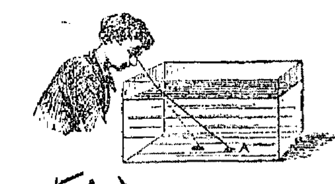
فلخص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذى تحتاج الى الكلام عليه فى الفصل الثانى

الفصل الثانى فى الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة

هنا قال صاحبى أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطا يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اعلم أن الامور البسيطة هى أصول الامور العظيمة ، ضع عصا فى إناء فيه ماء وانظر ألست تراه أشبه بالمنكسر . فقال أى ور بى . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هى أصل الانكسار المذكور فى علم الفلك وأصل للصباح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملا فأسمعك ما جاء فى كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ فى السربون ووزير المعارف العامّة بفرنسا الذى ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتى :

« انظر . أنا الآن معى زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت فى الماء عودا من القش (أنظر شكل ٦)





(شكل ٦)

تجربة (ب)	تجربة (ا)
(إن الشعاع الضوئى فى الماء انكسر وصار سببا فى أن قطعة النقد أخذت تظهر عند النقطة (ا)	(عود صغير من القش يظهر للعين انه مكسور فى الماء وهذا هو انكسار الضوء)

إن العود يظهر فى تجربة (ا) كأنه مكسور وهو يقرب فى نظر العين من الأفق عند دخوله فى الماء . ولاجرم انك عالم علما

ليس

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من انخداعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى ﴿ التجربة الثانية ﴾ (ب) وهو صندوق من القصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي (الپن) . تعال ياجيمس وقف حتى تنظر أبعد طرف من قطعة من النقود أمامك . وها أنا ذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بلطف خيفة أن تنتقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا أشاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك الى جهة (ا) وانما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تنعطف وتنثني كما انثنت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق

هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أتيت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك ﴾

أنت أيها الذكي لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت انه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار انما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم ألطف الى جسم أكثف حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضحكون من ذلك ويعجبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رحمة أنزلها الله الى الأرض كما سأوضحه لك وماهذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات المعتمة إلا كنسبة الهواء المنطلق في المنزل بهيئة رياح عند إيقاد النار فيه فيرتفع الهواء فيحل محله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بعينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تستبدل بالنار هنا ، فالشمس تلح بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتحل محل الهواء الذي ارتفع فهكذا نقول هنا ، فاذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهر لنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء

فاذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصباح قبل طلوع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . واذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة (٦٦) حين يكون الليل أسبوعا أوشهرا أوشهرين فانك ترى البلاد هناك مستضيئة ضوأ بديعا جميلا يفوق في سناه كل جمال وهذا الضوء يبقى بعض أيام أوأسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لاتزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي تدور دورة رحوية . فاسعاد هؤلاء بذلك الضوء الجميل الذي يريهم الطرق الثلجية الجميلة وتكون إذ ذاك حركة البيع والشراء متسعة وتكون بحارهم جامدة يمرون على مائها بأنفسهم ودوابهم

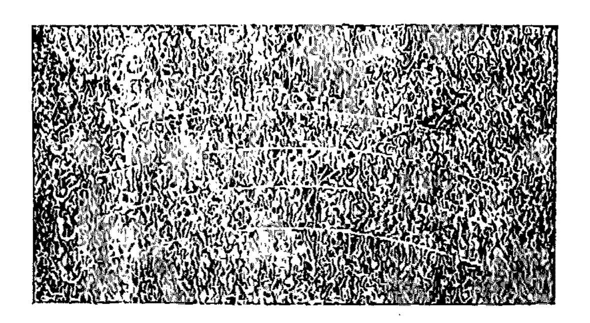
فياليت شعري من أين جاءت لهم هذه النعم كلها ؟ جاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجو اللطيف الى الجو الكثيف على وجه الأرض . فالكثافة في الجو كانت أعظم نعمة على الانسان والحيوان و بسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهاك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية . في علم القسموغرافيا المتقدم » تحت الآتي وهذا نصه :

﴿ انكسار الضوء ﴾

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند مايقابل شعاع ضوئي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، واذا مد عمود على السطح الفاصل بين وسطين من النقطة التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يعينان مستويا يسمى مستوى السقوط ، وعوضا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المنكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من طبقة هوائية الى أخرى

أكثف منها ويبعد فى الحالة العكسية

اذا تقرّر هذا يمكن قبول أن الجوّ مركب من طبقات متحدة المركز كثافتها تأخذ فى النقص كلما بعدت عن سطح الأرض ولتكن (س وسَ وسً) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



(شكل ٧)

فالشعاع الضوئى الآتى فى الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله فى الطبقة (سً سً) ويتبع الاتجاه من مثلا وفى (ن) يعتريه زوغان جديد ويتبع الاتجاه (ن ق) فى الطبقة (سَ سَ) وأخيرا يزوغ فى (ق) ويتبع الاتجاه (ق و) داخل الطبقة (س س) بحيث إن الراصد الموجود فى (و) يرى الشئ فى الاتجاه (و ل) وفى الحقيقة لايتبع الضوء خطا منكسرا بل خطا منحنيا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ فى الازدياد بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشئ المضىء (ل) فى اتجاه المماس فى (و) لخط السير المنحنى وصورة الكوكب أو وضعه الظاهرى لايدل حينئذ على وضعه الحقيقى وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهرى للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقى وذلك هى الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب توجد بهذه المثابة فى غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان فى الظلمات الثلاث وهو جنين : فى بطن الأم وفى الرحم وفى المشيمة قد جعلت هذه رحمة وصيانة له كما أنعم عليه وصين بما ملىء به جوّنا من الغبار والدخان اللذين كانا سببا فى انكسار الضوء فأمكننا أن ننظر نور الشمس وقرصها بأعيننا صباحا ومساء وانتشر نور الصباح والمساء وأشرق الضوء نهارا على أقطار المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التى أصبحت أشبه بزجاجة نضعها على أعيننا فنتحمل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض أكثف منه فى أعلى الجوّ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وماهذا الانكسار الضوئى إلا نتيجة الطبقات المعتمة التى ظاهرها انها نقمة و باطنها نعمة إذ بدون ذلك لاتهنأ لنا الحياة إذ لاانتشار للضوء فلامنفعة فى الحياة ومثل هذا يقال فى وساوس الشيطان التى لاتكون إلا فى قلوب أشربت حبّ الشهوات وأنواع الشرور فتكون مأوى للنفوس الشريرة التى فارقت الدنيا أوالتى من الجنّ ، فهذه الوساوس انما تجول فى قلوب استعدت لها كما استعدت عين الأرمد القذر لولوج الذباب بها سواء بسواء

فاذا ساعدت الملائكة الانسان بانماء الزرع وحفظ العوالم ، فهذا من نتائج سجودها لآدم المذكور فى آخر ﴿ سورة ص ﴾ كما نرى دود القز والنحل والخيل والبغال والحمير والطيور آكلات الدود كلها مساعدات

لنا

لنا على هـذه الحياة ، واذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فانهم لم يفعلوا شيأ أكثر مما فعلت فينا الاسود والنمور والحيوانات الذرية المحدثات للطواعين فى الأرض . فكما نحارب حيوانات الطاعون بعلومنا وأعمالنا هكذا نحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم و بالجدّ

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نعقل هذه العوالم المحيطة بنا ولقد عرفناها بحواسنا الخمس التى اقتسمت المعارف المحسوسة قسمة عادلة كما فى فن المقولات المشروح فى هذا التفسير مرارا وآثار هذه المعارف تنبعث الى النفس فتكون صورها علوما ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحبوسة فى ظلمات ثلاث فى الجنين وفى (١٦) ظلمة فى الجوّ اذا صار رجلا وظلمات كثيرة فى النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها و يتخللها بعض المعلومات فترفع النفس شيأ فشيأ فى أثناء الحياة حتى اذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه فى الحياة وهذا هوالذى غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا ـ أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك ـ قال لهم إنى أعلم ذلك ولكنى ربيتهم فى تلك الشرور وأعطيتهم تجارب وعلوما فى أثناء ذلك فأنا أعلم مالا تعلمون . ألا ترون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية فى الأرض وأنتم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وان غمستهم وغمرتهم فى الظلمات لم أفعل ذلك احتقارا لشأنهم بل جعلته أشبه بالمنظار يوضع على العين لأنهم لا يطيقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ماخلقت هـذا باطلا . وهذا قوله تعالى ـ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ـ

اللهم إنى أحمدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب فى نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

***

وههنا سألنى ذلك العالم صديقى قائلا : أنا الى الآن لم أفهم الحجب الستة عشر ولا الحجب التى تبلغ نحو مائة وانما فهمتها فهما إجماليا . نعم عرفت الظلمات الثلاث وهى البطن والرحم والمشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعـدها لم تتضح لى . فقلت : إن ماتقدّم واضح ولكنك أنت تريد ماهو أوضح . فقال : هو ذاك . فقلت : ألم أذكر لك فيما تقدّم هنا عن علماء الفلك أن الجوّ الذى هو أقرب الى الأرض يقلل ضوء الشمس (١٦) مرة . قال بلى . قلت : فهذه هى (١٦) حجابا أو ظلمة وأزيد عليه فأقول اقرأ ما تقدّم فى ﴿ سورة فاطر ﴾ . ألم تر الى (شكل ١٦) من الأشكال التى رسمت هناك لايضاح آية ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ـ الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدبى المبطن للقصبة الهوائية قد جعـل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرّك ليلا ونهارا من الداخل الى الخارج لتخرج الغبار الداخـل مع النفس لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للملكة الدموية . قال نعم أتذكر ذلك وقرأته وماذا يفيـدنا ؟ قلت : ثم انظر الى ﴿ سورة ص ﴾ وقد جاء فى آخرها ـ فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ـ وتأمّل ما كتبته هناك عن (هيج) الانجليزى و (كانتانى التليانى) و (كوهن الألمانى) وطبيب نطاسى فرنسى . ألم أذكر لك فى الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والدخان الداخلين فى الرئة يكونان سببا فى فساد صحة البدن و بذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والدخان الداخلان فى الرئة يفعلان ما تفعله جميع المآكل القوية التغذية كاللحم والبيض وتفعلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحلوى والتوابل ، فهذه كلها هى التى تجعل فى العروق سدودا وحواجز وتلك السدود والحواجز تفعل فى الجسم ماتفعله السدود فى المساقى فيحصل الهلاك للزرع تارة بالغرق وتارة بقلة الماء وتكون هناك الأمراض المختلفة المضنية من الدماميل والقروح والسرطان والجـذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لا حصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : فحينئذ غبار الجوّ ودخانه ضارّ ان بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله فى باطن القصبة الهوائية أهدابا لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن الدخان وعن كل مافيه روائح ضارّة » . قال نعم . فقلت : إذن هـذه المواد القريبة فى الهواء ضارّة . إذن هى حجب بيننا و بين الصحة و بيننا و بين السعادة وظلمات تغشى على ضوء الشمس فيكون ضوءها صباحا أقلّ منه وقت الظهيرة لأن الغبار والدخان وأمثالهما يكونا أقرب الى وجه الأرض و يفصلان بين عيوننا و بين الشمس فتحمل عيوننا الضوء و يحصل هنا منافع لاحدّ لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فالمنافع هى أن الشمس يظهر نورها رويدا بالتدريج كما تقدم و يكون صبح وشفق الى آخر ماتقدم ، ولولا هذا الضار وهى الحجب لم تهيأ لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينتظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا فى أجسامنا لاتقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا وضح وضوحاتاما كما تقدم ، إذن لافرق بين الظلمات الثلاث للجنين و بين الظلمات الست عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جىء بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهى كالمتقدمة سواء بسواء . إن الانسان مخلوق غريب جدا فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الاصول الثلاثة تفرّعت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها فى ﴿سورة البقرة﴾ عند قصة آدم فارجع اليها هناك وهذه مشروحة فى الربع الثالث والرابع من الإحياء فالثالث للاخلاق الناقصة والشرور والرابع للأخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لغلبة القوّة الملكية على القوّتين الأخريين والانسان من حيث انه ملكى إلهى يكون حكيما ذكيا جميل الخلق . ومن حيث انه بهيم يكون بخيلا طماعا جباعا جبانا خائنا كاذبا . ومن حيث انه شيطان يكون معاندا حقودا حسودا ظلوما متهوّرا . فهـذه أخلاق الشياطين . وماقبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق الملائكة . وقد تصل الأخلاق الشريرة فى العـدّ الى نحو المائة واليها الاشارة فى بعض الآثار الى التنين الذى له (٩٩) رأسا بها ينهش ابن آدم . فهذا التنين الآن موجود و يبتدئ نهشه للانسان فى هـذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغشّ وكذب وزور وبهتان وغيبة ونميمة ، فهـذه كلها طباع شريرة تؤذى صاحبها فى الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الانسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا الملكية العالية فى أصلها على المعارف مرة واحـدة فهلكت كما يموت من اطلع على كنز مرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فالله كما خلق الظلمات فى الرحم لمنافع الجنين وخلق الغبار والدخان فى الجوّ القريب من الأرض وهو ضارّ بنا ليحول بين أعيننا و بين الشمس لئلا تستضر بها ولمنافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم ورذائل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهلك

فلما سمع صاحبى ذلك قال : اللهم إنى أحمدك حمدا يوافى نعمك وضرب كفا على كف وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعيشون و يموتون وهم جاهلون ، و يظهر ان هذا التفسير قد فتح ما كان مقفلا على أكثر الناس ، ههنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق و بامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينيـة أدركنا حقائق جهلتها أمم وأمم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، واذا قيست بالظلمات الثلاث فى الرحم والظلمات الست عشرة فى الجوّ فقد انحلت المشكلة ، إذن الناس يوم القيامة وفى البرزخ يوضعون فى أماكن استحقوها بحسب استعدادهم ، وماجهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لاتقدر أن تعيش فى غـيرها كما يعيش السمك فى البحر . وهذا سرّ عظيم لم يتضح إلا فى هذا التفسير بل هذا الذى به نفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » ونفهم — ورحمتى وسعت كل شئ — ومن عجيب أن الظلمات الثلاث بضربها فى (٥) تصير (١٥) وهى تقرب من (١٦) و (١٦) بضربها فى (٥) تصـير (٨٠)

و (٨٠) تقرب من الأخلاق الرديئة التي قلتم انها تقرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقلت : الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطائف التي جعل كل طائفة منها خاصا بقسم من أقسام السورة

﴿ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى – خلق السموات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار – الخ مع قوله – ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع – والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنازل وسير القمر)

جاء في كتاب « صبح الأعشى » مانصه :

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكل بها في اليوم والليلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . ولتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وان اختلفت مطالعهما . قال تعالى – ربّ المشرق والمغرب – أي جهة الشروق وجهة الغروب في الجملة . الا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال ولتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربه . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السّماك الرامح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . ولتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغربه . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى – ربّ المشرقين ورب المغربين – وبين هاتين الغايتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتغرب في مغرب غير الذي تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى – ربّ المشارق والمغارب – ونقطة الوسط بين هاتين الغايتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثنى عشر قسما . قالوا والمعنى في ذلك أن الشمس في المبدإ الأوّل لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك التاسع في ثلثمائة وستين يوما . وسميت جملة هذه الأيام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظمى على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه الدرج الى اثنى عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجا . وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تتشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأوّل الذي ابتدؤا به نجوما إذا جمع متفرقها تشكلت صورة حمل . فسموها بالحمل وكذلك البواقي . قال صاحب مناهج الفكر : وذلك في أول مارصدوا . وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكان الحمل الثور . وهي تنتقل على رأي بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأي المتأخرين في ألفي سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن الدورة الفلكية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثمائة وستين درجة . كما تقدمت الاشارة إليه . والسنة ثلثمائة وستون يوما منقسمة على الاثنى عشر برجا المتقدم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فما نقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع الى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من

برمهات من شهور القبط . ويوافقه الحادى والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور الروم . والرابع والعشرون من خردادماه من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منهما مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين فى السنة . ويسمى الاعتدال الربيعى . لوقوعه أول زمن الربيع فيزيد النهار فيه فى كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخمسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم سدس درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها فى جهة الشمال . وهذا أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة فى السنة . ويسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة شماليا صاعدا : لصعودها فى جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتكر راجعة إلى جهة الجنوب . ويسمى ذلك المنقلب الصيفى . وذلك فى العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من حزيران من شهور السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان . فينقص النهار فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخمسين درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ، وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخرها على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفى . : لوقوعه فى أول الخريف . ويسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا . لهبوطها فى الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى الميزان فى الثامن عشر من توت من شهور القبط . وهى آخذة فى الهبوط والنهار فى النقص والليل فى الزيادة فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار فى كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم فى السنة وأطول ليلة فى السنة . وذلك غاية هبوطها فى الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس فى هذه البروج جنوبيا هابطا . لهبوطها فى الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدى فى السابع عشر من كيهك وتكر راجعة فتأخذ فى الارتفاع ويأخذ النهار فى الزيادة والليل فى النقصان . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى الدلو . فيزيد

النهار

النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات وتقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة جنوبيا صاعدا : لصعودها فى الجهة الجنوبية . وهذا شأنها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو فى مصر وأعمالها . فاذا اختلفت العروض كان الأمر فى الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ماذكرناه هنا أضبط وأوضح وهو من صبح الأعشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السير وعلى مقتضاه رتب الناس شهورهم . فللقبط شهور وللسريان شهور تخالفهم وهكذا الروم وهاك بيانها (انظر هذا الجدول)

شهور القبط منسوبة لدقلطيانوس الملك	شهور السريان منسوبة للاسكندر	شهور الروم منسوبة لأغطس ملك الروم
توت	يوافق أوّله ٢٠ آب الموافق لشهر	أغسطس
بابه	« « ٢٧ ايلول « «	سبتمبر
هاتور	« « ٢٧ تشرين الاوّل « «	اكتوبر
كيهك	« « ٢٦ تشرين الثانى « «	نوفبر
طوبه	« « ٢٦ كانون الاوّل « «	ديسمبر
أمشير	« « ٢٥ كانون الثانى « «	يناير
برمهات	« « ٢٤ شباط « «	فبراير
برموده	« « ٢٦ آذار « «	مارس
بشنس	« « ٢٥ نيسان « «	ابريل
بؤنه	« « ٢٥ أيار « «	مايو
أبيب	« « ٢٤ حزيران « «	يونيو
مسرى	« « ٢٤ تموز « «	يوليو

وقد نظم الشيخ ابراهيم الدهشورى شهور السرياني فقال :

وابْدَأْ بِأَيْلُولٍ مِنَ السُّرْيَانِى * تَشْرِينُ ٱلْأَوَّلُ يتبعه الثانى
كَانُونُ كانُونٌ شَبَاطُ يطْلَعُ * آذَارُ نَيْسَانُ أَيَارُ يَتْبَعُ
ثم حَزِيرَانٌ وَتَمُوزُ وأبْ * تبارك الرحمنُ يَهْدِى من احبْ

وقد نظم أيضاً الشيخ المذكور شهور الروم فقال :

يَنَيرُ فبريرُ مارسٌ للروم * إبريلُ مايُهْ خامس المعلوم

يَدُّيهْ وَيُلْيهْ ثُمَّ أغشت شتمبر * أكتوبر نوفمبر دجنبرُ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكيزانى أبياتاً ذكر فيها الأشهر التى تكون ثلاثين يوماً والناقصة عنها ولم يتعرض للزائدة عنها فقال :

شهور الروم ألوان * زيادات ونقصانُ

فتشرينهم الثانى * وأيلول وَنَيْسَانُ

ثَلاثُونَ ثَلاثُونَ * سَوَاءٌ وَحَزِيرَانُ

شباطُ خُصَّ بالنقص * وقدر النقص يومانِ

قد سماها شهور الروم لموافقتها لها والا فهى للسريان اهـ

﴿ الكلام على المنازل ﴾

جاء فى كتاب صبح الأعشى ما نصه

ان النهار الطبيعى أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعى أوله طلوع الفجر الثانى وآخره غروب الشمس . فيخالفه فى الابتداء ويوافقه فى الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعام ، أما الفجر فان أمره خفىّ لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، وصادق . وهو الثانى . وعليه التعويل فى الشرعيات . فيحتاج الى موضح يوضحه ويظهره للعيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهى منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهى الشرطان(١) والبطين(٢) والثريا ، والدبران(٣) والهقعة(٤) والهنعة(٥) والذراع ، والنثرة(٦) والطرف . والجبهة والخرتان(٧) والصرفة(٨) والعواء(٩) والسماك(١٠) والغفر(١١) والزبانان(١٢) والاكليل . والقلب . والشولة(١٣) والنعائم . والبلدة(١٤) وسعد الذابح . وسعد بلع(١٥) وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبطن الحوت . والمعنى فى ذلك أن الشمس إذا قاربت من كوكب من الكواكب الثابتة أو المتحركة سترته وأخفته عن العيون . فصار يظهر(١٦) نهارا ويختفى ليلا ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافيا إلى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للأبصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يغلب نور الكوكب فيرى الكوكب فى الأفق الشرقى ظاهرا . وحصة كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتى(١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ماذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهى ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجمع مافضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعا فجعل يوما فى المنزلة التى توافق آخر السنة وهى الجبهة فكان حصتها أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسىء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجبهة أيضا . فكانت كواكب المنازل(١٨) المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفى السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهاك ملخص ماذكره فى حسابها

(١ و٣ و٧) بفتحتين (٢) مصغر (٤ و٥ و٦ و٨ و١١ و١٣ و١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥) بضم ففتح (٩) بفتح فشده (١٠) مثل كتاب

(١٦) لعله يختفى نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا فى الأصل ولعله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا فى الاصل ولعله (المنزلة) انتهى مؤلفه

المنازل	شهور القبط	شهور السريان	شهور الروم
الشرطان أوّل طلوعها بالفجر	٢٣ برموده	١٨ نيسان	ابريل
البطين أوّل طلوعها بالفجر	٦ بشنس	أوّل ايار	مايه
الثريا أوّل طلوعها بالفجر	١٩ بشنس	١٤ ايار	»
الدبران أوّل طلوعها بالفجر	٢ بؤنه	٢٦ ايار	»
الهقعه أوّل طلوعها بالفجر	١٥ بؤنه	٩ حزيران	يونيه
الهنعه أوّل طلوعها بالفجر	٢٨ بؤنه	٢٢ »	»
الذراع أوّل طلوعها بالفجر	١١ أبيب	٥ تموز	يوليه
النثرة أوّل طلوعها بالفجر	٢٤ أبيب	١٨ »	»
الطرف أوّل طلوعها بالفجر	٧ مسرى	آخر تموز	»
الجبهة أوّل طلوعها بالفجر	٢٠ مسرى	١٣ آب	أغسطس
الخرتان أوّل طلوعها بالفجر	٤ من أيام النسىء وفى السنة الكبيسة فى ٥ منه	٢٧ آب	»
الصرفه أوّل طلوعها بالفجر	١٢ توت	٩ ايلول	سبتمبر
العوّاء أوّل طلوعها بالفجر	٢٥ توت	٢٢ ايلول	»
السماك أوّل طلوعها بالفجر	٨ بابه	٥ تشرين الأوّل	اكتوبر
الغفر أوّل طلوعها بالفجر	٢١ بابه	١٨ تشرين الأوّل	»
الزبانان أوّل طلوعها بالفجر	٤ هاتور	آخر يوم من تشرين الاوّل	»
الاكليل أوّل طلوعها بالفجر	١٧ هاتور	١٣ من تشرين الثانى	نوفمبر
القلب أوّل طلوعها بالفجر	آخر يوم من هاتور	٢٦ تشرين الثانى	»
الشوله أوّل طلوعها بالفجر	١٣ كيهك	٩ كانون الأوّل	ديسمبر
النعائم أوّل طلوعها بالفجر	٢٦ كيهك	٢٢ كانون الأوّل	»
البلده أوّل طلوعها بالفجر	٩ طوبه	٤ كانون الثانى	يناير
سعد الذابح أوّل طلوعها بالفجر	٢٢ طوبه	١٧ كانون الثانى	»
سعد بلع أوّل طلوعها بالفجر	٥ أمشير	٣٠ كانون الثانى	»
سعد السعود أوّل طلوعها بالفجر	١٨ أمشير	١٢ شباط	فبراير
سعد الأخبيه أوّل طلوعها بالفجر	أوّل برمهات	٢٥ شباط	»
الفرغ المقدّم أوّل طلوعها بالفجر	١٤ برمهات	٧ آذار	مارس
الفرغ المؤخر أوّل طلوعها بالفجر	٢٧ برمهات	٢٢ آذار	»
بطن الحوت اوّل طلوعها بالفجر	١٠ برموده	٥ نيسان	ابريل

هذه هى المنازل من حيث نزول الشمس فيها . فما أجل حسابها السهل ونظامها العجيب . فاذا أردنا أن نعرف أين تكون الشمس فى أىّ منزلة فالأمر ظاهر واضح فلنعرف الشهر واليوم يحصل المطلوب

﴿ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له ﴾

جاء فى كتاب صبح الأعشى ما نصه

وأما حركته البطيئة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال وتنقله فى المنازل الثمانية وعشرين فى ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس فى البروج قال تعالى — والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم — فما تقطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس فى جميع السنة يقطعه القمر فى ثمانية وعشرين يوما . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى العرب ما حققه القدماء برصدهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدهم إلى العلم بفصول السنة وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الأيام التى يقطعه القمر فيها ، وهى ثمانية وعشرون يوما ، وطلبوا فى كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها و بين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر فى يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره فى الكلام على طلوعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسط انتهى فى اليوم التاسع والعشرين إلى المحاق الذى بدأ منه . فحذفت المتكرر . فبقى ثمانية وعشرين ويزاد بالشرطين : لأن كواكبه من جملة كواكب الحمل : الذى هو أوّل البروج ، ثم هذه المنازل على قسمين ، شمالى وجنوبى كما فى البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالى منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشامية ، وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التى هى رأس الحمل والميزان صاعدا الى جهة الشمال ، وهى الشرطان ، والبطين والثريا . والدبران . والهقعة . والهنعة . والذراع . والنثرة . والطرف . والجبهة . والخرتان . والصرفة . والعواء . والسماك . و بطلوعها يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبى منها ما كان طلوعه من ناحية اليمن وتسمى اليمانية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا الى جهة الجنوب . وهى الغفر . والزبانان . والاكليل . والقلب . والشولة . والنعائم . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد بلع . وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . و بطن الحوت . و بطلوعها يقصر الليل و يطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءا من الفلك عبارة عن (١) لاعن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فعدل بالتسمية إليها وغلبت عليها .

ونزول القمر فى هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما فى المنزلة نفسها و إما فيما بينها و بين التى تليها و إما محاذيا لها خارجا عن السمت شمالا أو جنوبا . وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل ونزوله فى غيرها .

ولتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر موزعة عليها : فالشرطان والبطين وثلث الثريا للحمل . وثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة للثور وثلث الهقعة والهنعة والذراع للجوزاء . والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان . وثلثا الجبهة والخرتان وثلثا الصرفة للأسد . وثلث الصرفة والعوّاء والسماك للسنبلة . والغفر والزبانان وثلث الاكليل للميزان وثلثا الاكليل والقلب وثلثا الشولة للعقرب . وثلث الشولة والنعائم والبلدة للقوس . وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدى (٢) وثلث الفرغ المقدّم والفرغ المؤخر و بطن الحوت للحوت .

إذا علمت ذلك فاذا أردت أن تعرف القمر فى أىّ منزلة هو وكم مضى له فيها من الأيام . فخذ ما مضى من سنة

(١) بياض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطا هو . وثلثا سعد السعود وسعد الأخبية وثلثا الفرغ المقدم للدلو .

القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأبسطها أياما . وأضف الى ماحصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد لبث القمر فى كل منزلة من الأيام . واجعل أوّل كل منزلة من العدد الخرتان . فما بقى من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد مامضى من المنزلة التى انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضى من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف اليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهى مامضى من المنزلة الثالثة وهى العوّاء .

وإن أردت أن تعرف فى أىّ برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربىّ يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجملة خمسة وأعط لكل برج خمسة وابدأ من البرج الذى فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأينما انفد حسابك فالقمر فى ذلك البرج . والاعتماد فى ذلك على كم مضى من الشهر العربىّ بالحساب دون الرؤية والله أعلم

﴿ الكلام على أحوال الأهلة التى عليها مدار الشهور فى ابتدائها وانتهائها ﴾

واعلم أن مسير القمر مقدّر بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى ــ فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ــ والشمس تعطيه فى كل ليلة مايستضىء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لايبقى فيه نور فيستتر . ويروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يمحق كل ليلة ويولد جديدا ، ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فللقمر حركتان : سريعة وبطيئة كما تقدم فى الشمس . أما الحركة السريعة فحركة فلك الكل به من المشرق الى المغرب ، ومن المغرب الى المشرق فى اليوم والليلة . واعلم أن الهلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبة على مضىّ ستة أسباع ساعة من الليل ، ولايزال مغيبه يتأخر عن مغيبه فى كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه فى الليلة السابعة نصف الليل . وفى الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه فى الليلة الخامسة عشرة على مضى ستة أسباع ساعة منها . ولايزال طلوعه يتأخر عن طلوعه فى كل ليلة ماضية بعد الابدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الغداة . واذا أردت أن تعلم على مضى كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل ، فان أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها فى ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضىّ أربع ساعات (١) أسباع ساعة وكذلك العمل فى أى ليلة شئت . وان أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدار ست ليال مثلا فاضرب ستة فى ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل فى أىّ ليلة شئت

ثم قال « للناس فى إخراج أوّل الشهر العربىّ طرق أسهلها أن تعرف أوّل يوم من المحرّم ثم تعدّ كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعرف أوّله وتقسمها نصفين . فان كان النصف صحيحا أضفت على الجلة مثل نصفه . وان كان مكسورا كملته وأضفته على الجلة . ثم تبتدىء من أوّل يوم من السنة وتعدّ منه أياما على توالى أسماء الأيام بعدد ماحصل معك من الأصل والمضاف فحيث انتهى عددك فذلك اليوم هو أوّل الشهر مثال ذلك فى الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أوّل يوم من شعبان وكان أوّل المحرّم يوم الأحد مثلا فتعدّ من أوّل المحرم الى شعبان وتدخل شعبان فى العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثنى عشر . ثم تبتدىء من يوم الأحد الذى هو أوّل المحرّم فتعدّ الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثنى عشر فى يوم الخميس فيكون أوّل شعبان يوم الخميس . ومثاله فى المكسور النصف إذا أردت

(١) لعل الصواب وسبعان كما هو واضح

أن تعرف أوّل رمضان أيضا وكان أوّل المحرم الأحد كما تقدّم فتعدّ مامضى من شهور السنة وتعدّ منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدئ عدد الأيام من أوّل المحرّم ، وهو الأحد كما تقدّم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أوّل رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة فى ذلك أن تنظر فى الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربى فما كان جعلته أصلا لتلك السنة . فاذا أردت أن تعرف أوّل شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطىّ الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقى فهو عدد مامضى من الشهر العربىّ ، ومنه يعرف أوّله

ومثال ذلك نظرت فى الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضى من الشهر العربىّ ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت فى الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أمشير مثلا فتعدّ من أوّل شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر فى الشهر القبطى الذى أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة . وهو الماضى من الشهر العربى الذى أنت فيه ومنه يعرف أوّله » انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التى نحن بصدد الكلام عليها - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى - انتهى

أيها الذكىّ هاهى ذه الدنيا أمامك ظاهرة واضحة فتى عرفت يومك فى شهرك استخرجت منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فيهما ، والسنة التالية تتبع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلا تعجب لهذا الحساب الذى لاخلل فيه وعلى مقتضاه كانت أحوالنا المعاشية

ياسبحان الله : شمس وقمر منظم سيرهما ومنازل وبروج منظمات وعلى مقتضاهما كانت حياة الانسان والحيوان ، فلولا النظام هناك لاختلّ النظام هنا ، فهاهوذا شهر توت أوّل يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفى (٧) منه يبتدئ لقط الزيتون ، وفى (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر ، وفى ١٨ منه أوّل فصل الخريف ، وفى ١٩ منه يهيج السوداء فى البدن ، وفى ٢١ منه يبتدئ بيض النعام ، وفى ٢٨ منه يذهب الحر ، وفى ٢٩ منه أوّل رعى الكراكى ، وفى ٣٠ منه يزرع الهليون

﴿ شهر بابه ﴾ فيه يبذر كل مالاتشقّ له الأرض كالبرسيم ونحوه وفى آخره تشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الخيسية ويستخرج دهن الآس والنيلوفر ويدرك التمر والزبيب وبعض المحمضات ، وفى ثالثه رأس سنة السريان ، وفى رابعه أوّل تشرين الأوّل من شهورهم ، وفى خامسه عرس النيل ، وفى سادسه يطيب شرب الدواء ، وفى سابعه نهاية زيادة النيل ، وفى ثامنه يكره خروج الدم ، وفى حادى عشره يبتدئ النيل فى النقص . وفى ثالث عشره بداية الوخم ، وفى رابع عشره يكثر الناموس وفى خامس عشره يبتدئ زرع القرط . وفى سادس عشره تبتدئ كثرة السعال . وفى تاسع عشره يبتدئ زرع السلجم . وفى الثانى والعشرين منه يبتدئ صلاح المواشى . وفى الثالث والعشرين منه تبتدئ كثرة الغيوم . وفى الرابع والعشرين منه تبتدئ أهل مصر الزرع . وفى السابع والعشرين منه يبتدئ سمن الحيتان

وفى الثامن والعشرين منه أوّل المدّ . وفى التاسع والعشرين منه أوّل الليالى البلق

﴿ شهر هاتور ﴾ فيه يزرع القمح و يطلع البنفسج [١] والمنثور . وأ كثر البقول . ويجمع مابقى من الباذنجان ومايجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفى ثانيه يبتدىٔ حصاد الأرز . وفى خامسه أوّل تشرين الثانى من شهور السريان وفيه يبتدىٔ برد المياه . وفى سادسه أوّل المطر الوسمى ، وفى سابعه يبتدىٔ أهل الشام الزرع . وفى ثامنه يبتدىٔ هبوب الرياح الجنوبية . وفى تاسعه يبتدىٔ زرع الخشخاش [٢] وفى حادى عشره يبتدىٔ اختفاء الهوامّ وفى ثالث عشره يبتدىٔ غليان البحر ، وفى رابع عشره تعمى الحيات . وفى سادس عشره يجمع الزعفران ، وفى ثامن عشره تكثر الوحوش . وفى الثامن والعشرين منه يغلق البحر الملح وتمتنع السفن من السفر فيه لشدّة الرياح . وفى الثالث والعشرين منه تبتدىٔ سخونة بطن الأرض . وفى الرابع والعشرين منه أوّل اسفيدار ماه من شهور الفرس

﴿ شهر كيهك ﴾ فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأ كثر الحبوب . و يدرك النرجس والبنفسج . وتتلاحق المحمضات . وفى أوّله ابتداء أر بعينيات مصر . وفى ثالثه يبتدىٔ موت الذباب . وفى خامسه أوّل كانون الأوّل من شهور السريان . وفى سابعه آخر الليالى البلق وأوّل الليالى السود . وفى حادى عشره يبتدىٔ الشجر فى رمى أوراقه . وفى ثانى عشره تظهر البراغيث . وفى سابع عشره أوّل فصل الشتاء ، وهو أوّل أر بعينيات الشام . وفى ثامن عشره يتنفس النهار . وفى الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفى الثالث والعشرين منه أوّل مردوماه [٣] من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأوّل سنتهم . وفى الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفى السادس والعشرين منه تلقح الابل . وفى السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل . وفى الثلاثين منه يبتدىٔ تقليم الكروم

﴿ شهر طوبه ﴾ فى زرع القمح فيه تغرير . وفيه تشق الأرض للقصب والقلقاس . و يتكامل النرجس وفى أوّله تهبّ الرياح الشديدة . وفى ثانيه يدرك القرط . وفى سادسه أوّل كانون الثانى من شهور السريان . وفى عاشره آخر أر بعينيات مصر . وفى حادى عشره أوّل نصب الكروم . وفى ثانى عشره يشتدّ البرد . وفى ثالث عشره يبتدىٔ زرع المقات . وفى سابع عشره يبتدىٔ غرس الأشجار . وفى ثامن عشره تبتدىٔ كثرة الندى ، وهو آخر الليالى السود . وفى تاسع عشره يبتدىٔ وقوع الثلج بالشام وغيره . وفى الرابع والعشرين منه يبتدىٔ صفو ماء النيل . وفى التاسع والعشرين منه يبتدىٔ اختلاف الرياح

﴿ شهر أمشير ﴾ فيه تغرس الأشجار . وتقلم الكروم . و يدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البنفسج والمنثور . وفى رابعه يبتدىٔ إفراخ النخل وفى سادسه أوّل شباط من شهور السريان . وفى حادى عشره يبتدىٔ إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفى ثانى عشره يبتدىٔ تحرّك دواب البحر . وفى الثانى والعشرين منه ثانى جمرة فاترة . و يبتدىٔ مرض الأطفال . و يبتدىٔ خروج ورق الشجر . وفى الثالث والعشرين منه يبتدىٔ خروج الدواب للرعى . وفى الرابع والعشرين منه أوّل خوردادماه من شهور الفرس . وفى الخامس والعشرين منه يبتدىٔ هيجان الرياح . وفى السابع والعشرين منه تبتدىٔ ثالث جمرة حامية . وفى الثامن والعشرين منه أوّل المفرطات . وفى التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

﴿ شهر برمهات ﴾ فيه تزهر الأشجار و يعقد أ كثر الثمار . و يزرع أوائل السمسم . و يقلع الكتان . و يدرك الفول والعدس . وفى ثانيه يحمد خروج الدم . وهو أوّل الأعجاز . وفى ثالث عشره تفتح الحيات أعينها . وفى خامس عشره تطيب الألبان . وفى سادس عشره يبتدىٔ خروج دود القز . وفى ثامن عشره يهيج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سيأتى قريبا أن نيروز الفرس وأوّل سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مروج الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية

وفى تاسع عشره ظهور الهوامّ . وفى العشرين منه يزرع السمسم . وفى الرابع والعشرين منه أوّل تيرماه من شهور الفرس . وفى السادس والعشرين منه يبتدئ شرب المسهل . وفى السابع والعشرين منه خروج الذباب الأزرق

﴿شهر برموده﴾ فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفض جوز الكتان ، ويكثر الورد الأحمر ، والبطن الأوّل من الجميز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيار شنبر . وفى أوّله يؤكل الفريك . وفى رابعه يعصر دهن البلسان . وفى خامسه تبتدئ كثرة الزهور . وفى سادسه أوّل نيسان من شهور السريان . وفى ثانى عشره يخاف على بعض الزرع . وفى ثامن عشره آخر قلع الكتان . وفى العشرين منه ينهى عن أكل البقول . وفى الثانى والعشرين منه ظهور الكمأة ، وفى الثالث والعشرين منه اختتام الكبير للزرع . وفى الرابع والعشرين منه أوّل تردماه من شهور الفرس . وفى الخامس والعشرين منه نهاية مدّ الفرات . وفى الثامن والعشرين منه يبيض النعام

﴿شهر بشنس﴾ فيه يكثر التفاح القاسمى . ويبتدئ التفاح المسكى . والبطيخ العبدلى والخوفى ، والمشمش والخوخ الزهرى . والورد الأبيض . وفى نصفه يبذر الأرز . ويحصد(١) القمح . وفى سادسه أوّل ايار من شهور السريان . وفى رابع عشره يجمع الخشخاش . وفى ثامن عشره يجمع العصفر . وفى الحادى والعشرين منه تبتدئ برودة الأرض . وفى الرابع والعشرين منه أوّل شهر برماده من شهور الفرس

﴿شهر بؤنه﴾ فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البونىّ وهو الديفور . والخوخ الزهرى والمشعر . والكمثرى الوهى . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . ويقطف جمهور العسل . وفى ثالثه يبتدئ توحم النيل . وفى سادسه يكمل الدرياق . وفى سابعه أوّل حزيران من شهور السريان . وفى تاسعه يبتدئ مهب الريح الشمالية . وفى عاشره يبتدئ تنفس النيل . وفى خامس عشره تتحرك شهوة الجماع . وفى ثانى عشره عيد ميكائيل . فى ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع فى مكان ويوزن عند طلوع الشمس فما زاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع . وفى ثالث عشره يبتدئ نقص الفرات . وفى رابع عشره تهبّ الرياح السمائم . وفى تاسع عشره تذهب البراغيث . وفى العشرين منه تهيج الصفراء . وفى الثانى والعشرين منه يعقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفى الرابع والعشرين منه يثور وجع العين وهو أوّل مهرماه من شهور الفرس . وفى السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل . وفى الثامن والعشرين منه ينادى عليه . وفى التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

﴿شهر أبيب﴾ فيه يكثر العنب والتين ويقلّ البطيخ العبدلى ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى زيادة النيل . وفى رابعه أوّل نهى أبقراط وفيه يموت الجراد . وفى سابعه أوّل تموز من شهور السريان . وفى عاشره يبتدئ وقع الطاعون . وفى ثانى عاشره تبتدئ قوّة السمائم . وفى ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفى سابع عشره تغور العيون . وفى ثامن عشره يجمع السماق (٢) وفى الثانى والعشرين منه يدرك الفستق (٣) وفى الرابع والعشرين منه أوّل أبان ماه من شهور الفرس . وفى السادس والعشرين منه طلوع الشعرى اليمانية . وفى التاسع والعشرين منه يدرك نخل الحجاز

﴿شهر مسرى﴾ فيه يعمل الخلّ ويدرك البسر (٤) والموز وتتغير طعوم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض . ويدرك الليمون التفاحىّ . ويبتدئ إدراك الرمّان . وفى رابعه نقصان الدجلة . وفى خامسه أوّل العصير . وفى ثامنه أوّل آب من شهور السريان . وفى ثانى عشره فصال المواشى . وفى رابع عشره تقل الألبان . وفى خامس عشره تسخن المياه . وفى سابع عشره تختلف الرياح . وفى ثامن عشره يحذر لسع الهوامّ وفى الثامن والعشرين منه آخر العصير . وفى الرابع والعشرين منه تهيج النعام . وفى الخامس والعشرين منه تكثر الغيوم . وفى الثامن

(١) بسكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم المشددتين (٣) بسكون السين وضم بقية الحروف
(٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين

والعشرين منه آخر السمائم . وفي التاسع والعشرين منه أول آذرماه من شهور الفرس .

﴿ أيام النسيء ﴾ ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين

هذا ما أردت نقله هنا من كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها الذكي لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس والقمر إذ ذكر إنه أحياها وأخرج منها حبا وجعل فيها جنات وعيونا وثمارا نأكلها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر فبدأ بالمسبب ثم أتبعه بسببه . فالمسبب هي هذه الزروع والحبوب والفواكه التي تضمنها ذكر الأرض اجمالا وقد فصلت بعد آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها

فيا أيها المسلمون على هـذا النمط فلتكن علوم الاسلام ودين الاسلام . فاما أن المسلمين يعرفون هـذه العلوم والافهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحميد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . انتهيت من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠ وبهذا تمت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى ــ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ــ)

إن العلم من خواص القرآن . فكم حض على العلم وأمر بالتعقل والتفكر والتدبر . إن أول سورة نزلت بنيت على العلم ــ اقرأ باسم ربك الذي خلق ☆ خلق الانسان من علق ☆ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ☆ علم الانسان مالم يعلم ــ

فاذا كانت أول سورة نزلت قد أسست على هذا الاسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أمم عرفت قيمة العلم واذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لايعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مبالغة في التفرقة وتفاوت المنازل . واذا كان العلم هذه صفته فمن حقنا أن نسهب في شرحه على مايقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجد الأمم في تحصيله . المقام الثاني في شذرات من العلوم العامة تذكرة للأمم الاسلامية

﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجد الأمم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول « الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيما قاله الفيلسوف كنت الألماني في كتاب التربية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء حبا في علم الحكمة وفيمن خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك ﴾

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول ﷺ « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكلما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى عمومه داعية كثر وجوده كالقصدير والنحاس والحديد . وكلما كان الاحتياج اليه أقل كأن كانت له مزية بها يحكم الناس في مبايعاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثرا لذهبت تلك المزية لأن كثرتهما يتلوها رخصهما ورخصهما يستدعي نصب الناس وتعبهم في حمل الكثير منهما لأجل البيع والشراء إذن الحكمة تامة في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويليه الماء ثم الأقوات للحيوان والانسان لأن الحاجة تدعو لذلك ولكن الدواء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسانى هكذا الذهب والفضة أشبه بأولئك الأفراد فى المعادن . وههنا ظهر معدن آخر أندر من الذهب والفضة بل أندر جدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذى خلق ليكون له السلطان الأعظم فى عوالمنا الأرضية . ذلك المعدن الذى يهلك من اقتربوا منه من غير احتراس ويشع فى الظلام . ذلك المعدن الضارّ النافع فهو شديد الضرر كثير النفع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفة خواصه . لذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ما صارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادّة لينتفعوا به ويحترسوا من ضرره ، فهذا المعدن العجيب أشبه بالحكماء فى الأرض فكما أن هذا المعدن قلّ وجوده وكثر نفعه هكذا أولوا الألباب الذين خلقوا لرقىّ النوع الانسانى العاشقون المغرمون بمنافعه يقلون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم تتناول أمما كثيرة كما أن الراديوم يتناول أعمالا كثيرة مع قلته فى المعادن ، ولعلّ هذا الوصف شاقك أيها الذكىّ أن تعرف خواص الراديوم الذى ضربه الله مثلا لحكماء الأمم الذين يخلقون فى الأرض لينفعوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهاك ما جاء فى « البلاغ الأسبوعى » يوم الأربعاء ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(الراديوم وخواصه العجيبة)

الراديوم مسحوق أبيض يشبه فى شكله ملح الطعام والرطل منه يساوى فى ثمنه ألف رطل من الذهب وذلك لندرته واذا تيسر لشخص أن يحوز القليل منه فقل انه قد حاز مالا وفيرا وثروات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أو رطلين فى مكان معين واقترب منه أى عدد من الاشخاص لماتوا كلهم ولما بقى منهم أحد ، والغريب أن الانسان يمكنه أن يضع فى يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم مّا ولكنه يراها تتقشر وتتفتت طبقات بعد مضى أسبوع ولربما عمى من أمسك بذلك المسحوق وانتابه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذى يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضعه فى أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة فى جيب صديريه ولكنه اشتدّ ما كانت دهشة الجميع عند ما رأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصديرى محمرا وأخذ يتساقط وسرعان ما تكون خرّاج مؤلم بشع المنظر لم يندمل إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع فى الظلام كوهج النيران تماما . والعجيب فى أمره انه يشع باستمرار ضوأ وحرارة ومع ذلك لا يفقد شيأ من وزنه وهكذا فهو كشعلة من الفحم تتقد على ممرّ الأيام ولا تفنى ولا تزول ويمكننا اذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيب بواسطته فى كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوّة المستمرّة التى كدّ علماء الماضى فى البحث عنها . واذا وضعنا كمية كافيــة من الراديوم فى فرن قاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أى مجهود فى تنظيف القاطرة أو اعطائها كميــة أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم فى صندوق من الورق القوى لمدّة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق ونزع منه أنابيب الراديوم ورمى الصندوق فى ناحية من نواحى منزله شاهد أن ضوأ ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتصّ بعضا من شعاع الراديوم وبالفعل كل مادّة تلاصق الراديوم لابد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهنالك نوع من أصباغ الراديوم تدهن به مفاتيح الخطوط الكهربائية وذلك لأن المفتاح يولد كهربائية لا بأس بها كلما أدرناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيرة فى تغطية مينات الساعات أو بندول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلصق بزجاجات السم تنبيها للمقترب حتى يبتعد عن الخطر

لاشك انك تعجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الثمن لا تساوى فى قيمتها أكثر من خمسين قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطى بطبقة من سلفات الزنك مضافا اليها

قليل جـدا من الراديوم . إنّ قطعة بسيطة من الراديوم لاتزيد فى حجمها عن رأس الدبوس . واذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك تكفى لتغطية أوجه مئات الآلاف من الساعات . واذا فحص الانسان ميناء الساعة من خلال مجهر وجد جملة فرقعات صغيرة تحدث بالاستمرار بين الذرات وهذه الفرقعات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠) مرة فى الثانية . فوظيفة الراديوم هى توليد حركة فرقعات متوالية تشعل الزنك وتجعله ينير ويبقى الراديوم الذى فى وجه الساعة باقيا بينما الزنك يبلى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبنى البشر . ففيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك يشفى الأورام والجراحات ، وفى كل بلد كبير من بلدان العالم مستشفى به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لايستعمل الطبيب فى عمله قطعة تزيد فى حجمها عن رأس الدبوس ومع ذلك ثمنها مئات من الجنيهات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فكان سلسلة طريفة من القصص المتتالية : ففى سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسى باكوريل يجرى بعض تجاربه فى بعض المعادن التى تضىء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس معدنا يقال له بتشبلند وهو أحد أكاسيد الاورنيام غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها و بعد ذلك درس أثر ذلك المعدن فى الألواح الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذى يجرى فيه تجاربه مطيرا لذلك وضع اللوح الفوتوغرافى ووراءه الورق الحساس وعليه المعدن فى مكان خفى حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند مارفع اللوح وشاهد تكوّن صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادّة لها خواص الراديوم و بينما كان الاستاذ كورى وزوجته يجريان التجارب العامية شاهدا أن معدن البتشبلند الذى كانا يستعملانه أقوى فى تأثيره من الاورنيام ، وعند ذلك أيضا شاهدا هناك مادّة أقوى أخرى غير الاورنيام هى التى يجريان عليها تجاربهما ، وعندئذ أخذت مدام كورى تجدّ حتى تمكنت من فصل المادّة الأخرى الغريبة التى يجريان عليهما تجاربهما ، وذلك انهما كانا يشتريان فضلات مناجم الاورنيام و يغليانها حتى رأيا المعدن الجديد الذى سمته كورى بالبولنيوم نسبة الى بولندا بلادها وموطنها

و بعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد فى غلى الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، ولاستخلاص الراديوم لابد لنا من الحصول على معدن البتشبلند القليل الوجود وهو لايوجد إلا فى النرويج ومصر وكارولينا الشمالية وكلورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلاصه من عروق الذهب ، واذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلابد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البتشبلند ، واذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل ملء قمع من أقماع الخياطة (كستبان) فلابد لنا من تكرير ما يعادل حمل قاطرة من البتشبلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقدعرّض العلماء أنواعا من الحيوانات لشعاع الراديوم ففقدت شعرها و بصرها ثم ماتت بعد ذلك . واذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على ثروة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر فى إشعاع حرارته وضوئه مدة ستمائة سنة ثم تصبح قوّته نصف ماكانت و بعد ستمائة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضى عشرين ألف سنة يتحوّل كله الى رصاص

و بالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن الى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه فى القريب العاجل . ولوأمكنهم الحصول على كل القوّة الكامنة فى الذرّات لأمكنهم تحويل مايريدون ولانقلب العلم رأسا على عقب

وقد أدّى اكتشاف الراديوم ودراسته الى نظرية غريبة هى أن كل الذرّات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح فى المجموعة الشمسية حول القطب ولن يمكن فناؤها وفقط تتغير من حالة لأخرى و بخاصية التغير هذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يغيروا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى

ماجاء فى مجلة « البلاغ الاسبوعى » والحمد لله رب العالمين

هاهوذا الراديوم وهذه خواصه وعجائبه . ياسبحان الله و ياسعدانه . أليس من العجب أن أرواحنا جاءت الى هـذه الأرض وهى أشبه بالغريبة عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهى لاتزال تتخبط مدى الدهور والأعوام فيها لاتهتدى فيها سبيلا ولاتجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت فى الأرض نباتا وحيوانا ونظاما جميلا ، ورأت أن الحيوان غرائز قد كفته السعى فهو يعيش بقوانين لاعوج فيها ولاخلل بل هو يسير منتظما محفوظا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشر بنى آدم فاننا أخذنا نتخبط فى هـذه الدنيا وطفقنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجعنا الى الكتاب الذى أمامنا فرأيناه كتابا جميلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وماهذا الكتاب إلا هـذا الوجود ، فقرأنا سطورا وسطورا تعلمنا منها إيقاد النار والغزل والنسج والسفر فى البحار فى السفن وهكذا من كل ما تقدم بعدّ بالعشرات فى ﴿ سورة طه ﴾ عند آية ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ فهناك تجد أن علوم بنى آدم أوّلا أخذوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وحده نقص لنا

هنالك قيض الله من الناس قوما منزلتهم فيهم منزلة الماس والياقوت والاسرب من المعادن . فهذه المعادن الثلاثة مسلطة على المعادن بل هذه الثلاثة بعضها مسلط على بعض فان الأسرب الحقير هوذو السلطان على أخويه المسلطين على البقية . أفلاترى إذن أن أقصّ عليك ديانات الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانات الأمم . انظر تر أن دين البوذية الذى له السلطان على نحو ثلث أهل الأرض اليوم المنتشر فى الهند الذى هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا فى البقعة التى جاء فيها وليس له سلطان على افريقيا ولاعلى أوروبا ولاعلى غربى آسيا . وتجد دين كونفسيوس الذى انتشر فى الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يتعدّ دائرة الصين واليابان وهو بمعزل عن الأقطار الأخرى . وتجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانيهم

أفلاترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسلطة على بقية المعادن بالقطع . فياسبحان الله وياسعدانه . انظر الى دين الاسلام الذى نزل فى جزيرة العرب التى اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أمم العرب أقرب للاخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهم لما نزل دين الاسلام وعلموا انه رحمة للعالمين كلها طاروا فى الأرض شرقا وغربا فدخل هـذا الدين على البوذية فى ديارهم وعلى أتباع كونفسيوس فى عقردارهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أمم النصارى أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وسارعوا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله فى الهند فألصقوه بهذا الدين وجاؤا بالأب وبالابن وبالروح القدس وجعلوا التثليث المنقول عن دين الهنود قيمة دينية وجعلوا لهم مبشرين متبعين البوذية التى ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هذا المقام فى آخر ﴿ سورة المائدة ﴾ فانك ترى مافى الأناجيل منقولا عن دين بوذا وعن الدين الذى قبله بالحرف بلاتصرّف ولاتعقل

انتشر الاسلام فى الأقطار ولايزال ينتشر الى الآن كما تقدّم فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ منقولا عن علماء أوروبا وهناك للمسلمين ملوك عند خط الاستواء ولهم سياسات ونظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل فعل العرب أحـد من الأمم فى الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم فى الأرض . هؤلاء نظروا . فماذا يجدون ؟ يجدون الأمم ساكنة خاملة . بحثوا عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبيه ﷺ آمرا له ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ ثم أكد ذلك بقوله ـ إنما يتذكر أولوا الألباب ـ هنالك قالوا لنبحث عن العلم أما الدين فقد نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف انما تكون

بالعقول

بالمقول والمقول كلها متضامنة . واذا كنا نجد الله يقول لنا إن الغراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون الأموات فى قبورهم وسمعناه يقول ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين ـ

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والثبور على نفسه لأنه لم يتفطن لعلم عرفه هذا الغراب . هذا الغراب الذى هو أقل منه درجات ، هذا الغراب الذى هو حيوان خلق مقدّمة وذخيرة لهذا الانسان ، فكيف يعرف المفضول ويجهل الفاضل ؟ هذا عار ، لذلك فعل ابن آدم فعل الغراب ووارى سوأة أخيه ، عرف ذلك كله آباؤنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لنبحث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه الأمّة التى حفظت علومها فى خزائن ملوك النصرانية وحرموا قراءتها ، فلنبعث تلك العلوم من خزائنها ، هنالك أرسل أبوجعفر المنصور لملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل المأمون لملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى فحاربه وبهذا انتشرت العلوم فى الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أمم وأمم وتغيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فماذا صنعوا ؟ حاربوا العلوم وقالوا كفانا الوضوء والصلاة والاجارة والسلم والبيع وعقود الأنكحة والقضايا والدعاوى والطلاق وهكذا مما دوّنه الفقهاء فى كتب الفقه وناموا نوما عميقا ، فماذا تمّ بعد ذلك ؟ أذن الله للعلم الذى نشره أولئك العرب أن ينتقل بحذافيره من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدى تلاميذ ابن رشد فى الأندلس وقال الله : أيها العرب الأندلسيون . آباؤكم كانوا صالحين لحمل أمانتى ، أما أنتم فانكم شعراء غزليون شهوانيون فهاأناذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أدّيتم وظيفتكم وهى نشرالعلوم فى أوروبا لأن النبىّ العربىّ رحمة للعالمين ، فرحمتى لكم بمحمد انكم مؤمنون به ورحمتى لأوروبا أن العلم الذى تسلمه آباؤكم من اليونان ينتشر على أيديكم فى أوروبا وكفى فاخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تمّ فى القرن السادس الهجرى وبعد ذلك الانتقال تمزّقت وحدة المسلمين فى الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتهمتهم الأمم المسيحية ورجعوا بخفى حنين ومات كثيرمنهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألوف وألوف . هذا هوتاريخ العلم والدين انتشرالعلم فى ربوع أوروبا وقد قلنا ان الذى أوصله هم آباؤنا أولئك الذين صاروا فى آخرأمرهم شعراء بدل أن يكونوا علماء وكأن الله قال لهم :

أيتها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاعرا بل كان نبيا وأنزلت عليه ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ وأنتم تركتم العلم واكتفيتم بالشعر ونبذتم الحكمة التى رقاها أسلافكم فانهم هذّبوا علم اليونان ونشروه ، فهاأناذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيه لقوم آخرين ، فأما أنتم فان ضياع أوقاتكم فى مدح الملوك والغزل والمناظرة بين الورد والمطر وما أشبه ذلك من كل ماهوخيالى فليس بعلم بل هوشعر ـ والشعراء يتبعهم الغاوون ✲ ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون ✲ وأنهم يقولون مالايفعلون ـ وأنا أرسلت النبىّ العربىّ للعلم لا للشعر ، ولم أسوّ بين العالم والجاهل ، هذا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات الأمم اجمالا مع العلوم

يقول مؤلف هذا التفسير : فهاأناذا أحد أبناء حملة هذا الدين وهم العرب وقد جئت فى زمن بين زمانين زمن الخمول وزمن النهوض ، هاهى ذه روحى قد جاءت فى هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية وانما قلت غريبة لأنى أرى لها مطامع عالية وأرى هذه المطامع كلها يدل عليها العلم ويؤيدها الدين لأنى أراها لاتقف عند حدّ فهى روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكنى أراها روح مسكينة تتلمس العلم والمعرفة هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الخمول . لقد نظرت فرأت علوما تنشر وعلماء فى مصر وفى الشرق وفى الغرب . هنالك أخذت تقرأ تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير ، فعلىّ إذن أن أنظر فى علوم الأمم التى جاءت بعد ذهاب مجد آبائنا العرب . هل زادوا فى العلم شيأ بعد ماتسلموه من آبائنا ؟ فاذا رأيتهم زادوا شيأ وجب علىّ أن أقول لقومى من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخـل فى الاسلام بل الاسلام دين عام . فإذن أنا أخاطب كل عاقل لأن دينى هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذى جعلوه خاصابهم ولا كالديانات الأخرى بل هو دين عام لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخاطب كل الأمم فأقول :

هاهوذا العلم وقف حيث تسلمه الاوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيأ ؟ نظرنا فرأيناه زاد كثيرا ، فوجب علىّ إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهـم : أيها المسلمون : ــ هذه بضاعتنا ردّت الينا ــ بل إن الذين تسلموها من آبائنا قد زادوها والله يقول ــ قل هل يستوى الذين يعلمون ــ الخ فهاهوذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضى التجدّد بالقرائن كقوله تعالى ــ يحيى ويميت ــ فالاحياء والاماتة تتجدّد كل وقت هكذا العلم يتجدّد كتجدّد طلوع الشمس وغروبها فى كل يوم ، إذن علينا أن نجدّ فى العلوم دائما لا أن نقف عند حدّ إطاعة لاشارة القرآن والله الذى له الملك وله السموات والأرض لما نقل العلم عن آبائنا الى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجدّدوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غيرنا أحسن منا فى تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهـذه العلوم يأمر بها ديننا ويذم من يجهلها ، وفى هذا التفسير زهرات وثمرات من بساتين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجاب أن نرى القوم داوموا البحث فى الراديوم حتى استخلصوه من البتشبلند وأن مقدار ملء قمع من أقماع الخياطة (كستبان) يحتاج فى تخليصه الى قاطرة من البتشبلند والى خمسة آلاف عملية ، فانظر الى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آبائنا وزادوه وتعاونوا جميعا على النهوض والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذى لايزيد عن مقدار مايغطى رأس الدبوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطى أوجه مئات آلاف من الساعات ، ونرى فى أوجه هذه الساعات فرقعات صغيرات بين الذرات مسرعات فى جريها (٢٠٠،٠٠٠) مرّة فى الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فملأ الكرة الأرضية ، فاذا كانت الديانات الأخرى قد دخلها التحريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها محصورة فى أماكن خاصـة ، فههنا هذا الدين انتشر فى الكرة الأرضية وأصبح كالراديوم ينير الأمم أينما حلّ ويحمل معه العلم فالاسلام دين العلم وان كان الحاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كالراديوم مجهول نوره وسيستخرج العلوم التى أمر بها أناس من قرّاء هذا التفسير وأمثاله كما استخرج (باكوريل) خواص الراديوم ، واذا كان دين الاسلام كالراديوم من حيث انه انتشر فى القارّات كلها وليس دينا منقولا عن غيره ومن أكبر خواصه نشر العلم . والديانات الأخرى القديمة المبدّلة منزلتها كمنزلة المعادن الأخرى التى صار الراديوم أرقى منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم فى سائر العلوم كمنزلة المعادن ومنزلة العلماء الذين لهم السلطان على العلوم كلها بحيث يفكرون فى النظام العام ويقرؤن العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون فى هـذا الوجود نظرة عامّة منزلتهم من علماء العلوم الخاصة منزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون فى هذا الوجود كله نظرا تفصيليا هم القوّامون على الشعوب فى الأرض وهم الذين يجدّدون البحث والتنقيب فى هذه الأرض والله يقول ــ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ــ بالفعل المقتضى للتجدّد وقتا بعد وقت كما يقوله علماء علم المعانى

ثبت إذن أن العلماء الباحثين فى هـذا الوجود قليل ونادر ، واذا حكم الله عزّ وجل بأن لا نبىّ بعـد خاتم النبيين ، فهاهوذا سبحانه يأمرنا بالبحث وأشرف الباحثين هـم الناظرون فى هذا الوجود كله نظرة عامّة ، فهاأنا ذا الآن أيها المسلمون فى الفصل الثانى الآتى بعد هذا سأنقل ماذكره أكبر عالم فى ألمانيا وهو (كنت) فى علم التربية قياما بحق أمانة العلم التى سلمها الله لآبائنا بالوحى أوّلا وبالنقل عن العلماء ثانيا . فاذا نقلنا علم الأمم

الاوروبية ثانيا الى لغتنا العربية فمعنى هذا اننا أخذنا نتسلم العلم من القوم كما تسلموه من آبائنا

هاأناذا أيها المسلمون نظرت بعد مئات من السنين فى العلوم التى نقلها الفرنجة عن آبائنا وهاأناذا نقلت وأنقل بعضها وهاهوذا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهاأناذا أقول لكم انكم ستقرؤن علم القوم ولابد من أن تستوعبوها نقلا وفهما . ثم لتقوموا برقىّ الأمم كرة أخرى . أنتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة التى ستكون بعد مغادرتنا هذه الدار ستكونون أنتم — خير أمّة أخرجت للناس — . ذلك أنكم بعد أن تستوعبوا علوم أمم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يفعلوا شيأ ، نعم حصل بعض الارتقاء المادّى الضعيف ولكننا لانزال نرى الانسانية فى حال طفوليتها ، فواسوأتاه : نبينا رحمة للعالمين ، فلنكن نحن رحمة للعالمين والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأمم اليوم أشبه بالنساء النادبات ، يموت الميت فيشققن الجيوب ويلطمن الخدود ، هكذا هذه الانسانية الجاهلة لم نجد لها رقيا ، وهل هذه العلوم هى الرقىّ ؟ كلا . هانحن أولاء نرى الحشرات تفتك بالزرع فيقل المحصول ويهلك من الأمّة المصرية وحدها فى السنة نحو (٧) مليون جنيه بسبب الحشرات فمابالنا بالأمم الأخرى ! وهكذا نرى الغابات فى خط الاستواء لو استولى عليها النوع الانسانى وأخضعها له لأصبح الانسان غير الانسان اليوم والأرض لاتزال مستعصية على الناس فترك الناس هذا كله ورجعوا يتحاربون ويتقاتلون جهالة ونذالة وخسة ، فهم لايبعدون فى التشبيه عن النساء النادبات فان الناس أشبه بجسم واحد تضرب الانسانية بعضها ببعضها ، ولوكان فيهم حكماء وعلماء أحسن من هؤلاء لعلموهم أن الانسانية كلها اذا ولت وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق فى السعادة ولكان الانسان أرقى من الحيوان الذى جعل مقدّمة له وخادما ، فهو الآن لم يرتق عن النمل الذى يحارب بعضه بعضا لقلة علومه ومعارفه

ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نبينا ﷺ وهو رحمة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أيتها الانسانية تعالى انظرى معنا — تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم — لننظر فى الطبيعة ، أليست مشتركة بين الأمم ، قوموا فلنحاربها معا ولنخضعها ، وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها آباؤنا ، هنالك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تعم فيه العلوم والمعارف سائر الأمم ويذهب الحرب ويحصل السلم ويذهب من الأرض ذلك الوصف القبيح وهو الدّجل وادّعاء المسيحية وليس فى الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحقة هى التى تمنع الحرب والذين قالوا إنا نصارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا فى الحديث انهم أتباع المسيح الدجال الكاذب . والاسلام فى المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار الفضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب ولاحرب فى المسيحية فأين هى اليوم إذن ؟ والاسلام سيعلن الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح واقرؤا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن الله جعل لنا السلطان عليها فمدّوا أيديكم للتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك

وليس يعمم ذلك إلا رجال مصلحون هم خيرة الأمم ونسبتهم الى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديوم الى بقية المعادن

اذا عرفت ذلك أيها الذكىّ فلأسمعك ماوعدت بنشره من آراء (كانت) الألمانى فأقول :

﴿ الفصل الثانى من المقام الأوّل ﴾

(فيما قاله الفيلسوف «كانت» الألمانى فى كتاب التربية)

اعلم أن هذا الكتاب المسمى «كانت فى التعليم» قد ترجم من الألمانية الى الانجليزية بواسطة (انيت تشرتون) وقد وضعت له المقدمة السيدة (رايزدافيدس) والكتاب مشتمل على مقدّمة وأربعة فصول المقدّمة فى النظام العام فى التعليم وموازنة تعليم الانسان بغرائز الحيوان وكيف كان للحيوان غريزة استغنى

بها عن التعليم والانسان محتاج اليه وكيف يربى الأطفال والتلاميذ وهكذا ﴿الفصل الأوّل﴾ فى التعليم الجسمى الطبيعى ونظام الاطفال فى الرضاعة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك ﴿الفصل الثانى﴾ فى تعليم العلوم ﴿الفصل الثالث﴾ فى اخضاب هذه العقول الانسانية بالعلوم وتحليتها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بما عرفوه فى الفصل الاوّل بالتلقين ﴿الفصل الثالث﴾ فى الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهذيب ﴿الفصل الرابع﴾ فى مزاولة الانسان أعماله ومعاملته للناس فى الحياة وذلك يشمل رحمته للانسانية العامّة وأعماله الخاصة فى نفسه واستنتاجه هو نفسه ببصيرته ، و بالجملة كل مايدخل فى دائرة أخلاقه فى نفسه ومع غيره ، فلنقتصر فى هذا المقام على ترجمة المقدّمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف إيفاء لبعض معنى قوله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ ولقوله تعالى ـ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ✿ علم الانسان مالم يعلم ـ . ابتدأ المؤلف مقدّمته قائلا :

(١) الانسان هو الذى يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

(ا) تربية الأطفال فى المهود بالعناية الخاصة والتغذية

(ب) والتهذيب بمنع الطفل مما يضرّه

(ج) وتلقيه العلوم

فهو طفلا يحتاج الى الحضانة ، وغلاما يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهذيبه ، وتلميذا يحتاج الى التعليم

(٢) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعليم فقد سنت سنن لاعوج فيها . أفليس من العجب العجاب مثلا أن أفراخ الخطاطيف عند خروجها من البيضة وهى لاتزال مغمضة الأعين لم ترالنور نراهنّ يحترسن غاية الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهنّ . إذن الحيوان ليس فى حاجة الى حضانة تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفء و بعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوان فى حاجة الى الغذاء أما الحضانة فلا . إن الحضانة تشمل شدة العناية بلطف والحيطة الشديدة التى يقوم بها الوالدان محافظة على الأبناء كأن يحمياهم من مزاولة أعمال تضرّبهم فهذا كله لاحاجة لصغار الحيوان به . ألاترى أن صغار الحيوانات المولودة حديثا لو أنها رفعت أصواتها بالبكاء كما يفعل صغار الانسان لسارعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها وافترستها ساعة ولادتها

(٣ و ٤ و ٥) إن التهذيب يقلب مافينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بما منح من الغرائز لايعوزه التمييز والاختيار . فهنالك قوّة أخرى دبرت له مايحتاجه . أما الانسان فهو الذى لاتقوم له قائمة إلا بتدبيره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يجدّ فى كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان فى أوّل نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هنالك قيض له أمثاله من الناس فعلموه مايحتاجه . وليست خصائص الانسان تأتى له فجأة بلا ترتيب ولاتعقيب بل تظهر فيه تدريجا شيأ فشيأ ولكن ذلك أوّلا بادراك ببصيرته وثانيا بجدّه واجتهاده هو لا بالغرائز كالحيوان . و بعد التهذيب وتحسين الخلق يكون تعليم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعليم ثم أخرنا التهذيب لرجع الانسان فى آخر أمره الى الحال الوحشية التى منها نفر كل حين . إلا ان التهذيب هو الذى يمنع المرء من رجوعه من حالة الانسانية التى هى نهايته الى الأخلاق البهيمية التى فرّ منها . بالتهذيب يحفظ المرء من الاندفاع فى سبل الشرّ ومواقف الخطر والوحشية والتهذيب أمر سلبى لا إيجابى لأنه يهدى الانسان الى أن تكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الايجابى فى التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهمها . إذن التهذيب منع فهو سلبى

والتعليم تلقين فهو إيجابى لاسلبي . أولهما نهى وثانيهما أمر . وأولهما تخلية وثانيهما تحلية . بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسموّ الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . يرسل الصبى للمدرسة فليكن أوّل ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشيه . يؤمر فيأتمر لاغير ولاتبين له الأسباب لأنه لايفهمها بل يكون ذلك أمرا عمليا . ههنا قيدنا حريته وأحطناه بقوانين فاذا لم نفعل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يعتد تقييد تلك الحرّية بقوانين فانه بعدفوات زمن الصبا لايعدل بها شيأ ولايمتثل لما ينصح به وترسخ فى الناس عوائدها فلاتهذيب ولاتأديب ، وهل يهذّب الذيب ! لذلك تجب المسارعة الى التهذيب من أوّل الحياة حتى لايستعصى أمرها اذا كبرالانسان ، فلتصقل تلك الخشونة التى فى الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يعوزهم حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . فحال التربية الجسمية بالحضانة فى حال الطفولة ، وحال التربية العقلية بسبيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا سلبى ، واصلاح العقول وتكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابى

(٦) إن صغار الحيوان لاتتعلم شيأ كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم صغارها كيف تقلد أمّهاتها فى أصواتها الخاصة بها إذ تقف الصغار حول أمّهنّ مصطفات اصطفاف التلاميذ فى المدرسة وتسمعهنّ نغماتها الخاصة بأبناء نوعها وهنّ يقلدنها بحناجرهنّ الصغيرة حذوالقذة بالقذة فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فانها هى التى تعلم صغارها أصواتها بل لوانا رفعنا نصف بيض عصفور الكنارى المعروف ووضعنا بدل مارفعناه منه بيضا لعصفور دورى ثم فقس البيض كله وأخذ الكنارى يغنى بصوته الخاص فاننا نسمع مما خرج من بيض العصفور الدورى صوت الكنارى المغنى لاصوت العصفور الدورى فدلّ ذلك على أن الطيور تتلق الصوت بالتعليم فهى كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذى يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحقّ أن يعلمه ، وكم من المعلمين من هم فى حاجة الى تهذيب نفوسهم واكمال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لوأن عالما آخر أعلى من هذا الانسان علمه لعرفنا اليوم من هذا الانسان ، نحن الآن لايسعنا تقدير هذه الانسانية ولامعرفة قواها ، وكيف يتسنى لنا معرفة ذلك ونحن لانزال نرى صفات كانت بارزة فيه واضحة أزالها التهذيب وصفات أخرى مختفية أبرزتها التربية والتعليم

(٧) لوأن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن نحا نحوهم تعاونوا مع ذوى المواهب العالية من الشعوب وأخذوا فى ترقية الانسانية معا لأمكننا بهذه الطريقة القويمة أن نخبر عن مواهب هذا الانسان والى أىّ حدّ يصل فى ارتقاء مواهبه ، ولكن مما لايسع العاقل العادى أن يجهله ويجدر بالحكيم المغرم برقىّ الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى المقامات الرفيعة من الملوك والأمراء لايهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العامّة إلا بقدار مايسمو به سلطانهم وترتفع به فى الناس أقدارهم ، فأما سعيهم لارتقاء الانسانية درجة أودرجات لتقرب من الكمال فذلك ليس يعنيهم ولايهتمون به

(٨) ليس من الناس أحد بلغ درجة التعقل والتبصر والتمييز بعد أن أهمل ذووه تعليمه فى الصغر إلا وأخذ يسأل نفسه قائلا : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من نقص التعليم ؟ » (وهذان تشملهما التربية العامّة) . إن الرجل الذى لم يعلم يعدّ رجلا غير ناضج فهو نيء وغير متقن ، وأما الرجل الذى لاتهذيب عنده فهو رجل غير منظم الحياة ولاموزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشدّ وطأة وأضرّ بالانسان من نقص التعليم فان العلم يمكن تداركه فى الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيهات هيهات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته فى الصغر . إن الخطأ فى تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو فى التهذيب والتعليم خطوة الى الأمام ويسلمها للجيل الذى بعده وهنالك ترتقى الانسانية شيأ فشيأ جيلا فجيلا وتقترب من كمالها خطوة خطوة إذ لاسبيل لبلوغ الانسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولاجرم أن هنا أمرا جديرا بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذى تستفيده الانسانية من دوام التعليم وارتقاء الانسانية فيه جيلا فجيلا ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتقاء التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة فى الانسان واستكمالها وهذا يجعل الانسان أسعد حالا وأنعم بالا مما هو الآن ، إن ماننتظره من رقىّ القوى الانسانية بكمال التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونقدر فى أنفسنا أن الانسانية لابد من ارتقائها ، فاذا فعلنا ذلك أمكننا السير فى هذه السبيل ، أما اذا يئسنا من هذه الفكرة مدّعين اننا لن ننالها لأننا لم نزاولها فذلك يبعدنا عنها مراحل ، كما اذا فكرنا فى أمر الحكومة وبحثنا عن هيئة الحكومة العادلة التى لاخطأ فى أحكامها فقلنا لاسبيل اليها لأننا لم نزاولها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقىّ الانسانية ونحققها فى أنفسنا ضاربين صفحا عما أمامنا من العقبات الصادّة عن إتمام غاياتنا فى ذلك ، واذن يكون تحقيقها ممكنا ولاتحقيق لعمل إلا بعد انضاج الفكرة فيه والاقتناع بها

إن التعليم فى أيامنا الحاضرة لايؤدّى الى رقىّ الانسانية ، وكيف يؤدى اليها والأمم مختلفون فى الطرق التى يسلكونها . فما الذى يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذى يحدث فى الانسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسلمها الجيل المتعلم الى الجيل الذى بعده ليقترب كل جيل من الغاية العالية شيأ فشيأ حتى تتحقق الآمال بالتدريج وهناك تكون سعادة الانسانية . ولأضرب لك مثلا نباتا يسمى (اريكيولا) اذا نبت بطريق بذره وحرثه وسقيه خرجت أزهاره ذات ألوان بديعات جميلات فأما اذا بقيت جذوره للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فان أزهارها لاتكون إلا ذات لون واحد وتذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقش والتزويق التى كانت فى زهرات العام الماضى . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين فى النبات خبئت فى البذرة فبرزت . أما الجذور الباقية فيما بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الانسان فان لم يكن التعليم مستمر الرقىّ والابتداع فيه فان ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لاتشفى من علة ولاتروى من غلة ولاتدفع عارا ولاتطفئ نارا

كم فى الانسان من مزايا مخبوءة فى جبلته لم تبرز للوجود . فعلينا نحن أن نجعل هذه الاصول الصالحة تظهر وتنمو حتى تصل بالانسان الى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل الى غايته واستكمل قوته التى لاقوة وراءها بلاروية ولافكر . والانسان عليه أن يجدّ ليصل لغايته ولن يصل الى ذلك اذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أوّل الفكر آخر العمل . وبدون الجهاد الفردى لن تتم للانسان غايته . فلنتصوّر والدين كملت أخلاقهما واستكملا مواهبهما وجعلا أنفسهما مثلا لأبنائهما . فاتبع الأبناء الوالدين اتباعا تقليديا بلاروية ولا تعقل ولا بصيرة فان هذه الذرّية تظهر بعض مواهبها لاجميعها وذلك بمجرّد التقليد . إن الناس فى الأزمنة الخالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثاقبة لترقية الانسانية العامّة . بل حتى الآن فى أيامنا هذه لانجد رأيا ثابتا لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضى أن الجهاد الفردى لبلوغ الغاية الانسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردى لانجاح فى الوصول اليها بل لاتكفى أفراد قليلة . فليعمل كل فرد فى الناس لهذه الغاية . إن الانسانية العامة لاسعادة لها إلا بسعى جميع أفرادها فى استكمال مواهبها

هذه هى الحقيقة التى لامراء فيها . إن التعليم صناعة ولايتم كمالها إلا بجهاد أمم كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذى بعده ليقترب من الكمال واستنبات بذوره الكامنة حتى يقترب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانسانى نحو نصيبه من الكمال

إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من نفسه المزايا الشريفة التى كمنت فى جبلته وخاطبته تلك العناية قائلة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولوألقيت الينا معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقىّ الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك الفضائل واستنبات تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لانفس السعادة وعلى الانسان أن ينمى تلك البذور الكامنة فيه فهى لم تضع فيه نفس السعادة بل مقدماتها ولم تحطها بغريزة تستكمل نموها بخواص الغريزة ، فالواجب على الانسان أن ينمى تلك البذور وينمى صفاته العقلية ، واذا أحسّ بالضلال فى سيره فليهتدِ الى طريق الصواب بقوانين الآداب العامة ، وههنا تثور مشكلة يصعب حلها ويشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالفطنة والبصيرة . والفطنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعليم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالشئ متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يحمل علم الجيل الذى قبله ويزيده شيأ يسيرا من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذى بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء بطىء تدريجى لافجائى حتى يرد هذا الاشكال . فكل جيل يزيد على ماورثه مما قبله قليلا قبل أن يسلمه لمن بعده . فلعمرى ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التى تضمنتها هذه السبيل التى شرحناها والطريق التى أبناها . وهل هى شئ غير تبيان الا مكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم نصل اليه بعد

وههنا تثار مشكلة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن فى جهادنا الفردى نسلك السبيل التى سيسلكها النوع الانسانى جميعه فى أجياله المتتابعة ولاجواب على هذا الاشكال إلا بالحيرة بأن نقول نعم هنا مشكلتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون فى تحقيق معناهما . ولكن المدنية الحالية التى وصل اليها الانسان هى التى تمكنه من أن يتصوّر امكان الوصول الى الغاية المنشودة التى نحثّ عليها وليس فى الامكان أن تخطر هذه الفكرة العالية فى عقول الأمم أثناء وحشيتها

وعلى ذلك يعسر علينا أن نفهم كيف كان الانسان الأوّل . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتمدينة الآن كان آباؤهم ذوى صفات وحشية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدّهم الى مجرّد القراءة . فهكذا نقول مع هذه الأمم الراقية بالنسبة للكمال المنشود الذى كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديما استحق أن يقال له انه « ابتدأ يعيش فى الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه المخبوءة فيه بالعناية المطلوبة وجدّه واجتهاده بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه فى المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لاصناعة والعناية القدسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب

ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ما ترى به واستكمال قواه بالتعليم التقليدى بلا بصيرة ولافكرة ولاتعقل

وتمييز . فبــذور الكمال المخبوءة فى الانسان ومحاولة استخراجها بصــناعة التعليم يكونان إذن أمرين متشابهين متحدين فى أنهما لا بصــيرة فيهما ولا كتاب منير . إن كل تعليم تقليدى بلا بصــيرة ولا فــكرة تستقرّ فى ثناياه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم لا أساس لها ولا قانون تسير على مقتضاه . فلا رقىّ لنوع الانسان إلا بالتعليم المبنى على البصيرة والتعقل لا أن يكون الاستاذ كالآلة المتحركة على مثال غيره . بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج جميع مواهبه ، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقدوة والتقليد فيما يزاولون ، فاذا نجح الأطفال فى تقليد الآباء فانه لابد من الدراسة والتعليم ليميزوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة . والذى يتعلم بلا بصــيرة تعلما آليا ليس يفعل شيأ إلا انه يعطى الخطأ الذى استحوذ عليه وأنواع الغلط لتلاميذه ويكرّرها له كما وعاها

إن الاصول التى يجب أن يكون عليها التعليم فى المستقبل هى أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهى ان التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضا ارتقاء الانسانية العامّة فى المستقبل واستخراج قوى كل فرد . تلك هى الطريقة التى تتخذ فى فــكرة الانسانيــة العامّة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام . إن الآباء يحتذون فى تعليم أبنائهم المثال الذى يختطونه هم لانفسهم ولا يبالون بالخير فى المستقبل للعالم أيكون صالحا أم يكون فاسدا ولــكنهم أجدر أن يذكروا الأبناء بالخير العام لنوع الانسان فى المستقبل ولــكن ههنا نقابل مسألتين عويصتين : الآباء يربون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة . والأمراء والملوك يربونهم لأجل ممالــكهم و بقاء سلطانهم . فههنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء فى خطة محدودة . أما الرقىّ الانسانى فلا نظر فيه لا للآباء ولا للأمراء . فالآباء غاياتهــم منازلهم والملوك غاياتهم ممالــكهم . فلا هؤلاء ولا هؤلاء موجهو هممهم الى غاية الانسانية العامة النافعة ولا الى استــكمال قوى الفرد الــكامنة فيــه التى يسعى اليها و يستعدّ لها بفطرته . فليكن التعليم مؤسسا على فــكرة استــكمال قوى الانسان . وهنا يرد سؤال فيقال : إن التعليم بقصــد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهى عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فانه (وان ظهر فى بادئ الرأى أن قصد الفرد المنفعة العامة ضارّ بمصالحه الخاصــة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفــكرة) فان الرقىّ النفسى إذ ذاك حسن فى ذاته ونافع أيضا فى أعمــاله الحالية الفردية فضــلا عن العامة . وكم من الفوائد العوائد على المرء بهذه السبيل . إنه بالتعليم العام تظهر المواهب الفاضــلة الــكامنة فى الانسان . و بذور الرقىّ يعوزها أن تظهر شيأ فشيأ لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق فى طبيعة الانسان ، وهل الشرّ إلا نتيجة إهمــال الطبائع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكما لا هوادة فيه . ليس فى الانسان إلا قوى الخير . من هو الذى يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لاتمام سعادته . أهم الملوك أم هم الشعوب ؟ إن الذى يعلمه هــم نفس الشعوب . هم الذين يتقدّمون الى الــكمال عن رغبــة منهم واجتهاد فيصلون الى نصف طريق الــكمال والملوك يبنون بعد ذلك تعليمهم على ذلك و يثبتونه و يوطدونه . أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم فى تعليم الأمم . ذلك لأنهم يعوزهم التثقيف والتهذيب فى تعليمهم الأوّل . فــكم يقاسون من مصاعب ومشاق فى أعمــالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ فى إبان تعليمهم إذ هم لا يجدون فى صباهم من ينهاهم عن شرّ أو يبعدهم عن ذنب فــكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شدائد ومحنا لا يستطيعون الصبر عليها فــكيف يوكل لهــم أمر تعليم الأمم . إن الشجرة التى تــكون فى حقل منفردة تنمو وهى معوجة ناشرة أغصانها باتساع ذات اليمين وذات الشمال بينما الشجرة التى فى وسط أشجار أخرى فى غابة تنمو بضغط ما حولها عليها طولا لا عرضا مستقيمة لا معوجة تبحث عن الهواء وضوء الشمس من أعلى . هكذا تــكون حال هؤلاء الأمراء . وعلى كل حال يجدر بهؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خير لهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليبلوا حلو العيش ومرّه . نعم نحن ننتظر الخير فى التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم . إذن التعليم

العام سيواجه نفس الشعوب فى جهادهم الخاص . فلا يصلح الأمراء أن يتكل الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه (باسيدو) وآخرون غيره لأننا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للاصلاح العام فى التعليم كما ينظرون الى اصلاح ممالكهم وهم لا يريدون إلا الغاية التى يقصدونها فى تلك الممالك . نعم هؤلاء ينفقون اذا كانت غاية انفاقهم جرّ المنفعة الى خزائن حكوماتهم بل الجامع العلمية العالية (رجال الأكاديمى) لا يعيرون خير الانسانية العام إلتفاتة وربما يفعلون ذلك فى المستقبل ، أما الآن فانه قليل

إن إدارة المدارس يجب أن يكون اعتمادها إذن على حكم ذوى الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردى أوّلا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدريج »

و بعبارة أصرح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم فى العلم الذين لهم نظر ثاقب واسع و يجدون لذة فى التثقيف العام للأمم وهم متصفون بمسرة ولذة لاحدّ لها بالرأى المؤدّى الى أحسن الامور فى المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الانسانية نحو غرضها السامى أمر ممكن حصوله »

فهل بعد هذا نعتمد على الأمراء الذين ينظرون الى رجال أممهم كأنهم قطعان من الأنعام فى ضمن ممالكهم . وجلّ قصدهم اذا فعلوا خيرا عاما أن يعلنوا الدعاية لأنفسهم انهم يريدون خيرالانسانية وهم اذا أرادوا تثقيف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا لحاجة فى نفس يعقوب قضاها ، فهم لا يعلمون الشعوب إلا على نموذج مايقصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أوّلا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وليجدّوا فيه على مقدار استعدادهم هم لا إرادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخير العام وارتقاء الأمم فلا نجتزىء بأن نجعل الأمم ذات نشاط فى أعمالها بل يجب أن نحمل الناس على الكمال الأدبى وليجدّوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر فى علومه ومعارفه وآدابه . وههنا أخذ يبين فى الفصل الثامن عشر ملخص ماتقدّم . أوّلا ان التربية تشمل :

(١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور
(٢) وتثقيف العقول بالمعارف
(٣) وازدياد البصيرة والتعقل بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرىء بما يناسب عوائده
(٤) واعمال البصيرة فى الغاية المطلوبة لكل امرىء بحسبه

وأخذ فى الفصل التاسع عشر يبين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبى العام متروك لا ينظر اليه الناس كثيرا ، فعلى الأساتذة أن يبينوا للأطفال فى إبان صباهم أن الرذيلة فى نفسها ممقوتة مكروهة منبوذة ولا يكتفون بقولهم ان الله حرمها . كلا . بل هى فى نفسها ممقوتة لذلك حرّمها الله

وأخذ فى الفصل العشرين يبين أن التمرين العملى فى المدارس لابد منه لأن ذلك مقدّمة للتمرين فى أمور الحياة العامة فى المنزل وفى السياسة

وأخذ فى الفصل الحادى والعشرين يبين أن التربية تشتمل كما تقدّم على عناية الوالدين أوّلا وعناية المدرسين ثانيا وعلى الهداية فى أعمال الحياة ثالثا فى تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة

وفى الفصل الثانى والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام واما خاص » وأطال فى ذلك

وفى الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص فى المنازل »

وفى الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلى ، ثم حكم أن التعليم يستمرّ الى السنة السادسة عشرة من الحياة و بعد ذلك يعلم كيف يتعقل هو بنفسه ، وعلى المدرّس أن يهديه السبيل فى تعلمه حتى يكتمل بنفسه تحت ارشاده ، وأبان انه فى أوّل أمره يكون تأديبه عمليا ، فاذا عقل وكبر أعطى الحرّية فى الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تضر حريته حرّية غيره ، و يعلم كيف يضبط عواطفه بنفسه لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له فى مستقبل حياته

ثم أبان أن التربية من نتائجها ما يأتى : تهذيب النفس وصلاحيتها لرعاية المنزل وتدبير الأمة وموافقته والحياة العامة والنظر لخير الانسان العام ، فالأول شخصى والثانى منزلى ومدنى والثالث للانسانية العامة اه

هذا ما أردت نقله من الكتاب المسمى «كنت فى التعليم» إذ ترجمت أكثر المقدمة وعسى أن أترجم بقية الكتاب فى مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألمانى) الذى تحترمه الأمم حولنا . ولم أنقل هذا إلا لأريكم أيها المسلمون الآراء الشائعة فى أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرت الآن فيه النفع العام فهو يحرص على أن يكون الانسان الواحد مريدا الخير للأمم الانسانية جميعا وهذا عجب جدا وكيف يقول (كنت) «إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم الدنيوية . وهاهى ذه المدنية ارتقت ولم تبلغ النهاية . فاذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقى حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجده كما استخرجت قوى الحيوان بغريزته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فياعجبا : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى — وقل رب زدنى علما — . ألم ينزل فى أول ﴿سورة العلق﴾ — اقرأ وربك الأكرم ﴿ الذى علم بالقلم ﴿ علم الانسان مالم يعلم — فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان مالم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن — آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم — . إذن كل ماوجدناه قولا حقا فى صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهى ذه آية — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون — قد فصل بعض معناها فى كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانهاية لمعانيها وهذه بعضها . هاهوذا كنت الألمانى يقول هنا ما كتبته فى سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا ثم هم الذين يقومون بالخير العام للأمم لأننا جعلنا — خير أمة أخرجت للناس — (انظر فى سورة ابراهيم فى آية — وذكرهم بأيام الله — وفى آية — وقل رب زدنى علما — فى ﴿سورة طه﴾ فهناك تجد تفصيلا لهذا المقام) وليعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرنا مع ديننا . فاذا كان هؤلاء بعقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرقوها فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا نزيد بأن ديننا يأمر بجد الانسانية جمعاء . فهذه ميزتنا وهذه هى التى ستحمل قراء هذا التفسير وغيره أن يكونوا — خير أمة أخرجت للناس — لأن المدنية الاوروبية ناقصة فليكن الكمال فى مدنيتنا المستقبلة . أليس مايقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى — يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا — . ألم يؤذن بلال الحبشى فى الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لايرون فى الأرض من يساويهم . إن الاسلام سوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حراسا على كل أمة متى ارتقينا ونحن الآن فى مبدأ الحياة

ههنا اطلع صديقى العالم الذى اعتاد أن يحدثنى فى هذا التفسير فقال لى : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألمانى وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا — خير أمة أخرجت للناس — كما قدمت ذلك . فقلت نعم فقال ولكنى رأيت فى كلامه مايدل على الطعن فى الأمراء فما الداعى لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا النمط الذى ذكره . انا اذا لم نطبق العلم على أحوالنا فلافائدة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأمرائنا أم ندرس نحن فلانتكل عليهم كما يقول هو . وقصدى من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التاريخ حتى نستنير به . فقلت : ليكن الكلام فى ﴿زبرجدتين : الزبرجدة الأولى﴾ فى ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكرهم (كنت) ﴿الزبرجدة الثانية﴾ فى إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبوهم ملكهم وكيف كان الحكم فى مصرهم وكيف ترقت البلاد المصرية فى أيام المغفورله (محمد على باشا) وكيف كان رقيها تبعا للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعا لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعلما شعبيا لاتعلماحكوميا وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأوّل وكيف كان ذلك كله موافقا لكلام (الاستاذ كانت) الألمانى . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهى ان التعليم لابد أن يكون عاما والشعب هوالذى يقوم به و بيان ماجاء فى الأحاديث من الحثّ على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء فى الفصل الثالث من المقام الأوّل وهو أن بعض الملوك أحبوا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذى علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلأبدأ بالكلام على الزبرجدة الأولى فأقول :

﴿ الزبرجدة الأولى فى فذلكة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام «كنت» عنهم ﴾

إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآريه) وكانوا قديما ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أخصاص (جمع خص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطن للحيوانات المفترسة ولاتصلح إلاللصيد والقنص ومناخها رطب كثير الضباب وأرضها كثيرة السباخ ولكن هم أصلحوها فيما بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا فى الزمن الذى ذكرناه فهنالك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (اودين) ماعدا الصكصونيين ، وكان جلّ اعتمادهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترتقى رويدا رويدا الى أن حصل لها الذل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الحماس فى البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وفازت ، والفضل فى رقيها إذ ذاك انما هو لمملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابارتو) وضع الأمة الألمانية فى أدنى الدرجات وأذلها ذلا شديدا فبمساعدة الوزير (سطين) للملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فارق أبطل والحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشا لم يعهده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابوليون بونابارتو أن ذلك الاصلاح موجه للاستعداد لمحاربة فرنسا فضغط على الملك (فريدريك) فعزل وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدوّ لفرنسا فنجا بنفسه الى روسيا ومع ذلك لم يقف الاصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم المدرّسون والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التى حددت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفا . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوما وتأتى بآخرين بدلهم حتى عمّ التعليم الحربى روسيا وانتصرت وفازت ألمانيا . وهى وان انتصرت كان التحاسد لايزال كثيرا بين الأمراء والولاة إذ هى (٣٩) ايالة وأمراء الايالات كانوا ظلمة وقد وعدوا رعاياهم بأنهم اذا قهروا نابليون أعطوهم الحرّية والاستقلال . فلما قهروه وانكسر الفرنسيون وحبس نابليون فى جزيرة القديسة (هيلانه) نسى أمراء ألمانيا عهودهم ووعودهم واستمروا فى الاستبداد والظلم ولكن الأمير الذى مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موفيا بعهده هو (فردريك غليوم) صاحب بروسيا التى هى أكبر ايالة فى ألمانيا ولكنه لم يفعل شيأ إلا انه اكتفى بترتيب المجالس فى كل مديرية

هنالك قامت قيامة الأساتذة فى المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرّية وقاموا على الحكومة فنكلت بهم الحكومات ومنعوهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وقاموا يهدمون صروح أمرائهم حتى ان أمير ايالة (برونسويك) وهو الدوق المغضوب عليه من الشعب فرّ هاربا لينجو بنفسه وهكذا فى سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة فى باريس وانتشرت بسرعة فى داخل ألمانيا فطلب الناس تشكيل حكومات حرّة وأن يتم الاتحاد الجرمانى وقام أهل برلين بثورة بالسلاح . وفى ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالى

والعساكر فى برلين فتردّد الملك فى أمره طويلا . وفى ١٧ منه وعد بالحكومة المنظمة فطلب الأهالى اخراج العساكر من برلين . وفى ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراى فما أطلقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرّت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأنفس . هنالك فى اليوم الثانى سلم الملك بمطالب الأمّة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأمته و بعد أخذ وردّ التأم مجلس عام من ٥٠٠ جرمانى فى مدينة فرنكفوت فى ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان وقتى وهكذا استمرّت ترتقى الى الآن

هذا أيها الذكىّ القول المجمل فى أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى (كنت الألمانى) يظهر نقص الأمراء فى تعليمهم شعوبهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم مراؤن ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية فى أمراء الألمان تعرّفنا ﴿ أمرين : الأوّل ﴾ لماذا تحامل عليهم العلامة (كنت) ﴿ الثانى ﴾ أن سيرتهم تعرّفنا لماذا تأخر المسلمون وكيف كان تقصير أمرائهم فى تعليمهم هوأصل العيب والنقص فى تعليمنا وتأخرنا وذلك هوالذى أذكره فى الزبرجدة الثانية

﴿ الزبرجدة الثانية فى أحوال أمم العرب قديما وحديثا الى آخر ماتقدّم ﴾

اعلم أيدك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله فى الأرض لتكون نبراسا للأمم وقد تمّ ذلك فى العصور الأولى و بلغوا المشرقين والمغربين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم فى الأمم وانهم لم يجعلوا كذلك لأجل قضاء شهواتهم بل هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال لمجرّد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غارالله عزّوجل على عباده وطرد أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التى هى منبع العلم فى العالم قديما فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال افريقيا وهكذا توغل الترك فى ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم الدين جزاء وفاقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى (كما تراه موضحا فى آية ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة ـ الخ فى ﴿ سورة النمل ﴾ إذ ترى هناك انهم ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رحيم وعدل وحكيم ، فهؤلاء الترك لما سلطهم الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفورله (محمد على باشا) وأخذ يرقيها هو ونسله نحو (٥٠) سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة (كنت) المتقدّم فالتلميذ يتعلم لمقصد الحاكم لا لمقصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل الشعب كان يتعلم باسم الأمير ولغايات مقاصده ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ تعليم خال من الحرّية والتعليم اذا خلا من الحرّية كان ضئيلا ولذلك لم يكن فى البلاد مدارس حرّة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندى وهو (أحمد عرابى باشا . وهل تعلم هذا فى المدارس ؟ كلا . بل هوجندى فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخضع له الضباط المتعلمون فى المدارس الحربية فى مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مقهورة والمتعلمون فيها أذلاء لاحرّية لهم . فلو كان لهم حرّية لقام بالثورة الضباط المتعلمون فى المدارس الحربية ولكن الثائر جندى فلاح رأى الظلم فقام لحربه . قام يطالب بحرّية أمته ولكن أمته لاتزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فماذا حصل ؟ قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوى الذى اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الخيانة ودخل الانجليز ، فماذا يصنعون ضيقوا دائرة العلم ، فماذا تفعل الأمة ؟ هنا انفتحت بصائرها فأخذت تعلم أولادها لأنه أيقظها ﴿ أمران ﴾ التعليم الحكومى السابق . والثورة العرابية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت المدارس الأهلية وانتشرت الجرائدفيها فاستيقظت فى (٤٠) سنة فقامت بثورة ضدالانجليز فأعطوها الاستقلال الداخلى . فهذا انما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قاموا بالثورة . فأما تعليم الحكومة الذى سبق الاحتلال فان الثائر جندى لم يدرس فى المدارس فما صدق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعليم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكفى لرقىّ الأمة . إذن يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأمر التعليم وهذا هوالدين الاسلامى

أيها المسلمون : هاهى‌ذه ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أذلها ملوكها ومنعوها الحرّية فجاهدوا وارتقوا . والذى أسرع فى رقيهم إذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريرهم والأمم الاسلامية لم تكن العقبة فى سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أوضحت هذا المقام فى ﴿سورة الكهف﴾ عند آية ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ وفى ﴿سورة سبأ﴾ عند آية ـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ـ الخ وفى ﴿سورة الشعراء﴾ عند الكلام على السحر . وعقبة الدول المستعمرة ، هاهم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) فى أواخر القرن الخامس الهجرى كانوا يحرّمون على أتباعهم النظر فى العلم وعدّوه ذنبا ، وهاهم أولاء شيوخ الصوفية فى كل زمان ومكان يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا انصائحهم وهذه أكبر العقبات فى نهوض المسلمين ، وهاهم أولاء ملوك بنى عثمان كانوا هم أهمّ السبب فى نقص التعليم فى ديار الاسلام ، وهاهى ذه أمم أوروبا مادخلت بلادا إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم

اللهم إن هذه العقبات الثلاث هى المانعات من رقىّ المسلمين ، وأنا أقول بانتشار مثل هذه الآراء فى هذا التفسير وغيره فى بلاد الاسلام تزول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الاوروبيين من أهم أسباب ظهور الحماسة فى قلوب الشعوب الاسلامية

وهاأنا ذا أوضحت الأمر للأمم الاسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

﴿ نغمات الحكمة ﴾

لما ترجت هذا الموضوع وكتبته هو ومابعده انشرح صدرى انشراحا تاما وأحسست بمسرّة عظيمة ، و بينما أنا سائر بعد ذلك فى شارع السيدة زينب الذى أمام الباب الغربى للمسجد الزينبى بمصر فى يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك ضحى إذ سمعت نغمات موسيقى تصدح فى دكان لجلب المشترين فخيل لى فى أقلّ من لمح البصر أن هذه حفلة أنس فى أمم اسلامية بعد عشرات السنين قد انتظم التعليم عندهم وقرؤا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمم الاسلامية الحالية فهم لذلك مبتهجون بنعمة العلم والحرّية لا انهم مستعبدون للفرنجة مثل كثير من المسلمين الحاليين لجهلهم ، وهذا الخيال المفاجئ لى أوقفنى ثوانى وأنا بهج طرب فرح واغرورقت عيناى بالدموع ، ومن عادتى أن لا أظهر مايجيش بخاطرى مثل هذا لأن هذه خواطر لاتتعدّى صاحبها ، ولما أفقت من غشيتى السارّة أتممت المسير

هذا ومن عجب أن الأمم الاسلامية الحاضرين لو علموا أن هولندا والدانيمارك والسويد والنرويج قد قطعوا أشواطا بعيدة فى التعليم وعمموه لأفراد الشعب و بعض ولاياتهم قد أقفلت محاكم جناياتها كما مرّ قريبا فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لو علموا ذلك لدهشوا أشدّ الدهش وقالوا كيف يكون ديننا أوّل مانادى بالتعليم العام وأجابت دعوته أمم أخرى والمسلمون نيام ، اللهم إنى أبرأ اليك من الكتمان وأسألك أن توقظ المسلمين للتعليم العام اهـ

﴿ زبرجدة فيما جاء من الحثّ على العلم فى الأحاديث الشريفة ﴾

نذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن مايسمعونه من الأحاديث فى الحضّ على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلون على ملوكهم) هوآخر ماوصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن ألمانيا التى يضرب بها المثل فى العلم لم تهتد الى النتائج التى جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التى سأذكرها إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها الدماء ، وهذه الأحاديث بين أيدى المسلمين ولكنهم يقرؤنها لمجرّد التبرك ومجرّد العلم ، أما العمل فلا حقّ على المسلمين قول أبى الدرداء لزياد بن لبيد الأنصارى فيما سيأتى لما سأل الثانى الأوّل قائلا : كيف يختلس العلم منا وقدقرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه أولادنا ونساءنا . فقال ثكلتك أمك يازياد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تغنى عنهم الخ فهاك الأحاديث التى وعدتك بها من كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل فى فضل العلماء ﴾

عن أبى أمامة رضى الله عنه . قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم . فقال : فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم . أخرجه الترمذى وصححه ✲ وفى رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها والحيتان فى البحر يصلون على معلم الناس الخير

وعن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد . أخرجه الترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : سئل النبى ﷺ أىّ الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم . قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا . أخرجه الشيخان

وعن على رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه فى الدين ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين

وعنه رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى فقد أحبنى ! ومن أحبنى كان معى ، أخرجه رزين

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . أخرجه أبوداود وهذا لفظه والترمذى

﴿ الفصل الثانى فى الحث عليه ﴾

عن حميد . قال سمعت معاوية رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذى عن ابن عباس

وعن أنس رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع . أخرجه الترمذى ✲ وفى أخرى له عن سخبرة مرفوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعنى قبل الذين

يتكلمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخارى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض ، أخرجه الترمذى وعن ابن مسعود بمعناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذى لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذى لا رأس له

وعن أبي سعيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لن يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة . أخرجه الترمذى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذى

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبو داود « الآية المحكمة » هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف وماليس بمنسوخ « والسنة القائمة » هى الدائمة المستمرة التى العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها

وعن أبي واقد الليثى . قال بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفا على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة فى الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فآوى الى الله فآواه الله . وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذى

﴿ الفصل الثالث فى آداب العلم ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار . أخرجه أبو داود والترمذى وهذا لفظه ، والمراد بذلك العلم الذى يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا فى حلال وحرام فيلزمه تعليمه وجوابه ومن منعه أستحق الوعيد وليس الأمر كذلك فى نوافل العلم التى لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم . أخرجه أبو داود

وعن أبي هرون العبدى . قال . كنا نأتى أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فى الدين . فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذى وضعفه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت يارسول الله انى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسينى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جامعا . فقال اتق الله فيما تعلم . أخرجه الترمذى . وزاد رزين واعمل به «يقال كلم جامع» اذا جمعت كلمات

وعن عمر رضى الله عنه . قال لا ينبغى لمن عنده شئ من العلم أن يضيع نفسه . أخرجه البخارى تعليقا

﴿ الفصل الرابع فى آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضى الله عنهما . قال حدث الناس مرة فى الجمعة فان أبيت فمرتين وان كثرت فثلاثا . ولا تمل الناس هذا القرآن . ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه . وانظر السجع من الدعاء

فاجتنبه فانى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخارى

وعن على رضى الله عنه . قال حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه البخارى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال ماأنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة . أخرجه مسلم

﴿ الفصل الخامس فى رواية الحديث ونقله ﴾

عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نضرالله امرءا سمع مناشيئافبلغه كماسمعه . فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذى وصححه « نضر الله امرءا » بتخفيف الضاد وتشديدها معناه حسنه وجمله

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى ولو آية . وحدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج . ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخارى والترمذى قوله «حدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج» ليس فيه اباحة الكذب فى الاخبار عنهم ورفع الاثم عمن نقل عنهم كذبا ولكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه أمر تعذر لبعد المسافة وطول المدّة

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ مجة مجها فى وجهى من دلو من بئر كانت فى دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين . فاما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلوحدثتكم به لقطعتم هذا البلعوم . أخرجه البخارى وقال « البلعوم » مجرى الطعام

وعن أبى ذر رضى الله عنه . انه قال لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا علىّ لأنفذتها . أخرجه البخارى تعليقا « الصمصامة » والصمصام السيف

﴿ الفصل السادس فى كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ فنهتنى قريش . وقالوا : تكتب كل شئ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الرضا والغضب . فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأومأ باصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذى نفسى بيده مايخرج منه الاحق . أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : شكا رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله انى لأسمع منك الحديث فيعجبنى ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ استعن بيمينك وأومأ بيده الى الخط . أخرجه الترمذى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة فى الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لى يارسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأبى شاة . أخرجه الترمذى وصححه

وعنه رضى الله عنه . قال ما كان فى أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى الا ما كان من ابن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب . أخرجه البخارى والترمذى . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية . وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى قال فوالله مامرّ بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأ له كتبهم اليه . أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى

وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب رضى الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضى الله عنهما .

فسأله معاوية عن حديث فاخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه ، فقال زيد ، أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكتب شيئا من حديثه فمحاه . أخرجه أبوداود ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ، ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحه ، أخرجه مسلم والاذن فى الكتابة ناسخ للمنع منه باجماع الأمة على جوازه ولا يجتمعون الاعلى أمر صحيح وقد قيل انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن فى صفحة واحدة فيختلط به فيشتبه

﴿ الفصل السابع فى رفع العلم ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم انتزاعا فينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذى

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره الى السماء ، ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ ، فقال زياد بن لبيد الانصارى : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن ، فوالله لنقرأنه ولنقرئنه أولادنا ونساءنا ، فقال ثكلتك أمك يا زياد ان كنت لاعدك من فقهاء المدينة ، هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم ، قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت رضى الله عنه فقلت : ألا تسمع مايقول أخوك أبوالدرداء رضى الله عنه . فأخبرته الذى قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ماأول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا أخرجه الترمذى « شخص ببصره » اذا نظر الى شئ دائما فلم يرد عنه نظره كنظر المبهوت والمغمى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشئ بسرعة « والثكل » فقد الأم ولدها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبى بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا ، أخرجه البخارى ترجمة « يفشوا » يظهروا . انتهى من كتاب تيسير الوصول لجامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى من المقام الأول والحمدلله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث من المقام الأوّل ﴾

(فى الكلام على الملك والوزير الذين أحبا العلم والحكمة وزهدا فى الملك)

جاء فى كتاب اخوان الصفاء مانصه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وسلطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأى وعزيمة قد رأى السعادة فى تدبيره والكفاية فى توزيره قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول بلذته وتناول نهمته فى لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورد و يصدر بحميد رأيه وجميل نيته وحسن طويته فاقام الملك على ذلك مدة من دهره و برهة من عمره فلما كان فى بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونغصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوّته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بى من هذه العلة التى قد حالت بينى و بين اللذات حتى قد تمنيت الموت ومللت الحياة فرق له الوزير و بكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتمس الدواء ولم يدع مستطبا ولا معزما ولا صاحب نجامة وكهانة الا أحضره واعلمهم علة الملك ومايجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان جسده والتهاب حرارة فى قلبه وكبده فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيتها واضطربت الأعمال وعصت العمال وكثرت الخوارج فى اطراف المملكة وأقاصى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتحير وخاف على الملك الهلاك

فعاود الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال أيها الوزير ان العلة التى بالملك معروفة بظاهرها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الاعن حالين احداهما فى النفس والأخرى فى الجسد فالذى فى النفس ينقسم قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوّة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوّة الشهوانية والذى يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحر واليبس والآخر بضده وهو البرد والرطوبة . وأما مايختص بالنفس الناطقة فهو الفكر فى المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وانشأ و إعمال الروية واجالة الفكر فى كيفية الابتداء والانتهاء وماشا كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت فى هذا الأمر وانغلقت عليها أبوابه وتعذرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيعة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ماترى من الضعف والتغير والهزال والضنى ولايزال ذلك كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخاطر مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولايجد من يفتح عليه ما انغلق من أبوابه و يسهل ماصعب من أسبابه وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالعشق للصورة البهيمية من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل مايعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه و بين محبوبه فيظهر به من الضعف والتغيير مايكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية ور بما دخل عليه زيادة أدّته الى الماليخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك و بادواما يكون فى الجسد من العلل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالأدوية اليها ولايجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العليل الا بعد السؤال له عن السبب فى تلك العلة ماهو وكيف كان وعما كان وما أصله أهوشئ من المأكولات أسرف فى أكله أم مشروب اترف فى شربه أوغم عرض له أوهم دخل عليه أوحال اشتغل به قلبه وفكره أوصورة حسنة رآها فوقعت فى قلبه ثم حيل بينه و بينها ومنع من تناول لذاته منها وأى موضع يجد الوجع من جسمه و بماذا يختص من أعضائه وأى شئ يشتهيه وأى حديث يلهيه و يرضيه وأى سماع يطربه فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علمابه واستشهد على ماأخبره لفظا بمايدل من البرهان عليه بالحس وماتبين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض و يسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة ومايختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبائع وضعفت الأخرى أرسل الى ذلك العضو مايوافق طبيعته و يلائم قوته لينقمع به ضده الذى يضايقه فى مكانه بالملاطفة والتدريج ولا يحمل عليه بالدواء الحاد فى أوّل دفعة فانه ر بما أحدث له ذلك فسادا لايرجى صلاحه والمثال فى ذلك النار المشتعلة فى الحطب أوّل ماوصلت اليه فانها اذا قويت وألقى عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فاتلفت ماوصلت اليه واحتوت عليه فاسئل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها فلعلنا اذا عرفنا ذلك نتداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان فى أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لايبدؤهم بالسؤال لهم عما لايجب له السؤال عنه ولايهجم عليهم بذلك الا أن يبدؤه به ولايطلب الدليل على مايقولونه بل يستمع و يصدق و يسلم اليهم فى جميع أمورهم ولا يعترض عليهم فى أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يبده وحال يخفيها ولم يطلعنى عليها لاسيما فى أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لاسبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عما ذكرته لك وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك فاعلمنى به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء فأكثر الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان وما الذى كان السبب فى حدوثها به فلما سمع الملك من وزيره هذه المسئلة التى لم يكن سأله عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه ويسندوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفزع واستوى الملك جالسا على فراشه وقال له ادن منى وأعد هذه المسئلة علىّ واصدقنى فانى أرجو الشفاء بصدقك إياى وانك قدرت على الدواء فى إزالة الداء ان شاء الله فانى لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك فى أدب المملكة أن لايبدؤا من يلم بهم من عبيدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم فى خلواتهم ومايجيلونه فى أفكارهم لاسيما اذا لم يجدواله أهلا يكشفونه لهم ويودعونه عندهم ويرجون بهم فتح ماانغلق عليهم بابه وتعذرت أسبابه وقد كنت فى طول هذه المدّة التى حدثت بى فيها هذه العلة أريد من يسألنى عن ذلك فأبديه له فلم أجد سائلا يسألنى عن ذلك وكلما عدمت من أبث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة علىّ وتزايدت المحنة لدىّ فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم المجرب وعلم انه صدق وأصاب قال له الوزير أرجو أن أكون موضعا لهذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال انى كنت فى بعض الأيام قد أظهرت نعمة الله تعالى علىّ وأحضرت أجلها لدىّ وأمرت باخراج مافى خزائنى من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعته أنا فى أيامى وما ورثته عن آبائى فاحضر بين يدىّ فى خلوة من حشمى وعبيدى وخزانى الذين كانوا نقلوه الى بين يدىّ فرأيت منظرا أطربنى غاية الطرب وفرحت بها وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجزل من الغبطة والسرور والجذل والحبور فكبرت نفسى وعظم قدرى وظننت أنى قد وصلت الى مالم يصل اليه أحد غيرى وانى من أسعد السعداء ثم انى نمت فرأيت فى منامى كأنى فى تلك الحال على أحسن مايكون وأتمه وأكمله وكان رجال دولتى وعبيد مملكتى كلهم قيام بين يدىّ خاضعون لى ساجدون سامعون لقولى مطيعون لأمرى وأنا على سرير مملكتى فى محل كرامتى فبينما أنا كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب منى ينظر الىّ نظر المستهزئ غيرهائب لى ولاخاضع بين يدىّ ولامسلم علىّ مستقل بجميع ماأنا فيه وكأنه يملك مالا أملكه ويقدر على مالا أقدر عليه ويصل الى مالا أصل اليه فغاظنى ذلك منه وكأنى قد هممت بالايقاع به وأمرت به من كان بين يدى من خدمى وأصحابى من جميع أهل مملكتى ورجال دولتى أن يقعوا به وهو قائم فى مكانه يضحك بى وكأنهم لم يصلوا اليه ولاقدروا عليه وكأنه قد زاد استهزاؤه بى واستزراؤه ولم يهله شئ مما رآه فلما رأيت منه هالنى ذلك وأفزعنى فقمت من مكانى وتنحيت عن سريرى ودنوت منه وقلت له من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت الىّ ومن أين دخلت علىّ فقال لى يامسكين يامغرور بسلطان الأرض والملك الجزئى أىّ ملك أنت انما أنت مملوك ولست بمالك فلم تدّعى المحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ماأنت فيه زائل مضمحل فان وعما قليل يفارقك وتفارقه وانما الملك الملك السماوى والسلطان الالهى فان بادرت وعملت مايقرب الى ربك وصلت اليه وكنت ملكا بالحقيقة ونلت ملكا لايبلى ولذة لاتفنى فتكون ملكا بالحقيقة تفعل نفسك اذا زكت وروحك اذ صفت ماأنا فاعل وتصل الى مثل ماأنا اليه واصل ثم انه ارتفع من الأرض وأقبل يمشى فى الهواء ويجول فى الفضاء الى أن رأيته وصل الى السماء وغاب عنى فلم ير وسمعت هاتفا يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فلما رأيت ذلك منه أيقنت أنى لست بمالك وأنى مملوك كما قال وانى لست بعالم وانى جاهل وانى لست بانسان وانى حيوان ثم انتبهت وأجلت الفكر وأعملت الروية وكثر تخيلى لذلك الشخص وما قال لى ورأيت من مملكته وسعة قدرته والمكان الذى رقى اليه واشتهيت المعرفة بالعمل الذى هو وصلة اليه فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله عن تلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت فى المأكول والمشروب وأقبلت أجيل فكرى وأقلب نظرى

فى أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من يصلح أن أكشف له هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغيل بالحال التى أزرى بها على ذلك الشخص وانى واياهم مماليك وأن الأسماء التى استعرناها لاتصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدى أمرى الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام وزادنى الفكر والغم والهم والأسف فحدث بى من ذلك ماترى من التحول والتغيير فى الصفات فهذا هو سبب وجعى ومبدأ عللى وأظن انى خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذى يوصلنى الى ماوصل اليه ذلك الشخص الذى رأيته وقد خرجت اليك بأمرى وكشفت لك ماأخفيت من سرى فان كان لى عندك فرج فمنّ به علىّ وان عدمت ذلك فاكتم سرى ولاتخرج الى أحد بشئ منه كما خرجت به اليك من أمرى لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك منى ومنك و يطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلل متعذر دواؤها معدوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لى عندك فرجا لما رأيتك قد سألتنى عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معى ولمعرفتى أن فيك من الأدب الذى يصلح للملوك مالايحملك على مثل ماأقدمت به علىّ من ابتدائك لى بالسؤال عن سرى الذى لم أبده فاصدقنى كما صدقتك . قال الوزير فاعدت عليه ماكان وماجرى من الشيخ الذى أشار علىّ بذلك وأمرنى به فقال علىّ بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو أن يكون عنده الدواء فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكى وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواءها وقدرنا على شفائها ان شاء الله ثم نهض معى حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفعه وأقبل عليه وأنس به وأقبل يعيد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذى يوصل الى مثل مارأيت لايكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفته حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت تشرع فى تعليم العلم المؤدى بك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع ماملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا . قال الملك قد رضيت بذلك وطابت نفسى به وقد تعجلت بترك جميع ماكنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد فى بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه فى اقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ماانغلق من هذا الأمر وصعب من هذا السر . قال الملك فأنى لى بالوصول اليه والقدوم عليه وانا على ماترى من نحول الجسم وضعف القوة وكثرة الاعداء وماتراه من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والاعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذية الىّ وانتزاع مافى يدى من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف على فقدها ولاحزين على زوالها بعد ماسمعت ورأيت وانما أخشى ان أدرك اذا خرجت منها و بعدت عنها فاقتل وأموت فى الطريق ولاأصل الى مايكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تعجلت الذل والهوان فى الدنيا وسرعة القدوم عليه فى الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكرولنا فى ذلك تدبير آخر قال ماهو قال أنا أكتب الى الحكيم أعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله . قال الملك افعل ذلك وخف على الملك ماكان يجده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال الوزير اعلم انى قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التى كنت أجدها فى قلبى واستدعى من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفشا فى أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علته وزال عنه ما كان يجده ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فتسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن ماكان فى مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة فى ذلك الزمان يعلمه بماجرى و يسأله أن ينفذ اليه من يراه ليفتح عليه من العلم مايصلح له و يعلمه ماينبغى له فى جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعى تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لنمتثله ونأتي فيه ماتؤمله فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتما عليه فليبدأ به أحدكما فيلزمه حتى يبلغ في العلم الرياضي الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهي ثم ينفصل عنه ويلزمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذي ينبغي له فاذا رأيتماه قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم ابتدأ بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع في حبائل الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما في مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها ونضارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنتها وستردان على الملك وعلى مملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شيء منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شيء مما تريانه انفسدتما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان في دار الهوان وخرجتما من سعة الكل الى سجن الجزء قالا سمعنا وأطعنا وتوجها من حيث هما الى أقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عينا عليهما ينقل اليه أخبارهما ومايعملانه ويعاملان به الملك ثم قدما على الشيخ بالذي هما عليه من الشعث وقلة الجمال ومايليق بالنساك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدوم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ثم أمر بايصالهما اليه فدخلا عليه فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسا مجالس العلماء المفيدين وجلس الملك والوزير مجالس المتعلمين المستفيدين ثم تقدم المبتدي بالعلم الرياضي فعلم الملك والوزير حتى أحكماه وتعلماه الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انفصل الأوّل وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان في وسعه فلما فرغا مما أمرا به وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال اني لا أجد لكما مكافأة على مافعلتماه بي وتوليتماه من أمري الا أن أسلم اليكما ملكي فتدبرانه وتحكمان فيه بما أردتما وقد أبحتكما جميعه وهو عندي قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جميلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى ما رأياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المنزلتان وننال السعادتين الملك في الدنيا والآخرة وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به ثم خلا الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخي أن هذه الدنيا فانية ولسنا فيها مخلدين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها ما قد نلناه ووصلنا منها الى ماوصلنا اليه وقدرنا عليه فهل بنا نتخلى عنها ونلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذي نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لا نشك في وصول الموت الينا ونزوله علينا فلعلي وإياك نجتمع في الملك السماوي كاجتماعي وإياك في الملك الأرضي فقال افعل وقويت نيتهما وطابت أنفسهما بذلك فلما دخل الرجلان في وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريده من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتهما ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهله ان يصلوا الى مثل ماوصل اليه من ملك العلم والعمل فتعم البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهي في مقام المملكة وصاحبه في مقام الوزارة واشتغل هو ووزيره في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك لذاتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم انهما قد افتتنا بما رأياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصارا الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوي ووصلا اليه وافتتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهمكا في اللذات الدنياوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما إياه من حكمته فنسيا ما كانا له ذاكرين وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا الملك السماء وأخلدا الى ملك الأرض فاهبطا من الجنة وبعدا

من الرحمة وانقلبا على عقبيهما خاسرين فاهارا وامارا من حضرهما بعافعلا وافتتن الناس بهما وتعلموا منهما مايضرهم ولاينفعهم و بدت سوءاتهما وقالوا هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قدعادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ولولم يعلما ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراها ولارجعا اليها بعد ماعلما وزاد بهما جوح الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكماء واضدادا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنحى عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذى أنزل عليهما وأمرا بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة الملكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جوار ربهما والملائكة الذين كانوا معهما كمفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التى كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكمية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . و بهذا تم الكلام على المقام الأول وفصوله الثلاثة والحمدلله رب العالمين

﴿ المقام الثاني فى شذرات ﴾

(فى هذا المقام خمس شذرات)

(١) فى إصلاح التعليم
(٢) وفى العجائب السماوية وما يوصل اليها
(٣) وفى غرائز الحيوان
(٤) وفى الفوائد الطبية
(٥) وفى الفوائد الأدبية العامة

﴿ الشذرة الأولى فى اصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها الذكى أن الأمم الاسلامية الآن أشبه باليتيم الذى ترك وشأنه فلا مربى له وانما هو متروك للمصادفات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت فى طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتون بلاعقل ويحفظ القرآن بلافكر وجب أن أبين هنا ماساقه الله الينا من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسرى ليبحث فى نظام التعليم عندنا بمصر فأظهرانه ناقص نقصا محزنا . ولما كان تقريره مطوّلا جدّا بل هو كتاب كبير . وقد وجدت ملخص هذا الكتاب منشورا فى جريدة الاهرام يوم ٨ نوفبر سنة ١٩٢٩ رأيت أن أثبت هذا الملخص هنا ليطلع المسلمون على نظام التعليم فى الأمم الراقية الذى بينه و بين عصر الصحابة شبه من جهة الحرّية الفكرية وعدم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالخلوات ونقاوة الهواء والاجتهاد الفردى وما أشبه ذلك فهاك ماجاء فى الجريدة المذكورة تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لاتقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هى مشكلة التعليم التى لابد أن تتضافر الجهود على ايجاد حل لها حرصا على مستقبل الشباب أو بالحرى البلاد . فصيحات الشكوى التى تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والحيرة الذى يتملك الالوف من الطلبة والوالدين ماهو فى الواقع الا خوف مصر على مستقبلها ممثلا فى شعور أبنائها . وهذا أرى لزاما على كل متخصص وخبير بشئون التعليم أن يدلى برأيه

مبينا خير ما يراه كفيلا بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطنى يغار على مصلحة بلاده أن يعاون على تنفيذ ما يقترحه الخبيرون بعد الدرس والتمحيص . فالمسألة أهم من أن تهمل . وأعقد من أن تحل بزيادة الفصول وايجاد أماكن لطالبي الالتحاق وأعظم من أن تقوم بعبئها الحكومة وحدها

ثلاثة أمور لامندوحة عنها لحل مشكلة التعليم وازالة أسباب الشكوى فهى

(أولا) ــ تتطلب تغييرا فى جوّ المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

(ثانيا) ــ تستلزم تعديلا فى مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوّعا يلائم الاستعدادات المختلفة

(ثالثا) ــ اهتماما من الأهالى وتعاونا على رفع مستوى المدارس الاهلية وزيادة عددها للمساعدة على حل الازمة ونشر الثقافة فى البلاد . فاما الأمر الأوّل فقد كفانا مؤونة البحث فيه التقرير الوافى الذى رفعه لوزارة المعارف الاستاذ الفاضل اد . كلابارية الخبير المنتدب فقد استوفى فيه الموضوع بحثا من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف فى نظامها ثم أشار بما رآه علاجا لتلك العلل ويتلخص ذلك فى عشرين اقتراحا وأذكرها ليطلع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالداء يكاد يكون عاما شاملا وليس قاصرا على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهى :

(١) انقاص عدد التلاميذ فى الفرق التى يتجاوز عددهم فيها الحد المناسب

(٢) الزيادة فى تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلى

(٣) اختبار كل طفل على حدته اختبارا فرديا

(٤) تعيين معلمى فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صغار الأطفال الى سن التاسعة على أيدى معلمات فرق ان أمكن

(٥) تضييق نطاق المناهج

(٦) تعديل نظام الامتحانات الحالى تعديلا شاملا لأنه السبب فى اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى

(٧) زيادة ما للامتحان من قيمة وأثر فى اختبار التلاميذ . ولا ينبغى أن تكون الحافظة فى الأطفال الذين يمتحنون الغرض الذى يقرطس الامتحان بل القدرة على أداء عمل شخصى مبنى على التفكر والتأمل

(٨) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتون ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها

(٩) توسيع نطاق العمل الفردى وانشاء مكتبة فى كل مدرسة وقاعات يمارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم

(١٠) الاستفادة بالالعاب التى تعزز التربية فى جميع درجات التعليم وتأليف جماعات من التلاميذ للعمل معا فى أشغال معينة استفزازا لغيرتهم وتنمية لروح التعاون والتضامن فى نفوسهم

(١١) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولاسيما فى المدارس الابتدائية والأوّلية والاستفادة بالأعمال اليدوية فى أغراض التعليم ومراميه

(١٢) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق فى الهواء الطلق وبالتنزّه والترييض مع التلاميذ

(١٣) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات

(١٤) الاتئاد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الالزامى) فى إنشاء المدارس ريثما يتخرّج المعلمون

القادرون على القيام باعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق متنقلة أوجوّالة لنشر الثقافة العقلية فى الأرياف وانشاء مكاتب فى القرى واقامة سينما للتربية والتعليم

(١٦) تعديل اسلوب اعداد المعلمين تعديلا شاملا

(١٧) اقامة محاضرات أسبوعية بيداجوجيه ودروس اتقان وتجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين بسيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق فى المدارس ولارشاد المعلمين بنصائحهم وبخاصة منهم معلمى الأرياف على أن يكون تفقدهم إياهم فى مواعيد دورية منظمة

(١٩) تضييق دائرة التركيز المدرسى وارخاء العنان لحرّية المعلمين ونظار المدارس والإلانة من شدّة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التثقيفى من العمل المدرسى على الجانب الادارى

(٢٠) الاستمرار فى البحوث والتحقيقات البسيكولوجية والبيداجوجية التى بدئ بها فى سنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ م اهـ

أما الأمر الثانى أى تعديل المناهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تضييق نطاقها وتحسين نوعها واليك ماقاله :

« اتضح لنا أن المناهج فى جميع المدارس على اختلاف درجاتها غاصة بمواد التدريس فمن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالتعمق ، وعن الحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس فى طاقتنا أن نشرح بالتفصيل ماينبغى ادخاله على المناهج من التعديلات والتحويرات فان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تتهيأ لنا الفرصة للقيام به ، كما ينبغى أن يبنى هذا البحث على محادثة التلاميذ وفحص مفكراتهم ومطالعة منشآتهم فى الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التى يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التى تستظهرها الحافظة دون أن يدركها العقل »

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلاباريه نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاجتماعية العامّة وماتتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعذره كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تتهيأ له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لايعرف كل ماتحتاجه وتشكو منه ، لهذا قلت يجب على كل وطنى خبير بشؤن التعليم أن يدلى برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكانى فان أصبت فقد قمت بواجب علىّ لبلادى وان أخطأت شفع لى إخلاصى وسرّنى معرفة خطئى واصلاحه من ردّ ناقد خبير . انتهى ماجاء فى الجريدة المذكورة

انما نقلت هذا المقال برمته لأنه استوفى التقرير الذى كنت أودّ تلخيصه وقد كتبه العالم السويسرى المتقدّم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمى ، فههنا أشبه بالعمل وفيما تقدّم أشبه بالعلم ، وهذا هو التوفيق أن يجتمع كلام ألمانى وسويسرى ويوجهان لرقىّ المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأمم الاسلامية فوائد التعليم الثانوى مما اطلعت عليه وقرأته فى كتب مختلفة وفى كلام الكاتب المتقدّم أيضا

اعلم أيها الذكىّ كما تقدّم فيما نقلته عن (كنت) الألمانى أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعوزه التعليم والتربية ، واذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفرد الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتدّ تباينه كلما اشتدّ تباين المطالب ، فالاختلاف بين حاسة الذوق واللمس أقلّ

من

من الاختلاف بين حاسة الذوق والبصر لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخر لاملامسة له

ففى المدارس الثانوية :

(١) أولا تنمى القوى فى التلاميذ بحيث تصلح للسير فى المجتمع أولا وتستفيد من الأحوال الطارئة فى الحياة فلاتقف على حال واحدة بحال جمود

(٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما وزعت الأعضاء والحواس على مطالب الانسان

(٣) وكما اننا نجد حاسة اللمس تبتعد عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقترب من حاسة الذوق إذ هاتان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملاصق هكذا أفراد الأمة فانها كلما ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالعين والآخر كاللمس أو كالذوق ولكن لابد من نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء المتنافرة فى بدن واحد لاتجتمع بل تتفرق ، ألاترى أن الحيوان اذا مات تفرقت أجزاؤه ، إن الذى جمعها الحال العامة فى الجسم من التغذية والشراب والأعصاب والعروق والدم والشحم واللحم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وان اشتد الخلاف بينها ففيها اتفاق واتحاد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواعث الاتحاد كثرت على مقدار بواعث الاختلاف هكذا فى الأمة ، فاذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابغون كل وصل الى منتهى الكمال بحسب زمانه بحيث صار القاضى والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع فى فنه ، فهذه البراعة تقطعه عن أمته و يصبح كأنه ليس منها لأنه لاصلة بينه و بين المتعلمين إلا صلة ضعيفة فهنالك يجدر أن يكون التعليم الثانوى كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابغين اتحادا أتم على مقدار الاختلاف الشديد فى المهن المختلفة

(٤) ومن جملة المطالب التى تقتضيها المدارس الثانوية الاستعداد للمدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا هو المطلب الذى لايطلب سواه قديما بالمدارس الثانوية ، أما الآن فان الأمر أعظم كما قررناه بل لها وظائف أخرى تقدمت ويأتى باقيها

(٥) الانتخاب المدرسى ، ومعنى هذا أن فى الناس من ليس لهم استعداد ولاميل للتعليم العالى فهؤلاء يجب أن يتعلموا مايليق لهم ، ومن لايستعد للتعليم الثانوى يجب أن يتعلم صناعة تليق له

(٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد فى حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود فى هذه الأرض يراه ويحس به فيطلبه . هكذا يجب أن يجعل للمتعلمين فى المدارس نماذج لكل ماتحتاج اليه الأمة فتكون فى المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل مايليق له . وكما أن الانسان لولم ير الثمر أو الموز أو التفاح فانه لايطلبه هكذا لايتسنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة أو صناعة الكهرباء إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شئ يختص بها

﴿ فائدة ﴾

لقد كان قدماء اليونان يضعون فى هيا كلهم صورا مختلفة للصناعات المختلفة ويمر عليها الصبيان فاذا رآها الصبى وأحب إحداها عرفوا أن هذا هو استعداده ، وهذا المقام قد بينته فى كتابى « أين الانسان » تبيينا أتم وكشفا أظهر فاقرأه إن شئت

وهنا يجدر أن أثبت هنا مقالا كتب فى جريدة الاهرام فى يوم الخميس ٢٨ نوفبر سنة ١٩٢٩ فى الرد على من ذم التعليم الاجبارى العام وهذا نصه :

(معنى التعليم الاجبارى)

(حول مقال كاتبة)

حملت الكاتبة النابغة الآنسة في عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ حملة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤدّ للبطالة واقفار الريف وازدحام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل أمى فى مصر يشتغل وأما طائفة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لوكانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم أفنديا معسكره العام فى القهاوى والبارات فى انتظار وظيفة تهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لوكانت الغاية من التعليم قذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا وبحجة أنه لوكانت الغاية ايجاد الشبان ذوى المناديل المشرئبة من الجيوب وذوى ربطة الرقبة المرصعة بالدبوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الآنسة مقالها بقولها انها واثقة من أن الشبان المصريين لايحنقون عند قراءة ماكتب الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النابغة فى الخاتمة كما أخطأت فى المقدمة . كما أخطأت فى جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يخطئ ثلاثا

إن الشبان المصريين يحنقون ثم يحنقون لمناصرتها الأمّية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتصببين أوالشبان المتكهلين من أنصار القديم

بيد انى أجلّ الكاتبة عن هذا الخطأ المثلث وألتمس لها العذر ثلاثا لأنى لا أخالها إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظنته تعلما راقيا يخرج شبانا مثقفين وفتيات مثقفات ملمين وملمات باللغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية

هذا مافهمته الكاتبة النابغة بنتيجة التعليم الاجبارى . فاذا كان هذا ما تريد وتعنى فانى أوافقها وأشدّ ازرها فيما زعمت لأن انتشار الثقافة فى طول البلاد وعرضها فوق الحاجة مما يدعوالى كثرة الياقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء التربية اليوم . ومعنى الياقات البيضاء هو عين ما قصدت السيدة بالمناديل المشرئبة من الجيوب الخ فان الأمم المتمدينة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كانجلترا وألمانيا على الأخص قد فطنت الى ازدياد عدد الشبان المتأنقين ذوى الياقات البيضاء والأردية الثمينة الذين لاينزلون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل ريثما يجدون لهم عملا كتابيا فى مكتب أومصرف أومصلحة حفظا على مايزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعزّة وحبا فى جعل أقمصتهم وياقاتهم ناصعة البياض

وهذه الحال بعكس ماهى عليه فى ولايات أمريكا المتحدة تماما فهناك يباهون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بثغور باسمة مهما بلغوا من الثقافة لأن مدارسهم على اختلاف درجاتها تعوّدهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تتخللها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولايجد الشاب من خريجى الكليات عارا فى غسل الأطباق وحمل الأثقال والعمل فى المناجم لأن الأقذار التى تعلق بالشاب من جراء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقذار الشريفة أوالنظيفة كذلك الفتاة المثقفة وان كان والدها من أصحاب الملايين قد تجدها عاملة فى مطعم أومتجر أومنزل حبا بعظمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى

وليسمح لى القارئ أن أضرب مثلين واقعيين حدثا معى فعلا ، كنت يوما أتناول العشاء مع فريق من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحى نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطل من الشرفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدنا أن سيارة فخمة مقفلة أوقفت أمام المنزل وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أحدنا الاستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجاب نعم هي بعينها وهذه سيارتها كما رأيتم فخمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : انها من طالبات الكلية وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة انى دخلت مطعما ذات ليلة في منعطفات نيويورك وما كدت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل على أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم الى قائمة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثرى أن شاهدت زوجه تقوم بالخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في انجلترا والنمسا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بحملات شعواء ضد التعليم الثانوى الذي يكثر من العاطلين ذوى الياقات البيضاء ويقلل من الأيدى العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوى هناك قد انقلبت نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملى الذي يتفق مع حاجة البلاد وتقضى على البطالة والتنزه عن الأعمال اليدوية ويقلل من الثقافة الأدبية التي لاتوافق روح العصر الحديث وروح العلم والعمل . وقد احتككت برجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام في مؤتمر التعليم في جنيف وقد شاقنى مارأيت فيهم من التغيير وماسمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادتنى دهشة زيارتى لألمانيا وماشاهدته في حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغيير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولايسع الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تقتفى أثر أمريكا أولا في نظم التعليم وثانيا في الديموقراطية واحترام الأعمال اليدوية

يفهم مما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقلاقل الاقتصادية تنجم عن تعميم الثقافة الأدبية والاكثار من المواد العلمية البحتة . لذلك أشترك مع النابغة الآنسة مى في الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوى في بلادنا لأنه من النوعين المشار اليهما والبلاد في حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمى العملى من صناعى وزراعى وتجارى

بقى على الآن أن أقول للآنسة الكاتبة أن معنى التعليم الاجبارى بسيط جدا وهو انه يرمى الى تعليم الأمة بأسرها ، بنيها وبناتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب أوكما كانوا يسمونه في أمريكا وأوروبا ، أومايسميه العامة في بلادنا « فك الخط »

فهل تخشين أيتها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة في الأرياف والمدن أيضا أن يقرؤا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والحيات وعزل المريض والتدرن والبلهارسيا والانكلستوما والماء الراكد وماء القنوات والمجارى

وكيف يتفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطاردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافعة ؟ هل تريدين العمدة أن يبعث برجاله ينادون في الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الخالية ؟

وكيف يقرؤن التعليمات المكتوبة على محطات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات في المحاكم ونقط ومراكز البوليس ، وعلى واجهات دور الحكومة ودور الحوانيت التجارية والمدارس وأماكن العبادة والمستشفيات والمصانع والملاهى الخ

وكيف تريدينهم يحترسون من النشالين اذا كانوا لايستطيعون قراءة اللفظة البسيطة المكتوب عليها « احترس من النشالين » في الأماكن المزدحمة من أسواق ومحاكم والعتبة الخضراء والموسكى وشارع فؤاد الأول وعماد الدين وتياترات وأماكن عبادة ؟

وكيف تريدينهم يمتنعون عن مخاطبة السواق في عربات الترام وعدم البصق في الأماكن العمومية الخ

اذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدوّن فى مذكرة جيبه ماله وماعليه ، وكيف يكتب خطاباته الخصوصية لزوجه وأولاده ولم تريدينه أن ينشر أسراره على الملأ ويلجأ لكتاب (بتشديد التاء) العرائض فيسلبون ماله ويفشون أسراره ؟

لم تريدينه أن يحرم من هذه النعمة الأوّلية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تريدينه أن يبقى كل حياته بهما وأن يظلّ حيوانا أعجم ؟

كان معلم الانشاء فى السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التى اذا أغفلها تلميذ كان جزاؤه صفرا ، وهذه الجملة هى « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان » وترجمة هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « ..... الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل »

إن التعليم الاجبارى إذن ليس من الكماليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلام واسطة التعارف . وقد كان الانسان فى عصور الفطرة يكتفى بالكلام ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لا تخفى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعقدت وسائل الحياة ومرافقها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبنى الانسان لزوم النطق والكلام

واسمحى لى أيتها الآنسة النابغة أن أذكر أن التعليم الاجبارى المقصود فى بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذى لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيأ من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لا تدفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة أو الهروع الى المدن . واذا فرض أن تناول التعليمين الابتدائى والثانوى كما يحدث فى معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتى بقلاقل اجتماعية ولا يكثر من الياقات البيضاء اذا كان المنهاج منوّعا شاملا للأعمال والصناعات اليدوية كما هى عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم

واسمحى لى أن أقول أيضا : إن التعليم الاجبارى علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمّة لأنه يظهر الذكاء الكامن فى عقول صبيانها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء فى فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعده على مواصلة الدرس على نفقتها لأن النبوغ والعبقرية جديران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤلة عن تعليم أبناء الأمة ليس حبا فى سواد عيونهم بل تخليدا لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكلفة بالبحث عن النبوغ والعبقرية والانتفاع بهما . والعقول الراجحة الذكية كالدرر واللآلئ لا يظهر لمعانها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذى يخرجها من أصدافها ويصقلها بعد تنظيفها من الأقذار اللاصقة بها

وأخيرا اطمئنك أيتها الآنسة النابغة أن مشروع التعليم الاجبارى يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التى عمّ فيها التعليم الاجبارى منذ مئة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من يمنعون عن إرسال بنيهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عدّ الأسابيع التى يمكثها التلميذ سنويا فى المدرسة وتحديد نهاية صغرى لهذه الأسابيع بشرط أن يزجّ فى أعماق السجون والدو التلاميذ الذين لا يمكث أولادهم فى المدارس هذه النهاية الصغرى على الأقل ، وستخبط البلاد المصرية خبط عشواء فى خلال ثلث قرن على أقل تقدير حتى يتاح لها تنفيذ هذا المشروع الخطير على الوجه الذى يوجب الارتياح

ولتتأكد الآنسة أن تحرير المرأة لن تقوم له فى مصر قائمة مالم يعمم التعليم الاجبارى ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأمّية بين النساء أكثر انتشارا بكثير منها بين الرجال ، ولعلّ هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الآنسة على تغيير رأيها اه أمير بقطر

وبهذا تمّ الكلام على الشذرة الأولى فى اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(فى العجائب السماوية ومايوصل اليها)

جاء فى جريدة الاهرام تحت العنوان التالى مانصه :

(عجائب فلكية)

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الالفا) من نجوم برج العيوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل الينا ، وهناك نجم معروف باسم (غمامة مجلان الصغيرة) وهى بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى ان نورها لايصل لنا فى مدة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الالفا) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وغمامة مجلان الصغيرة فى المكان الذى كانت فيه منذ ألف قرن ، واذا فرضنا انها انطفأت منذ ٩٩٩ قرنا فان النور الذى صدر منها فى ذلك العهد يظل على سيره الينا فى الفضاء ويبقى منظورا فى أثناء مائة سنة أخرى اه

✲✲✲

ومما يلحق بالعجائب السماوية مايوصل اليها من الصناعات ، فانظر ماجاء فى جريدة الاهرام أيضا فى يوم (٥) اكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ رصد الجوّ بالسهام النارية ﴾

منذ أكثر من اثنى عشر عاما أخذ الاستاذ جودارو العالم الأمريكى يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لارسال سهام نارية (صواريخ) الى طبقات الجو العليا وهو الذى خطرله أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا الى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور فى أثناء التجارب الكثيرة التى قام بها من اطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا الى فكرة استطلاع طبقات الجوّ العليا بهذه السهام فصنع « صاروخا » كبيرا كلفه نحو ١٢٠٠٠ ريال وحشاه بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد فى مدينة ورسستر وقد دهش أهل المدينة اذ رأوا ذلك السهم النارى العظيم يشق عنان الجوّ فى ليلة ظلماء وخيل اليهم انه نيزك هائل مرّ بجوّ مدينتهم وزعم البعض بأنه طيارة ملتهبة انفجر حوض وقودها

ويعتقد الاستاذ جودارو أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات الى ارتفاع عظيم فى الجوّ وأنه اذا تمكن من توصيلها الى علو مئتى ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ فى ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الاستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ماتنقلب هابطة الى الأرض تنفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فتصل الى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثا على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التى أطلقها فى الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت الى الأرض سالمة من العطب

أما الصاروخ التالى الذى سيكون أكبر من هذا كثيرا فستوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيمائيا وآلة تصوير شمسى لاختبار أشعة الشمس فى ذلك العلو اذ يظن أن الاشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّى . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة فى غرائز الحيوان ﴾

جاء فى مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتى :

﴿ غريزة النظام عند الحيوان ﴾

قد نتصوّر أن الحيوانات المتوحشة التى لا تدخل فى دائرة الارادة البشرية فوضوية أى لا قانون لها ولكن جميع المخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيمائية وأخرى طبيعية . فالمواد الكيمائية التى تتكوّن فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجبارى للانسان بل هى عمليات فسيولوجية محضة مما يجعلنا نجزم بأن أفعال وطباع الكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا شك أن عالما بدون قوانين هو عالم « فوضى » يقطنه مجانين

إن حجرا تقذف به من أعلى فى الهواء يسقط دائما تجاه الأرض ودائما يسقط بحالة منتظمة ثابتة . واذا أكل الانسان شيأ كثير العصارة فان هناك غددا تفرز مادة بالفم تعرف باللعاب . وهذه المادة دائما تفرز تبعا لقوانين فسيولوجية وكيميائية ولها دائما تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة وبنسب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا اذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فمثلا الانسان لديه قوّة يعبر عنها بالتفكير والارادة ، وأما الحيوان فلديه قوّة يعبر عنها بالغريزة ، والاميبا والبكتريا التى هى حيوانات طفيلية يمشى نموّها وحياتها تبعا لقانون ، وليست حركاتها تأتى جزافا أو هى متغيرة الأطوار وانما هى على الدوام تأتى بنتائج مؤدّية على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فانه خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولنأخذ الآن مثلا العنكبوت فانه ينسج بيته بغاية الدقة المقرونة بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون بعمله هذا كأعظم مهندس فنى يعمل تبعا لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فيبتدئ بوضع خيوط دائرية ثم يحدّد بها المساحة التى يريد النسج عليها ثم يصنع خيوطا مشطرية تتقاطع فى الوسط وتعمل خيوطا حلزونية أخرى هى عماد ماينسجه

ولننتقل الى شمع العسل الذى يصنع بواسطة النحل العادى نجد انه لا يصنع جزافا بل تبعا لقانون إذ أن كل نحلة تعمل مايخصها من العمل القليل ليس إلا ، وكل هذه النحيلات تعمل وتتبع قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هى غاية فى الدقة والجمال بل وتعمل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل فى زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أى غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعا منتظما ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمنشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عددا نيط به تغيير أهوية الخلايا وتبخير الماء من العسل بمروحة الأجنحة وعددا آخر عمله معمارى محض يقتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائى يتلخص فى تجهيز حامض الفورميك ، هذا ولم يفت النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أمر الحراسة الى فريق آخر يحافظ عليها من أى خطر عدائى كما أن هناك الملكة التى تلد ، فاذا نظرنا الى مايحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أى خلل كعمل الساعة حتى ولو كان فى ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هى بمثابة الادارة الحكومية حيث يستمدّ منها الأوامر ، وهذه بعيدة عن مقر الملكة ، ولقد تتكوّن الخلية من عشرة آلاف غرفة صغيرة لوضع البيض

والآن اذا نظرنا الى الطيور نجد انها تهاجر من مكان الى آخر تبعا لقانون فى أوقات وفصول معينة الى جهات مقصودة ، فأبو جديع يطير من ألمانيا الى جنوب افريقيا ويقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا اذا

كانت هجرته هذه طبقا لقانون . والحيوانات التى تعيش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تعيش بواسطتها ، فالصغار تحت محافظة الأمّهات ولا حرب بين أعضاء القطيع الواحد إلا فى أوقات الجدل كاجتياز رياسة أوقيادة (انتخاب)

هذا وحركات هذه القطعان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدّم نعرف أن القانون فى عالم الحيوان أساسه ليس العقل وانما أساسه الغريزة وكلها تعمل من أجل الصحة والدوام والمحافظة على الأفراد واطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفتها دمارها

هذا ما يختص بالحيوان ، ولنلق نظرة الى الانسان الذى كان فى عصره الأوّل خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الغريزية كميله الى الغذاء والانتقام من العدوّ والقنص واللعب . ثم وجد نفسه بمضى ّالزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتآه يناسب حالته وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت هى القوانين الخاضع لها مزيجا من الغريزية والوضعية التى استمدّها من الكتب السماوية ومن أفكاره مما جعله حاملا القيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة « السياسة الأسبوعية » والحمد لله رب العالمين

✡✡✡

﴿ نظرات فى بلدة المرج ﴾

منذ ليال فى هذا الشهر وهو اكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقلنا وكان ذلك بعد غروب الشمس فى نفس المكان الذى كنت أراقب فيه القمر وكتبت تلك المراقبة فى ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ـ وفيه أيضا نظرت مزرعة القطن وأزهارها وقطنها وكتبت ذلك فى أوّل ﴿ سورة الصافات ﴾

أقول : فى نفس هذا المكان نظرت أمرا عجبا ! نظرت مئات من الغربان أتت أفواجا متلاحقة لتبيت فى شجر النخل وقد قدّرتها فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر فى هذا الانسان ، هذا الانسان ذو العقل وذو العلم وذو الأنبياء كيف عاش أجيالا ولم يرتق عن الغربان ! غربان قرية من القرى لاتعيش مع غربان قرية أخرى إذ لاسبيل للاتصال والغريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فماذا فعل بعقله ؟ عقله المخبوء ، عقله الجوهر المكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أممه كلها متحدة . فهذه الغربان التى أشاهدها الآن راجعة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غبية جاهلة . ولما استتممت فكرتى انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت انى أتممت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة فى الفوائد الطبية ﴾

(الكلاب وأخطارها)

قليل من الناس عدد الذين يعرفون الأخطار التى تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التى اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذى لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الخبيثة التى يصاب بها الانسان تنشأ فى جسمه من المكروبات القتالة التى تندس فيه من كلب أوحصان أو غيرهما من الحيوانات التى يقترب منها وتقترب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات فحذرت الانسان منها وعلمته كيف يتقى أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا مرّات كثيرة على جدران الدوائر العمومية فى أوروبا وأميركا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها

بكونها ألد أعداء الانسان

وبلغ جهل أخطار هذه الحيوانات فى الناس أنهم يسمحون لها (لاسيما للكلاب والقطط) بالنوم فى أسرتهم وبجانب أولادهم جاهلين انهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفثه هذه الحيوانات فى وجوههم من المكروبات القتالة وبما يسرى الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأوبئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جراثيم الأمراض السريعة العدوى . وأشد الحيوانات الأليفة خطرا على الانسان هى الكلاب والقطط . وبحثنا اليوم بنوع خاص فى الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب فى العالم الراقى الاميركى . واذا استصعب الانسان الحياة بدون كلب فى بيته مثلا فليعلم أن حياته أثمن وأنفع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل الفاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلواه بمباشرة كلب أو أى حيوان آخر . ومثل الكلب خطرا الطيور البيتية التى يدخلها الانسان الى بيته كالحجال والببغوات والنموس والعصافير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوساخ والهوام والديدان التى تحمل جراثيم أوبئة خبيثة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض الدود فان الدود الصغير سريع النمو وكثير العدد فى الكلاب . وينشأ فيها من أكل الهوام والحشرات كالبراغيث والعث والعناكب والذباب . وهذه الهوام كلها سموم وجراثيم أوبئة خبيثة محمولة من الأقذار والجيف المنتنة التى تتغذى بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحد يأكله كلب كاف لاملاء جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث وجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تعج بالدود الصغير الذى قلما يزول الا بموت الكلب ودفنه فى مكان لاتصل اليه بقية الحيوانات . والكلب المصاب بمرض الجراثيم الدودية يعدى سواه حتى بأنفاسه والناس عادة يقبلون الكلب فى وجهه وفمه ويسمحون له بتقبيلهم ولحس وجوههم ووجوه صغارهم ومنهم من يطعمه بيده ويدخل اصابعه الى فمه ويسمح له بالنوم فى فراشه غير عالم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والقذر

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتمنع تربيتها وتقتلها كما تفعل فى أحيان اشتباهها بمرض الكلب (بفتح اللام) فيها لأحسنت صنعا وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذى يجهل الناس أسبابه وزادت فى رفاهيته وسعادته لأن السعادة تنتج أو ينتج أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

﴿ أعراض المرض فى الكلاب ﴾

ان للأمراض الخبيثة فى الكلاب اعراضا لاتخفى على الناظر ولكن من الأمراض الخبيثة مالا أعراض لها فى بدايتها ولايشتبه بها أحد فتعدى أسيادها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الاعراض عليها ، ولهذا سواء ظهرت اعراض المرض فى الكلاب أولم تظهر فخيرلنا إبعاده عنا إذلا فائدة لنا منه والرجل الذى لايستطيع أن يحرس مواشيه أو بيته بنفسه فماذا تفيده الكلاب . والصيادون يغنى عنها أيضا واذا استغنى الانسان عن الكلاب يتحوّل قسم كبير من عناية الكلب وانتباهه اليه بدلا من أن يتكل فى كل شأن وعمل على كلبه .

واعراض المرض فى الكلب انه يصاب باسهال دائم وضعف عزيمة وخوار وفقد شهية الأكل وسوء هضم وفقد النعومة فى الشعر ، وأجرية الكلاب التى تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلدها وتركض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه معجزة اسلامية فقد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » وورد وجوب غسل الاناء الذى ولغ فيه الكلب سبعا إحداهنّ بالتراب

واهم

وأهم أسباب نقل هذه الأمراض الى الانسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التى تعيش على الأقذار والأوساخ والحشرات . وجراثيم الدود تنتقل من الكلاب الى الخنزير والانسان بسهولة وسرعة غريبتين وتدخل الى الانسان من فمه ومن عينيه بواسطة انفاس الكلب ومتى تكاثرت تتجمع فى الامعاء . وقد صورت هذه الجراثيم فى إمعاء كلب فوجدوها تبيض بيوضا صغيرة لاتكاد ترى بالعين المجردة ويبلغ مجموعها أكثر من ٤٠ مليون بيضة كلها تنقف وتتوالد وتكبر وتنمو حتى تقتل الجسم كله

وللكلاب أيضا مرض اسمه مرض الجرب وهومشهور ينتج عن وفرة الأقذار والمكروبات على جسمه وتغلغل البراغيث والبق الجربى فيه . وهذا مايشاهد كثيرا فى الكلاب . فاذا أصيب الكلب بمرض الجرب فقتله بقى العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيمه المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . وللجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل الى داخله فتقتله

أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض الدود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم الدود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سريان المرض الى سائر أفراد العائلة هوقتله أو إبعاده عن البيت الى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . واننا ندهش من الانسان الذى يعرف شدة أخطار الكلاب والقطط والخنازير وسائر المواشى عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذى يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للتفوق على الحيوان الذى يدب على أربع . انتهى من مجلة الشمس

✡✡✡

﴿ فائدة طبية فى الخرشوف ﴾

جاء فى جريدة الاهرام مانصه

﴿ فائدة الخرشوف الطبية ﴾

نبحث فى هذه العجالة عن الخرشوف من جهة فائدته فى مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أهمل استعماله حينا من الزمان والآن عادوا اليه فى معالجة اليرقان وحصاة الكبد وغير ذلك من الأمراض التى تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يغلى ورق الخرشوف ويحلى بالسكر ويشرب وقد لاحظوا أن منفعته لاتلبث أن تظهر

وفى الخرشوف مادة تقوى الكبد على التملص من السموم المتسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الأمر تهم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يعودون شيئا فشيئا الى التداوى بالعقاقير الطبية التى كان الأقدمون يعولون عليها فى معالجة المرضى وكان الاطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية الكيماوية

ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجدت الدواء بازاء الداء فهى « صيدلية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعرف ماتحتوى عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيرا الأدوية التى يلقونها فى دور التحليل والصيدليات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولذلك رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة

وفى لبنان أسرتان فيهما أطباء لايزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولهم منزلة عند أبناء وطنهم ولهؤلاء ثقة عظيمة بهم . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة فى فوائد أدبية ﴾

(مقالات فى كلمات)

جاء فى مجلة «كل شئ» مانصه :

(١) — «المواهب المعتدلة تكسب صاحبها الجد وكثيرا مانفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالى»

(٢) — «اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد و بخت احترمنا جهورالشعب»

(٣) — «إن حلاوة اللقاء هى ثمن مرارة الفراق . والا ما احتمل هذه المرارة انسان»

(٤) — «الفراق يطفئ الشهوات الصغرى و يزيد العظمى كالريح تطفئ الشمعة وتزيد النارالتهابا»

(٥) — «كثيرا ما تصادفنا فى هذه الحياة مفاجآت لاتزول إلا باستعمال شئ من الحمق»

(٦) — «ليس بين المصائب مصيبة لايستطيع اللبيب أن يجنى منها فائدة له ولا الغبى أن يجنى منها شرا عليه»

(٧) — «اذا كان المرء لايصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صداقته على الدوام»

﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثلث هذا القدر من الماء فى الطعام الذى نأكله فان الأثمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أماالثلثان الباقيان فنشربهما ماء أوسوائل أخرى ﴿و بعبارة أخرى﴾ ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحوستة أرطال ماء يوميا

ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام و بذلك يساعد على حمله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجمع الفضول فيها مما يفضى تجمعه الى تسمم الجسم كذلك ينبه غدد اللعاب فى الفم على الافراز واللعاب يساعد على هضم المواد النشوية فى الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة «كل شئ»

﴿ لطيفة ﴾

(فى قوله تعالى ـ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب ـ)

هذه الآية أصل عظيم فى الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاختراعات وتصطفى أحسن ماأنتجته عقول الأمم وأبدع ماأبرزته مباحث العلماء وخير ماأظهره الجد وأبرزه الاجتهاد وأدى اليه القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ماجاء فى جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يوليه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ طريقة الاختزال فى الكتابة ﴾

(اختراع شرقى لاغربى)

حضرة صاحب العزة المفضل رئيس تحرير الاهرام الغراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال فى الكتابة هى حديثة العهد وان الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخترعات التى اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة العهد جدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ نيف وألف سنة .
والدليل على ذلك ماجاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٤و٢٥ طبع مصر قال : وللصين كتابة يقال لها كتابة الجموع وهو ان لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة واحدة ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتى على المعانى الكثيرة فاذا أرادوا أن يكتبوا مايكتب فى مائة ورقة كتبوه فى صفح واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازى قصدنى رجل من الصين فقام بحضرتى نحو سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا فى مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحا حاذقا سريع اليد فلما أراد الانصراف الى بلده قال لى قبل ذلك بشهر انى عزمت على الخروج فأحب أن تملى على كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها فقلت لقد ضاق عليك الوقت ولايفى زمان مقامك لنسخ قليل منها فقال الفتى أسألك أن تهب لى نفسك مدة مقامى وتملى على بأسرع مايمكنك فانى أسبقك بالكتابة فتقدمت الى بعض تلاميذى بالاجتماع معنا على ذلك فكنا نملى عليه بأسرع مايمكننا فكان يسبقنا فلم نصدقه الا فى وقت المعارضة فانه عارض بجميع ماكتبه وسألته عن ذلك فقال ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذى رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشئ الكثير فى المدة اليسيرة كتبناه بهذا الخط ثم ان شئنا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى .

واذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة فى أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يكون الفربيون لما اطلعوا على هذه الطريقة أخذوا فى الاسباب التى توصلهم اليها كما توصلوا الى غيرها من المخترعات الأخرى وفق الله الشرقيين الى اقتفاء أثر الغربيين الى مافيه نفع المجتمع الانسانى

وبهذا تم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء التاسع عشر وأوّله سورة غافر)

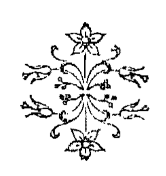
(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالتنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٣٣	لعلم	العلم	١٢٠	٩	التجارة	التجارة انتهى أقول
١٦	١١	ألفا و		١٢٥	٥	مرضاة	مرضاه
١٦	٣١	محاطة	محوطة	١٢٦	١٢	بتوهم	يتوهم
١٧	٥	قدر	قطر	١٢٨	٤	تؤدى	لاتؤدى
٢٣	١١	اليقطيفيه	اليقطينه	١٣٢	٩	النبات	البنات
٢٩	٣	باتت	بانت	١٥٠	٩	منجا	منجى
٢٩	٦	ابتداء	ابتدأ	١٥٣	٣٣	يجب	يثاب
٣٠	١٠	والربق	والريق	١٦٢	١٩	انكار	انكارا
٣١	١٥	عليه	عليها	١٧١	٢١	البرنستانتي	البروستانتي
٣٩	١٦	ربع	مربع	١٧٢	٢١	الأسوال	الأحوال
٣٩	١٩	من يتعمق	من لم يتعمق	١٧٢	٢١	وتثقف	ونثقف
٤٩	٢٣	والنور هذا	هذا	١٧٢	٢٧	ونشوة	ونشوه
٤٩	٢٤	يظهر لغيره	مظهر لغيره	١٧٣	٧	الجاله	الحاله
٨٨	٢٣	والثالث والرابع	والثالث أو الرابع	١٧٣	١٠	الفرية	القرية
٩٠	١٩	بيني و بين	بيني	١٧٣	٢٠	من	منى
٩١	٥	لم يجز	لم يجز	١٨٢	١٣	التي تموت	
٩٢	٢١	طبيان	ظبيان	١٨٨	٧	١٣٥	١٣٥٠
٩٣	٦	واصل	وأصبر	١٨٩	٣	الپي	الپن
٩٩	٣٤	خلفاؤها	خلفاءها	١٨٩	٢٩	تحت	تحت العنوان
١٠٤	١٠	انزن	زن	١٩٠	٨	س س	س سَ
١٠٤	٢٥	فأبى	فأبى	١٩٠	٩	ول	ولَ
١٠٤	٢٧	اباك	إياك	١٩١	٣٣	يقلل ضوء الشمس	تكون كثافة غباره
١٠٧	١١	كيقدد	ليقدد				أكثر من كثافة
١٠٧	٢٩	فسارزنه	فساررته				ماهو أعلى
١١٥	٢٨	والاتموان	والاتمون	١٩٢	٥	يكونا	يكونان
١١٧	٣٢	والترنبيط	والقنبيط	١٩٣	٢١	لتاسع	التاسع
١١٨	٢٣	والقرنبيط	والقنبيط	١٩٥	٢٦	السرياني	السريان
١١٩	٣٥	الجزع	الجذع	٢٠٢	١	وفي الرابع	وفى الرابع

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٥	١	واذا	اذا
٢٠٥	١٨	عليهما	عليها
٢٠٧	٣٣	روح مسكينة	روحا مسكينة
٢٠٩	٢	علم	عاوم
٢١٠	٣	اخضاب	اخصاب
٢١٤	٧	له	لهم
٢١٦	٢ و٣	ومو افقته والحياة	وموافقة الحياة
٢٢٤	١٥	غلبه	وغلبة
٢٢٧	٢٥	تجتمع	نجتمع

(تمت)



فهرست

(الجزء الثامن عشر)

من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

صحيفة

جاء السوفسطائية (٢) فتحيروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذقلس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثانى : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه الدرجات الأربع لايشذ عنها عالم فى عصرنا الحاضر . فكل المتعلمين فى المدارس المتحيرين هم من الفريق الثانى ، وكل من يقولون » إن الإله موجود ولكنه ترك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله ولكنه يقول إنه ترك المادّة أما سقراط ومن بعده فانهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئى وكلى »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر فى نظرات الخليل الأربع : للكوكب والقمر والشمس ثم وجه وجهه لله . فهذه أربع كراتب ماقبلها . وههنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم نتائجها أن تكون جزاء للمحسنين ، وهل جزاء المحسنين إلا الفرح بمعرفة الحقائق الكلية وعجائب المصنوعات تفصيلا ا فلا يقف الانسان عند الاجمال ، ولايجعل عقله موقوفا على الامور الجزئية فهى باب الضلال والحيرة كأن يرى الذكىّ فقيرا والغبىّ غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى الفيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبق وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الحيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرتاضا بالعلوم حيرته فأضلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بمعرفة العجائب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات تقصّ للعامة فتنفعهم إذ عجزوا عن ادراك الحقائق الحكمية ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذى شرب من ماء العين ونسى صرّة فيها دراهم وجاء بعده راعى غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوّس الظهر يحمل حزمة حطب فحطها واستلق فجاء الفارس فسأله عن الكيس وهولاعلم له به فقال لا أعلمه فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الحطاب قتل أبا الفارس وكان على أبى الفارس دين لأبى الراعى بمقدار مافى الكيس ، وهكذا حكاية النبى الذى رأى غلاما مكفوفا والصبيان يغوّصونه فى الماء فدعا الله فردّ بصره فلما أبصر أغرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباقون فعرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى فى القرآن وبالاختصار :

(١) إن النظر فى العوالم يقرّبنا من الله

(٢) وأن النظر فى الامور الجزئية يجعلنا فى شكوك

(٣) وأن العلماء المفكرين يحصل لهم يقين وهو نفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات كما تقدّم

٣١ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى آية ــ إنا زينا السماء الدنيا ــ الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحا نحوهما يقولون : « إن المادّة لاتصلح مناطا للعلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لامعنى لما هو متغير » ونرى أرسطاطاليس يقول لهما : « نعم المادة لاتصلح مناطا للعلم » ولكن المثل الأفلاطونية التى جعلها أفلاطون مناط العلم لاتصلح لذلك لأنها لادليل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ماهو متغير لايصلح مناطا للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسمان : طبيعية كالأزهار والأشجار ، وصناعية كالزينات المنصوبات فى الولائم وما أشبهها ، والعامّة أكثر فرحا بالصناعية منهم بالطبيعية لأن الصناعية فعل مخلوق مثلهم والطبيعية فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون

٣٣ ذلك لأن أكثر الناس مغمورون فى الشهوات من النساء والبنين الخ فليس عندهم وقت للتفكر فى مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأمراء ونحوهم فهى على قدر عقولهم فتبهرهم . فهؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم ــ وحفظناها من كل شيطان رجيم ــ الخ وانما حرموا لضعف بصائرهم . فالجهال كالسفهاء فى آية ــ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم ــ

صحيفة

٣٤ بهجة العلم فى آية — إنا زينا السماء الدنيا — الخ . فى ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين فى القرية وقد شاهدت المجرة . ولما طلع الفجر خيل لى أن هنا ستارا أسدل على النجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهو من قطن ولاصوف الخ بل هو نسيج أدمجت فيه الصفرة والخضرة والحمرة الى آخر الألوان السبعة . وما هـذا النسيج فى مادة بل هو حركات فى الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكونا من سبعة ألوان فصار أبيض وحجب تلك العجائب الليلية . وههنا فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول المتعاقبة فى النفوس الانسانية التى تنام فترى صورا فى الأحلام عجيبة . فاذا أغمض الانسان عينيه رأى صورا عجيبة فى الأحلام هكذا اذا جن الظلام رأى فى السماء صورا عجيبة . واذا استيقظ ذهبت تلك الصور الحلمية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قلد الناس فى دور التمثيل صنع ربهم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسر الناس أطفؤا المصابيح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا أتموا عملهم أضاؤا المصابيح فرأى الناس بعضهم بعضا كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . هـذا تقليد الناس لفعل ربهم فى صنعه الليل والنهار . ولقد قلدوا حيوانات كثيرة . قلدوا الجرذان فى الحياة تحت الأرض والظباء فى الحياة فى الأدواح واتخذوا بيوتا كما اتخذت النمل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جميلا مصنوعا من الحركات البديعة لأنه نسيج اللطيف الخبير الذى جعل نسيجه فيما هو لطيف . فأما الانسان فنسيجه فى المادة وهى غليظة

٣٦ نظر المؤلف فى المزرعة إذ تبدت الزهرات المختلفات وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أتخيل النجوم تفعل ذلك ليلا وآنست القطن قد بدا من أكمامه وخيلت لى الدنيا كأنها عروس بهجة جميلة قد ازينت للناظرين والزهرات ومامعها يسلمن على وهن باسمات محليات بأقراط من الماس من الندى فلم أتمالك نفسى أن قلت : « يا ألله . أفمع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ؟ فمن جهل هذا فهو أحق بالخوف منك . أما الحكيم فمن حقه أن يفرح بك »

الجاهل زين الله له شهواته والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قراء هذا التفسير هم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بالمسرات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس يموتون ولا يفهمون هذا الجمال . إذن الدنيا ازينت لهذه الطبقة وأمثالها وسواهم همج الهمج

٣٧ ماحقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ واذا كان النور يبقى طويلا ؟ أفليست الأرواح أولى بذلك الدوام . أدلة القدماء والمحدثين على أن للسماء وجودا . فالأولون استدلوا بالنور والظلمة فهما عرضان قاما بجوهر أو جوهران . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذى تخيلناه يحمل أثقال هذه الكواكب التى لاحد لها وان كثافة المليمتر الواحد من هذا الأثير الذى تخيلناه لاتنقص عن (٣٢) ألف قنطار وهـذه لانظير لثقلها فى المادة . إذن ظهر سر آية — وبنينا فوقكم سبعا شدادا — وههنا بيان الأوصاف التسعة للأثير من كونه شفافا كثيفا مرنا لاحرارة له ولاصوت وفيه الجاذبية بقسميها وههنا ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالحبل وهو يحسن القائل انه ذرات الخ وفرنل الفرنسى وكوتنفى وجورج توكس وماكسول وامافين وانيشتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس فى الثانية ٤ ملايين طونولاته . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة الكاشفة المنبعثة من جهاز قوته (٥٠) حصانا فى مدة (١٠٠) سنة لاتبلغ أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . ولو كان هـذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) يردات مربعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا المقدار أيضا يحتاج فى حمله الى ١٠٠٠ر١٠ قطار فى كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولاته . هذا ولا جرم أن الضوء نراه بعد مئات

صحيفة

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فاذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريق قياس التمثيل

٤١ وذكر أن المؤلف نام ليلا فى الحقل فى أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى الكواكب بهيئة لم يعهدها فى المدن ولافى القرية التى ولد فيها لأن هيئة النجوم فى جهات الجبال والصحارى غيرها فى المدن و بلاد الريف وهبت النسمات واضطربت بحسب منظر العين تلك المصابيح وهن راقصات مستبشرات ، ورأى الدبران والثريا والهقعة والهنعة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم فى الأرض :

(١) فالبدوى تخيل القمر رجلا والثريا امرأة وقد طلبها للزواج فأبت فأرسل اليها الدبران ليقدم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللاتى تشبه شكل الدال فهو أبدا يسوق الغنم لها وهى أبدا لاتقف ولاترضى

(٢) والعاشق العربى تخيل الليل خيمة جمته ومعشوقته سلمى

(٣) والعاشق الاسلامى يخاطب الليل متخيلا انه كافر وانه هو يجاهد ذلك الكافر و يوازن بين محبوبته و بين البدر و يفضل محبوبته على البدر

(٤) والشاعر الذى وقف بباب الأمير يستجديه لتأخر الأمم الاسلامية فى القرون المتأخرة يتخيل الجوزاء المتقدمة واقفة أمام الملك أوالأمير وهى ذات نطاق ، و بيان ما قاله (سديو الفرنسى) من أن شعراء الاسلام يساوون فى العدد شعراء الأمم والأندلسيون لما أغرموا بالشعر نسوا عقولهم ودينهم ووطنهم فطردوا من البلاد وهذا قوله تعالى — والشعراء يتبعهم الغاوون — الخ

و بيان أن الشاعر العربى كان يتغزل فى محبوبته فلايذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يعدون على الأصابع وفى العصر الأموى كانوا أضعافهم ، وهنا كثر الغزل والتشبيب لاسيما فى المدينة التى غمر معاوية أبناء الصحابة القاطنين بها بالمال فكثر القصف والغناء لوفرة المال وكثرة السبايا والحظيات من الجوارى المسبيات فى الحروب فهؤلاء أصبحوا مغرمين بزينة الشهوات لابزينة السماء المذكورة فى هذه الآيات فقد زينها الله للناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الراشدون التشبيب وانغمس المسلمون بعدهم فى الشهوات ، وكتاب الأغانى أكبر مفسقة اسلامية

٤٥ نداء المؤلف لامم الاسلام يذكرهم بأن أبناءهم أمانة فى أيديهم فليرفعوا عنهم الشعر المهيج للشهوات فى شبابهم وليقتصروا على شعر الحماسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كلثوم :

اذا ما الملك سام الناس خسفا ✡ أبينا أن نقر الذل فينا

وليعرفوهم الزينة السماوية والأرضية وهما يشملان جميع العلوم فان الله ابتلى أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينت لهم الشهوات كالبهائم والشعراء ونحوهم والخواص زينت لهم الطبيعة من سموات وأرضين والفرنجة عرفوا قيمة هذه الزينة فأذلوا المسلمين لأنهم لم يفهموا فى هذه القرون — وزيناها للناظرين —

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصار على الجنة الحسية انما يكون عند الجاهلين . ولاجرم أن لذات العقول أرقى من لذات الأجسام . و بيان مراتب الناس فى اللذات . و بيان أن الشجاعة والحب صفتان بهما سعادة الانسان فى هذه الحياة ومن لم يعرف العجائب لايدخل الحب قلبه . ولذة معرفة العجائب فوق اللذة الغضبية والشهوية بما لاحد له وكلما ازداد العارف علما ازداد لذة . وذكر كلام الامام الغزالى

فى

فى سبب تفاوت الناس فى الحب . و بيان أن الجمال فى هذه العجائب السماوية والأرضية لاحد له والانسان يدركه بعض صغر فيعتاده فلا يفهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يعقله ، فأما المفكر فانه يقول فى نفسه : « إن أعضاء جسمى مدهشة بديعة التركيب وهكذا روحى وكل موجود فى الأرض وفى السماء ولكن هذه الدلائل لاحد لها فصارت كالشمس والشمس تبهر العيون فهكذا هذه العجائب بهرت بصرى فتحيرت من الادراك ولولا أن النور يختفى بمغيب الشمس ما أدركنا أن ههنا نورا ولكن السر الالهى لم يغب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بضده وهذه الشواهد لم نفقدها لحظة فكيف نعرفها كما عرفنا النور بالظلام أى بضده

٥٠ ﴿ ازهرجدة ﴾ فى قوله تعالى ـ فأتبعه شهاب ثاقب ـ والكلام على حوادث كرة الأثير من الشهب الساقطة وانقضاض الكواكب وذوات الأذناب . و بيان آراء القدماء الذين وصفوا هذه الشهب بأنها أعمدة مخروطة قاعدتها تلى كرة النار (التى كانوا يعتقدونها تابعين علماء اليونان) ومخروطها يلى وجه الأرض وهى فى زعمهم دخان يابس خارج من الأرض اشتعل هناك ثم انطفأ كالسراج المشتعل بالنفط مستدلين على انه دخان بأنه يظهر أيام الجدب أكثر ومثلوا لها بالكرة التى يلعب بها أصحاب الخيالات المجوفة من سندروس وعقاقير أخرى و يضعونها فى أفواههم و يرقصون بها . و يقول علماء العصر الحاضر . كلا . ثم كلا . انما الشهب أجسام صغيرة لاتزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهى تدور مع كثرتها حول الشمس فى كل (٣٣) سنة مرة واحدة ولا حصر لعددها وقطر المسميات منها بالأسديات (١٠٠٫٠٠٠) ميل أو أكثر والذى يخترق جوّنا ونعرفه منها فى كل سنة (١٥٠) مليونا وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هى الشهب . أما الكرات النارية فهى تظهر وتختفى بسرعة ولكنها أبطأ من الشهب وهى تمزق بالقرب من الأرض وفى تركيبها الحديد والسليس والمنيزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها (٢٠٠) كيلو وهى قطع صغيرة اذا قربت من الأرض جذبتها وهى المسماة بالحجارة الجوّية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين مازعمه القدماء و بين ماحققه المحدثون . هذا ماجاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فان الأرواح الشيطانية تعيش فى هذا الجوّ ونحوه وهذه الكرات والنيازك تنغص عليها حياتها فلا تفكر فى الحقائق والمعارف وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلوم عن النفوس الانسانية المجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ـ و بيان أن الناس قسمان : عالم وجاهل . فالجهال كالدود والحكماء على نقيضهم . وكل فريق لا يعيش إلا مع مثله . والمسيح مسيحان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . و يرمز بهذا لكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرون الصلاح و يضمرون الغش كما تعمل دولة أوروبية ببلاد المغرب وكما قاله هنرى الفرنسى . إن الخمر جلبتها أوروبا للجزائر لتهلك المسلمين بها فتعمهم الدين . فأمثال هذه الأمم المقصودون على طريق الرمز بالمسيح الدجال وهم الذين سهلوا دخول المخدّرات بلادنا . والذى كشف هذا رجل انجليزى وهو الحكمدار بمصر فكشف أن الكوكايين والهروين يسممان الأجسام . وقد جمع الشرطة (٢٥٠) رجلا من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص النجار الذى ابتلى بهذه المخدّرات وطلب من امرأته أن تبيع عرضها وأجر ابنتيه فى المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين (شكل ١) وههنا أظهر الحكمدار (رسل باشا) أن هذا الداء انتشر بين الفلاحين وعاتب أوروبا على انها أهلكت مصر بهذا ومن تلك الدول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا

صحيفة

وايطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى – احشروا الذين ظلموا وأزواجهم – فهؤلاء حشروا معا فى السجون وصوّروا بالتصوير الشمسى ، فكل طائفة لاتحشر أفرادها إلا مع أمثالهم والذى حشرهم هم الدجالون الاوروبيون المستعمرون أوّلا والمانعون لهذه المخدرات

٥٩ بيان السبب فى انتشار المخدرات بمصر وهو الجهل الذى فشا بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشتت شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بالخمر واحتقار الدين و بث حب الشهوات والاستدانة بالربا وفرح الملوك بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبؤا به ، فانتشرت الموبقات وطرد المسلمون من هنالك ، وهاهم أولاء يطاردون المسلمين فى الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فعلا ، ألم يقم راهب اسبانى فيسقى أبناء المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن عصر عنب قرطبة كلها فجعله خمرا

٦١ ذكر اعتراض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآية لأنها فى الآخرة وجوابه بأن الآية تشمل هذا كما كان يفهم الصحابة ، ألم يستشهد عمر للربيع بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآية – أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها – ألم يقصرها على الكفار وان كانت واردة فيهم

٦٢ الكلام على آية – وقفوهم انهم مسؤلون – الخ وخطاب من المؤلف للأمم الاسلامية ومنها بلاده المصرية يقول لهم : «كفوا عن الجلوس فى محال الفرنجة المعدّات للشراب حتى القهوة ورقوا تجارة الأوطان واستغنوا بها عن تجارة الأجانب» ثم ذكرهم بما فعله البابا برومه و بارونات أوروبا من إشاعة الفسوق واذاعة الجور فى المسلمين ليذلوهم وانهم بغير هذا لايذلون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخضعون شمال افريقيا كمصر وتونس والجزائر ومراكش ، و بيان أن أجسام الشرقيين قوية وهكذا عقولهم ولكنها متروكة ، الأطباء فى أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شئ ولا أطباء فى الاسلام إلا قليلا . سوّاس أوروبا أخذوا يفرّقون بين أمراء الجزيرة ، فهؤلاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخير و يبطنون الغدر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوّة من قوى الشعب وكل قوّة من قوى المادة فى بلاد الاسلام

٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ فى قوله تعالى – إنى كان لى قرين – وذكر مسألة من المسائل التى جمدت عليها العقول ثم ظهر خطؤها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصخور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام سماوية ردّ عليه كثير منهم (لافوازييه) المشهور مدعيا أن هذا ينافى الجاذبية ولكن كرور الأعوام كذبته هكذا كتاب أصل الأنواع لداروين قاومه العلماء ثم خمدت عزائمهم ، و باستور كاشف المكروبات لما طعن عليه العلماء أوّلا ثم خضعوا له آخرا . ونظرية دوران الأرض حول الشمس أزالت النظرية العكسية التى شاعت قبلها

٦٨ ﴿ تفسير سورة ص ﴾ وهى ﴿ ثلاثة فصول * الفصل الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة والكلام على أن لفظ الجلالة تلحظ فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالملحوظ فيهما الكثرة فى المخلوقات ونحن نرى الوحدة فى جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلت فى الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ماهو للبطش وماهو للحس . وماللحس قد قسمت العوالم عليه من الملموسات والمشمومات والمذوقات والألوان والأصوات . والذى للحركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال انتقالية واما أعمال صناعية فالرجلان للانتقال واليدان للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التى فى الخارج الى الذهن فلايزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجمالا و يصل فى العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمناظير المعظمة والمقرّبة لتريه بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل استخدم الحواس واستخدم الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

صحيفة

صحيفة

أوّل حروفه ص :

(١) صبر الكفار على آلهتهم

(٢) فليصبر النبيّ ﷺ على مايصيبه ـ واصبر على مايقولون ـ

(٣) ـ إنا وجدناه صابرا ـ

(٤) لم يصبر داود فى مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر

(٥) وهكذا سليمان تعجل ولم يقل إن شاء الله

(٦) يظنّ الكافرأن السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث فى هذا الوجود

(٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما انه حتم على من أصابه البلاء كسليمان وأيوب

٨٦ ـ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ـ . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنها أن العلوم الحديثة طابقته مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب الى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفى أخلاقا كانت فى عوالم أعلى ، ومن عجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هى سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك انه رأى وهو فى شبابه فى المنام أن قائلا يقول له وهو فى مقبرة قريته فى الفلاحين : « انظر هذه هى الروح ، فرآها أشبه بكرة بيضاء قليلا ، ولما أصبح وقع فى يده كتاب ابن مسكويه فرأى أوّل عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نمط ما رآه ، فالنفس التى تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبغضاء لها سوائل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق الذميمة تتأذى بها الروح عقابا لها ، المغرمون بالمال يألمون لفراقه ، السفاكون والقتلى تطاردهم أشباح من قتلوهم فى البرزخ ، هناك للأرواح ألحان وأناشيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبر إما روضة أوحفرة الخ

٨٨ لاعمل يتم خيرا أوشرّا إلا بالصبر ، فالكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الايمان ، الألم روحى وجسمى فالأوّل لموسى وداود وسليمان والثانى لابراهيم واسحق أواسماعيل ، الندم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس

٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى ـ وليتذكر أولوا الألباب ـ وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدّمة و بين صبر القضاة العشرة الآتى ذكرهم ، ألاترى الى محمد بن عمران كيف صبر على أن يستعدى على أمير المؤمنين المنصور و يقضى عليه للجمالين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضى الذى قدّم استقالته للمهدى قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لى رطبا فلم أقبله فمال قلبى له وقت الحكم فعلمت أنى لا أصلح للقضاء » وشريك بن عبد الله قاضى الكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدى امرأة إذ خلط نخل بستانها بنخل بستانه فاستغاثت بالقاضى فأمر باحضاره فأبى وأرسل العظماء للقاضى واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لايليق فحبسهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهمّ شريك أن يرحل الى بغداد و يقابل المهدى فخضع الأمير موسى وسلم للمرأة ماطلبت وانتهى الأمر

٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها الى الكوفة فأخذ رجلا وكتفه وأهانه فاستغاث بالقاضى فاقتصّ شريك من النصرانى ولم يبال بأن الخيزران هى التى أرسلته

٩٢ وعبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة جاءه رجل فاستعدى على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل اليه ثلاث مرات فلم يحضر فأبلغ القاضى الخبر الى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فارسل

صحيفة

فأرسل الجند وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضى وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضى إذ حضر فى مجلس الرشيد ومال الخليفة الى أن أبا هريرة متهم فى الحديث فردّ عليه القاضى ، فلما انصرف القوم بعث فى طلبه مأمورا أن يحضر الكفن معه لأنه لامحالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهام أبى هريرة يجرّ الى ضياع الشريعة أنعم عليه . وحفص القاضى الذى حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جمالا لمرزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حفص وأقرّ بالمبلغ فقال الرجل يعطينى مالى والا الحبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضى يامجوسى تقرّ ثم تدعى انه لأم جعفر فحبسه فبعثت أم جعفر فأطلقته فتوجه المجوسى الى أم جعفر ورجاها أن ترجعه الى السجن وتكلم الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أنفذ الحكم فعلم الرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضى أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يعطيه نصيبا من مال رجل أفلس فطلب منه البينة فذكر رجالا فقال ابحث عنهم خاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحميد القاضى كان متوليا وقف الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقف شيأ أدخله فى قصره ، فلما أراد قسمته على مستحقيه قال له القاضى خذ ماعلى أمير المؤمنين وأرسله اليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ومدحه . واسماعيل القاضى أرسل المعتضد له أن يرفع الحجر عن يتيم وهذا اليتيم ممّا كانت فى دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجده لايصلح للتصرّف فأرسل الى الأمير كتابا فيه مانصه : « ـ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ـ »

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر فى مناسبة آية ـ وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ـ لآية ـ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ـ فرأيت مما فى الأرض عالم النبات و يدخل فى أغذيته هذه الثمانية الكبريت والحديد وهكذا ، واذا نقص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالذى فى (شكل ٢) وهكذا كل عنصر نقص من غذاء النبات تجد النبات نقص نموّه بمقداره بحيث لانجد هناك اختلالا ، إذن أبوحازم واسماعيل وعبيد بن ظبيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله فى النبات من العدل إذ ينقص نموّ النبات على مقدار مانقص من الغذاء بالعدل . هذا هوسرّ ذكر آيات خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القبيل ماتراه فى (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة فى البقعة الواحدة فانها تمتدّ الى الطبقات التى تناسبها لأجل أن لاتزاحم غيرها ، فهذا عدل فى داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجذور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجذور التى وجدت فى غير طبقتها بصلات تجذبها الى أسفل والى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ أليس هذا هو صراط الله ـ

٩٨ ﴿ تذكرة ﴾ ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التفكير وبها حصلت للأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذكر ما كتبه المؤلف لوزارة المعارف يبين لها أن التعليم فى زمن الاحتلال ضعيف لم يدخل فيه الفلك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزير والمهندس غافلا فى المستقبل ، وقد دخلت تلك العلوم وحصل التأليف و بعض التآليف أثمرت ، و بيان أن المسلمين لهم عدوّان : عدوّ خارجى هم المستعمرون وعدوّ داخلى هم الكذابون من شيوخ الصوفية وجهلة رجال الدين ، والمؤلف يوصى أذكياء القرّاء أن يذيعوا هذه الآراء فى الأمم الاسلامية

صحيفة

٩٩ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ كيف تربى قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاءها

١٠٠ أذكر هنا ما جاء فى « جمهورية أفلاطون » ثم أثنى على آثاره بما جاء فى الكتاب والسنة . لقد ذمّ أفلاطون الأمة التى يكثر فيها القضاة والأطباء . انما يقضى القضاة بين الأشرار من الناس الذين كثر بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع التفنن فى الموسيقى ، أما الموسيقى المعتدلة فانها تهذب الأخلاق ، والطبيب لايداوى إلا أولئك الذين يكثرون أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طعامها بسيطا وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالى كان يعيب على أمم الاسلام كثرة فقهائها الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشا عاطلا والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة لابالقضاء وحده ، ولما نظرت أمّتنا بعصر الآن وجدت ﴿ ثلاثة جيوش ﴾ : أطباء وقضاة ومحامين ، وذمّ القاضى الذى ألف الرذيلة فى صباه مدّعيا انه بهذا قد أحرز قصب السبق فى الدهاء فيعرف أسرار القضايا مع انه هو قد أصبح هزوًا وسخرية لافضيلة له فى نفسه . ومدح الطبيب الذى جرّب الأمراض وأدويتها فى نفسه لأن القاضى يقضى بعقله وعقله قدناله ماأصلّ بفضائله بخلاف القاضى فطبه بعقله لا بجسمه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقت فى القضاء وفى الطب واتسع نطاقهما وذكر ماتقدّم فى ﴿ سورة يس ﴾ من أن الرياضة البدنية والعفة فى المأكل والمشرب والتضلع فى العلوم الرياضية وفى منظم الكون من الواجبات فى تعليم الملوك والأمراء ورجال الجيش والقرآن فصل ذلك قال تعالى ــ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ــ وذكر مسألة النهر وأن الذين لم يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيرا فانهم لم يحاربوا وهذه هى العفة بعينها . وأمر الله بعدم الاسراف فى المآكل والمشارب . وجاء السبق والرمى فى الاسلام لتقوية العضلات . وجاءت الصلاة بدل الموسيقى ونتائجها عظيمة بل كثرة الصلاة لاتؤدّى الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى فانها تؤدّى الى الضلال ولذلك كانت نتائج مدنية الاسلام أعلى من مدنية هؤلاء الفلاسفة بل نحن لم نر لهم دولة اللهم إلا فى الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تقليل الطعام فى حديث عائشة أن آل محمد ﷺ ما أكلوا من خبز شعير يومين ولامن البرّ ثلاث ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقدون نارا ويأكلون التمر ويشربون الماء لاغير . ولم يأكل النبى ﷺ على خوان ولامرققا ولارأى شاة سميطا بعينه ولم يملأ بطنه من رديء التمر ولارأى منخلا وكانوا يأكلون الشعير بلانخل ولم يأكل النقىّ ولما أكلوا من شاة عند الأنصارى قال لصاحبيه لتسألنّ عن هذا النعيم

١٠٥ وفى خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله ﷺ إزار غليظ وكساء وكانوا يأكلون ورق السمر وكان أبوهريرة يعتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قدح اللبن الذى شرب منه القوم وآخرهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبى هريرة ظانا انه مجنون وماهو كذلك ولكنه به جوع . وفراشه ﷺ من ادم حشوه ليف

١٠٦ ﴿ نصائح عامة ﴾ مثل أن نبذل الفضل من المال ونمسك الفضل من القول . ومثل أن المدار على أن يصبح الانسان آمنا فى نفسه عنده قوت يومه . فهذه تكفى . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف . وهنا مدح للصبر على الفاقة ومدح للاقتصار فى الأكل على ثلث البطن وللبذاذة وقصة أبى عبيدة إذ أخذ معه جرابا من تمر وكان يعطى الرجل تمرة فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشجر

١٠٧ وهم كانوا ثلثمائة فرأوا دابة العنبر فأكلوا منها وحملوا معهم الى رسول الله ﷺ وهى كبيرة وعينها

صحيفة

كانت تسع (١٣) رجلا منهم والبعير برحله يمرّ من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر الى امرأته فذبحت عناقا وعندها صاع شعير فأكل منهما ألف وهذا من باب المعجزات ، وهكذا أبو طلحة وعند امرأته أقراص من شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقى منه سؤر . هذا هو خلاصة الأحاديث . ومقتضى هذا انهم كانوا لايشبعون ولا ينخلون الخ وهذا كله صحة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمروا بقلة الطعام و بعدم نخل الدقيق كما سيأتى ، و بقى الكلام على السبق والرمى

١٠٩ فى الحديث أن السبق يكون بالإبل والخيل والسهم ، وفى حديث « من تعلم الرمى فتركه فليس منا » وحضّ النبىّ ﷺ الرماة على الرمى

١١٠ يجب على الأمم الاسلامية أن تذيع الصنائع اليدوية والسبق والرمى وتعليم الجندية ، وأن يكون القضاة والأمراء أعلمهم

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ــ قال رب اغفرلى وهب لى ملكا ــ الخ وأن الملك هنا لايقصد به نفس المملكة السليمانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولا من حيث انها منفعة للناس فحسب كلا . بل من حيث انها صادرة من الله تعالى فالملحوظ هنا مصدر النعمة لا نفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوثر وهى النعم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ فى قوله تعالى ــ قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ــ و بيان أن بنى آدم مثلوا قصة أبيهم ، فهاهم أولاء الذين يكسون ورق الموز فى بلاد السودان فى الرسم المتقدم فى آخر ﴿سورة يس﴾ وأولئك العراة هناك ، و يشابه الأوّلون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرون يشبهونه قبل الأكل منها ، وهاهم أولاء أهل المدنية الحاضرة كلهم يشابهونه لما طرد من الجنة ، وسرّ تكرار هذه القصة فى القرآن أن نحترس مما دفعنا اليه جهلنا بفوائد الخبز الذى لم ينخل دقيقه والخضر التى لم تطبخ و بفوائد ضوء الشمس و بضرر الاكثار من الطعام والتوابل وهكذا ، و بيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا الى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فهاهو ذا الخبز الذى لاينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا فى الأحاديث السابقة ، والعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أى قوّة الحياة فى النخالة وفى الطعام الذى لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسراره الآن ، واذا كان الأمر كذلك فلنذكر ماجاء فى كتاب « دستور التغذية » المترجم عن علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الانسان يمكنه أن يعيش مائتى سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوى بالعقاقير مهلك . وخير التداوى ما كان بالشمس . والحمية وتدبير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرّا من المرض ! »

١١٢ وهاك أساليب الدكتور هيج وكانتانى وسوبر وسكى وكوهن إذ يقول الأوّل « حمض البوليك هو أصل الشقاء . وهذا الحمض سببه ما يتخلف من الأغذية فهو يسدّ المسام . وأمر باقلال اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبيا الجافة والكرنب والقنبيط والشاى والقهوة والكاكاو . ومتى ترك الانسان هذه الأشياء وأكل الخبازى والاسفاناج والكرنب والفواكه واللبن والجبن والقنبيط صح جسمه » وكانتانى يمنع الدهنيات والسكر والنشا والخل والمخللات واللبن والجبن مخالف هيج فى هذين والأمراق والعجينيات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفى بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة فى الهواء الطلق

صحيفة

١١٨ وسويد ويسكى أمس بالفواكه أيضا والليمون والنباتات كالشكوريا والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فانه يمنع التوابل واللحم والأشربة المخدرة كالنبيذ والعرقى والقهوة والشاى والنشوق والتبغ وهكذا الأبخرة الصاعدة من أماكنها والغبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجاوسية مع دلك الجسم بفوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، ثم ذكر ملخص لذلك

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها والغرين الذى فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والغرين فى الماء كالمواد الغذائية فى الدم . والسدود فى النيل كسدود العروق وازالتها بالحمامات أو بالبقول والفواكه الخ كازالة السدود من النيل وكثرة الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقلة الماء أو كثرته فى البلاد المصرية . والانسان بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التى بلغت الآن (١٤) مليونا والانسان اذا لم يحافظ على صحته يكون أشبه بالأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) إذ لم يكن للنيل قناطر تحفظ الماء فكان السكان نحو مليونين أو ثلاثة . فأنت أيها الذكى إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتتبع نصائح الأطباء واما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتتبع العادة ، إن سر هذه القصة ظهر الآن

١٢٢ ﴿ نصائح عامة ﴾ نصيحة الاستاذ (هندهيد) انه قال : « إن الناس يدفعون الأثمان غالية ولا يشترون إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفى من المادة المغذية من (٣٠) الى (٣٥) غراما بدل (٨١) فى الرأى القديم وهذه تحصل من ثلاثة أرطال من البطاطس وقد أعطى هذا المقدار لرجلين مع أشياء أخرى فغلبا فى الجرى من أكلوا اللحم ، إن الوفيات فى المدن أربعة أضعافها فى القرى لكثرة اللحوم فى المدن ، والخبز والتمر يجعلان فى البدو صلابة وقوة تدهش الاوروبيين »

﴿ نصيحة دورفيل ﴾ يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين يملؤن شحما بالأغذية الغنية إما أن يمرضوا بالبثور ونحوها ، واما انهم تظهر عليهم علامات الصحة والجمال . فالمريض هو القوى لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذى لا يمرض هو الضعيف لأن جسمه عجز عن استخراج الفضلات وهذا يموت فجأة فى عشية أو ضحاها »

١٢٥ ﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾ لدورفيل أيضا . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات وما أشبه ذلك أشبه بضربة سوط للحصان يجرى ثم يقع »

١٣٦ ﴿ ضرر السكر الصناعى وفوائد الطبيعى ﴾ السكر المعلوم مهلك فيجب الاقلال منه . نعم الصغار تظهر عليهم ملامح الصحة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغنى الناس بالفواكه عن السكر ولا فرق فى الضرر بين السكر والخمر واللحم وهذه هى الأغذية الثلاث المميتة

١٣٧ نصائح الاستاذ بلز : متى نأكل وكيف نأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ماهو حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع ساعة . الفواكه والحبوب هى أجود الأغذية وأفضل الحبوب القمح ومثل الحبوب النباتات

١٤٠ نصائح دوفورست :

(١) لا تأكل بين أكلتين ولو تفاحة

(٢) لا تأكل بسرعة بل امضغ جيدا كل الطعام وأجد المضغ

(٣ و ٤) لا تأكل غذاء حارا ولا باردا بردا مفرطا

صحيفة

(٥) الأغذية الدسمة المقلوّة مضرّة

(٦) احذر الفلفل والخردل والقرفه والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث النزلات والأمراض

(٧) الجبن وكل مخلل واللحم ومايستعمل نقلا من الأجسام الدسمة المركبة ، كل هذا يجب منعه

١٣١ الكلام على الفيتامين أى سرّ الحياة ، الفيتامين هو (ا . ب . ج . د) وهذه قد كشفوها فى الغذاء الطازج النيء على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات فى مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأت نورالشمس وأ كلت المأ كل النيئة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب البحار الذين يأ كلون طعاما محفوظا فى العلب مرضى لأن الطعام لاحياة فيه فأطعموهم أغذية نيئة وعرّضوهم للشمس فشفوا ، ووجدوا أن مرض الأسقربوط شفى بالليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولم يشف بشربات البرتقال ولابالخضر المغلى على النار ، وثبت ثبوتا لاشكّ فيه أن الأغذية النيئة هى المشبعة بالحياة والزيوت النيئة كذلك ، أما التى مرّ عليها زمن أوالتى غليت بالنارفانها لم تفد

١٣٣ الحبوب كالقمح والفول والذرة اذا استعملت نيئة كما تأ كل الحيوانات أعطت قوّة جيدة جدا . طبيب روسى جرّب فى مكتبه (٢٠) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش (١٦٠) سنة اذا أ كل النبات الذى لم يطبخ ، وههنا ذ كرأن العلوم التى نقلها الناس ممن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ من الطعام أوالمحفوظ فى العلب فان هذا فقد قوّته ، فلابد من التفكر فى تلك العلوم ليستجدّ البحث وكما أن نارالفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لاتقوم مقامها فى إعطاء الطعام قوّة الحياة ، هكذا آراء كبار العلماء فى الاجتهاد لاتقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلاتفكرعليه يؤخر الأمم فليرجع الناس للكتاب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . المسموع اذا خلا من المنظوركان قاصرا على التقليد

١٣٤ بهجة العلم فى قوله تعالى ــ قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ــ أيضا مع قوله ــ فالحق والحق أقول ــ الانسان له شهوات آ كلات النبات وله غضب آ كلات اللحوم وقصة ابليس وآدم جمعتهما ، فاذا سمعنا أن ابليس تكبر وأغوى الانسان فان ذلك ظاهر فى كبرياء الناس وحسدهم وحقدهم وهكذا فهم كالسباع والآساد ، واذاسمعنا أن آدمأ كل من الشجرة فهذا هوالذى نشاهده فى الشره والطمع والبخل والحرص والادّخار ، ومن هذا القبيل العادات الفطرية التى نسمعها عن أهل السودان فكأنها تدلنا على حياة الناس قديما مشبهين بعض الشبه آدم وحوّاء فى الزمان الأوّل حين خرجا من الجنة ، يكرمون الضيف ولهم شجاعة عظيمة بها يقاتلون النمور والاسود و يأ كلون الحيات العظيمة والفيلة ولهم فى الزواج عادات خاصة بخورمعروف ، و يعدّدون الزوجات ولكن لاغيرة هناك ولاحسد وهم لايسرق بعضهم بعضا . ولاجرم أن هذه الأخلاقأ كثرها شريفة قدحرمها المتعلمون فى الأمم المتحضرة وهذا المعنى ذهب المتقدّمون قبل ألف سنة . فقد جاء فى كتاب « اخوان الصفاء » فى المفاخرة بين الحيوان والانسان أن زعيم الطيور سخرمن الانسان وحقر شأنه من جمعه وكدّه وادّخاره وجمعه الحطب وايقاد النار وأن الطيور والحيوانات البرّية تأ كل من نعم الله بلاطبخ ولاعجن ولاتعب ولكن الانسان مسكين متعب شقى يجاهد طلا كه فهو فى همّ بالليل والنهار فى جلب قوته ولانتيجة له إلا التخمة والجشاء وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان فى الصحراء يقل مرضه لقلة إفراطه فى اللذات وهكذا حيوانات البرّ والطيور وكل حيوان عاش مع الناس حرموه غريزته فأ كل وشرب بلانظام فمرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكاية بها عرفنا أن

صحيفة

القدماء أدركوا سرّ الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجميع هذا وذاك تشير له قصة آدم إذن الانسان فى المستقبل سيقتصر على النبات الذى لايطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقا وجمالا وعلما وتهذيبا ويقلّ طمعه . ومن عجب أن الانسان له بدل الفرح البكاء وبدل الأعراس المآتم وبدل الاسورة والخلاخل الأغلال والقيود والطيور وغيرها سعيدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار والحرّية والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرّة واحدة فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فلم يستعمل دواء كما فى الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الدافئ مع الليمون والاستحمام بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس فى الخلاء ، فهذه المداواة الطبيعية قتلت الأمراض الثلاثة حالا بل لم يحصل لها أثر مّا . ومصداق قصة آدم أن طبيبا صحب امرأة وعاش اليوم معها فى جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجرّد من الملابس كآدم ولايتعاطى إلا الأطعمة النيئة على مقتضى الفطرة الأولى . وهنا تعجب المؤلف من هذا الانسان الذى أصبحت جميع حياته خاطئة كاذبة ، والأمم المستعمرة اليوم أشبه بوصف المسيح الدجال يظاهرون الغيرة على الأمم وهم يطعمونهم البطنة والاسراف وكل شهواتنا وملاذنا تقطعنا عن السعادة فهى أشبه بالمسيح الدجال أيضا تفرحنا ظاهرا وتقتلنا باطنا ، اللهم إن الانسانية اليوم جاهلة خاطئة فى كل شئ ولايصلحها إلا حكماء تخلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع الغرب

١٤١ ﴿ نور النبوّة فى هذا الزمان ﴾ ورد فى الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة حتى نتحاب . إن انتشار الطيارات سيجعل بين المسلمين مودّة و بغير المواصلات لا يمكن التفاهم بل هناك انقطاع وهذا الحديث ستظهر ثمرته التامّة فى المسلمين فى مستقبل الزمان إذ تصل الطيارات بين بلادهم ويعرف بعضهم بعضا . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة فى حديث « لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير » من حيث أكل الطعام بلاطبخ ومن حيث الطيران فى الجوّ ومن حيث أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حلّ وجد رزقه ميسورا سهلا وهذا سرّ الفيتامين وسرّ إيقاف الحرب فى المستقبل الوارد فى آية — حتى تضع الحرب أوزارها — وسرّ أن الناس سيأتى عليهم يوم لايأخذون المال ممن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أوّلا :

١٤٢ (١) تعميم الطيران
(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد
(٣) وأن يعمروا أرض الله

هذا سرّ حديث التوكل المتقدم . ومتى ارتقى الناس بهذه الأعمال قلّ إغواء إبليس فيحنث فى يمينه — فبعزّتك لأغوينهم — الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هى ثلاثة أقسام : القسم الأوّل فى تفسير البسملة . بالرحمة قامت السموات والأرض اذا ثبت ثبوتا طبيا أن الارزليس كالبرتقال من حيث أن الأوّل يقلّ فيه القوّة الحيوية التى استمدّها من الشمس والثانى تكثر فيه تلك القوّة التى استمدّها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض ونفس الأرض قد عجزا عن استكمال قوّة الحياة من طبيعتهما . إذن الأرض وماعليها لاحياة فيهما إلا بما يستفيدن من ضوء الشمس . فاذا ثبت هذا فى الامور المادّية فبالأحرى تكون الرحمات التى اتصف بها الطير وسائر الحيوان والانسان ليست من المادة لأنها عجزت عما هو أسفل وهى قوّة الحياة

فاستمدتها

صحيفة

فاستمدتها من الشمس . إذن الرحمة المخبوءة فى الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كله رحمة ونعبر
عنه بعالم الملائكة أو الأرواح ، فلننظر فى الطفل : إن رحمته خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره
١٤٥ مسخرا له ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أبا وزوجا وأمّا وملكا وحكما ، وتعمّ إذ ذاك رأفته ، فمن
أين أتت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذى رحمة اقتبس رحمته من الرحمة العامة كما اقتبس
الارز والبرتقال قوتهما الحيوية من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وخير الرحمات وأعلاها ما كان
أشبه برحمة الأم ترضع ولدها بلا طلب جزاء فى الآخرة ولا فى الدنيا . ومتى ظهر فى الأمم أفراد على هذا
النوال فبشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى ــ إنا أخلصناهم ــ الخ وآية ــ إلا عبادك منهم
المخلصين ــ فاعبد الله مخلصا ــ الخ ــ ألا لله الدين الخالص ــ قل الله أعبد مخلصا له دينى ــ وأخيرا
قوله تعالى ــ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ــ . فزن نفسك أيها الذكىّ بهذا
القانون تعرف مقدارك فى الحياة ، فليكن تعليم المسلمين هذه الأحوال : إعداد العقل للفكر .
والعواطف للحب . واليدين للعمل :

(١) عندكم أيها الخواص من المسلمين لوحان : السماء والأرض فيهما محو وإثبات . إذن هما
١٤٧ كألواح الصبيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لواحد من خمسة أسباب : الجمال
العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولاجرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما
انه ثبت أن مادّة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادّة الأرضية . إذن فليكن الحبّ
لمسدى هذه النعم لأنه أكمل فى هذه الأوصاف

(٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الانسان

(٣) ليكن ليلكم قياما وصلاة وعلما مع حب الله ــ أمّن هو قانت ــ الخ

(٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات ــ قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ــ الخ

(٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة ــ الذين يستمعون القول ــ الخ

(٦) لتكونوا خلفاء الله تبشرون عباده ــ قل ياعبادى الذين أسرفوا ــ الخ

(٧) ستنالون العلم ــ قل هل يستوى الذين يعلمون ــ الخ

(٨) ستكونون فى غرف وتشرق لكم الأرض بنور ربكم وتسلم عليكم الملائكة وترون ربكم
والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحوقلة ، جاء فى الحديث « التسبيح
والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والشيطان قد يلهى عنها ، وكان ﷺ
يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى ــ اذا جاء نصر الله والفتح ــ الخ »
التسبيح وأخواه خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ ﴿ القسم الثانى ﴾ السورة مكتوبة بالخط المشكل من أوّلها الى قوله ــ لقوم يؤمنون ــ

١٥٢ التفسير اللفظى لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر فى نبات الأرض ومائها وحدائقها ، ذلك لأنه
ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد الغريبة التى لابد منها لصلاحية الماء للشرب وهى خمسة
ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفا الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارّة مثل ماء فيشى والمياه الغازية والمياه الحمضية التى تفور بتعرّضها

صحيفة

صحيفة

ذوبان الجليد . رشح المياه . فعل القنوات الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
١٧٥ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ فى قوله تعالى – ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون – وأن الآية ليست قاصرة على اختصام الكفار والمسلمين بل تشمل المتحاربين بعد زمن النبوّة
١٧٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ كتب مشكلا من آية – قل ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم – الى آخر السورة
١٧٧ التفسير اللفظى لهذا القسم
١٧٩ هذا القسم أربع لطائف الثالثة منها – وأشرقت الأرض بنور ربها – وذلك فى الآخرة . والحكماء يشاهدون مبادئه فى الدنيا . ألاترى كيف رأينا العدل فى عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأيناه فى البرّ والبحر . فى كليهما حدائق مثل مافى المحيط الهادى من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية ينبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله فى خلق العيون وعدمها . فالسمك الذى يعيش على بعد (٢٧٥٠) قامة لاعيون له لأنه لاضوء للشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضىء فى قرار البحار
١٨٢ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ – وترى الملائكة حافين من حول العرش – وقد ذكر العرش فى السورة بعد ١٨ الخ
١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن فى آخر سورة ص وأوّل سورة الزمر من قوله تعالى – ما كان لى من علم بالملأ الأعلى – الى قوله – فأنى تصرفون – . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأنزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسليط إبليس عليه وعلى ذرّيته وجعلهم فى ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لاتتمّ إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانتشاره ولايتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الاكسوجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فاذا زاد عن (٧٠٠٠) متر صارت الحرارة (٦٠) لاتنقص وهذا ظنّ القوم وله ثقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أى جزء من $\frac{١}{١٣٠}$ من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره عجب ! يرينا الشمس صباحا بضوء أقلّ من الضوء وقت الهجيرة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذى يتخلل جوّنا فوق رؤسنا أقلّ من الغبار الذى يتخلل الجوّ بالقرب من الأرض (١٦) مرة . فهذه (١٦) طبقة من الغبار تحجب عنا كثرة ضوء الشمس صباحا فترجعها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن ننظر شعاع الشمس . أما فى وقت الظهر فلا . وبهذه يأتى ضوء الشمس للأرض بالتدريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهرا والكواكب القريبة من الأفق أبعد فى الظاهر من الكواكب التى فى وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فقرب الشمس وقت السمت وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السماوية لسبب واحد وهو قلة الحجب الغبارية فى الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
١٨٧ لولا الهواء لم يضىء نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجوّ حالك السواد وتظهر النجوم نهارا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبح ولاضوء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانتشار النور بواسطة الهواء وبانكساره والانكسار يتضح لمن يضع عودا فى الماء فانه يرى كالمكسور وماهو بمكسور وانما ضوءه انكسر . وهذا ظاهر فى (شكل ٦) فى صحيفة ١٨٨ والبيان فى حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هى الواضحة فى علم الفلك (شكل ٧)

صحيفة

١٨٩ إن الضوء بانتقاله من الجوّ الخالى من الهواء الى الجوّ الذى فيه الهواء ينكسر بهيئة خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون الفجر والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بغتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار فى الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فاذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل الغبار الضارّ بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يلطف الضوء ويجعل سيرانور ووصوله لهم تدريجيا . فتقليل الغبار الجوّى والحجب نعمة لانقمة كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا إغواء الشياطين لبنى آدم لامعنى لها إلا تأخير رقيهم . ذلك لأنهم لوأعطوا العلم دفعة واحدة لهلكت أرواحهم . فلابدّ من معوّقات جسمية بالأمراض والحروب ومعوّقات روحية تحبسهم عن العلم فيتقبلونه بالتدريج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتدريج . والفضل فى الثانى للغبار الذى هو مكروه ضارّ والفضل فى الأوّل لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العامّة لأقسام السورة كلها : اللطيفة الأولى فى قوله تعالى — خلق السموات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل — مع آية — ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء — وههنا ذكر حركتى الشمس السريعة والبطيئة والدرجات (٣٦٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانسانى قديما . ذلك انه رأى نجوما تخيلوا انها كالحمل فسميت (حملا) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها فى (١٢) يكون ذلك (٣٦٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزّع عليها . وبيان أوّل فصل الربيع اذا حلت فى رأس الحمل وقد أخذت فى الارتفاع الى الشمال فى يوم ١٧ من برمهات . فاذا قطعت الشمس الحمل والثور والجوزاء وحلت بالسرطان فى أوّل الصيف كرّت راجعة الى جهة الجنوب ويأخذ النهار فى النقص والليل فى الزيادة . وهذا على عكس حالها حين تصل الى آخر القوس فى الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة فى السنة . وهناك تنتقل الى الجدى فى ١٧ من كيهك وتكرّ راجعة فتأخذ فى الارتفاع . فهذان هما الانقلابان الانقلاب الصيفى والانقلاب الشتوى . وهذان غير الاعتدالين إذ فيهما يكون النهار والليل متساويين أما فى الانقلابين فالنهار يكون أطوله ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . واذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك فى مصر وما ماثلها وبقية الأقطار الأخرى منتظمة بحساب غير هذا أقلّ أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموازنتها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التى هى (٣٠) يوما وهى (٤) وواحد ينقص يومين والباقى (٣١) وذكر نظم القدماء شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أوّلها الشرطان وآخرها بطن الحوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما وبقى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجبهة آخر السنة . وفى كل (٤) سنين يكون للجبهة (١٥) يوما

١٩٧ وههنا بيان طلوع المنازل وقت الفجر مثل ان الشرطين فى ٢٣ برموده وفى ١٨ نيسان الذى هو شهر ابريل وهكذا فتعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطى أو السريانى أو الرومى

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسمان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سبع الدور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينهنّ . وههنا تطبيق لمعرفة القمر فى أى منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهلة التى عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أسباع ساعة

ولا

صحيفة

ولايزال يتأخر حتى يكون فى الليلة السابعة مغيبه نصف الليل وفى الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع الغداة . وههنا طرق حسابية لاستخراج أوّل الشهر العربى

٢٠٠ ههنا آن أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية فى الأعمال الزراعية فى الأرض . فكما انتظم سير الكواكب انتظم الزرع فى الأرض . فالمزارع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :

«شهر توت» فيه النيروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع «بابه» فيه يطيب الرمان الخ «هاتور» فيه يزرع القمح وأكثر البقول الخ «كيهك» فيه تزرع الحلبة الخ «طوبه» فيه يكمل النرجس والقرط الخ «أمشير» فيه تغرس الأشجار الخ «برمهات» فيه تزهر الأشجار الخ «برموده» فيه تقطف أوائل عسل النحل الخ «بشنس» فيه يكثر التفاح الخ «بؤنه» فيه يكثر الحصرم الخ «أبيب» فيه يكثر العنب الخ «مسرى» فيه يصنع الخل

٢٠٢ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ فى قوله تعالى — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون — وبيان أن العلم أشرف شئ والعلماء قليل فهو كالراديوم

٢٠٤ ﴿الراديوم وخواصه﴾ هو دائما يلمع كوهج النار يتقد ولاينطفئ الخ . هذا المعدن له نظير فى الناس وهم الحكماء الذين يؤثرون فى عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام العباسيين ثم ذهبت تلك الدول وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتفوا بالشعر

٢٠٨ إن قول الله سبحانه وتعالى — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون — جاء العلم فيه بالفعل المضارع إشارة للتجدّد وقتا بعد وقت الخ

٢٠٩ يخاطب المؤلف المسلمين قائلا لهم : «أنتم خير أمة أخرجت للناس قديما فكيف لاتستوعبون علوم الأمم لتكونوا خير أمة أخرجت للناس فى المستقبل»

٢١٠ ﴿الفصل الثانى﴾ فيما قاله الفيلسوف «كنت» الألمانى فى كتاب التربية . للكتاب مقدّمة وأربعة فصول ، وفى المقدمة اختصاص الانسان بالتربية ، ثم تربية الطفل فى المهد ، ثم تهذيبه بطريق سلبى . ثم تلقينه العلوم الخ والتهذيب يمنع عنا الأخلاق الحيوانية إذ لم نمنح غريزة لذلك . وتجب المبادرة له فى الصغر والا تعسر فى الكبر . ومن فاته التهذيب صغيرا تعسر عليه كبيرا بخلاف العلم فهو لايفوت بالكبر

٢١١ إن صغار الحيوان لاتحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور فهى تعلم صغارها هيئة أصواتها . والعجب أن كل طائر فى الأرض شرقا وغربا له صوت واحد يحافظ عليه (هذه العبارة فى الأصل الانجليزى وسقطت من الترجمة سهوا) . لوتعاون الأمراء مع ذوى المواهب على تعليم الانسان أوعلم الانسان عالم أعلى منه لأصبح الناس اليوم فى حال أشرف من هذه . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحسّ بالخلل أخذ يفكر : أهذا من نقص التهذيب أم التعليم ؟

٢١٢ ضرر نقص التهذيب أشدّ من ضرر نقص التعليم . على كل جيل أن يخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليكن لنا يقين بذلك . التعليم التقليدى ينتهى بالنقص الانسانى كالنبات الذى نبت من الجذر فى العام الثانى فزهره يكون أقلّ بهجة

٢١٣ الكمال مخبوء فى الانسان . التعليم اليوم صناعة فاذا ارتقى الانسان صار أشبه بالغريزة . ليس فى الأرض حكومة صالحة ولا تعليم حقيقى . لابد من تضافر الأفراد على النفع العام وذلك لايضرّ بمصلحة الفرد لأن المواهب تظهر بذلك القصد . الشرّ يأتى من اهمال الطبائع

(تمت)